الدكتورة مريم قاسم طويل

مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح

٤٤٣-٤٨٤هـ / ١٠٥١-١٠٩١م



دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ة العربية



مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح

٤٤٣ - ٤٨٤ هـ / ١٠٥١ - ١٠٩١ م

تأليف :
الدكتورة مريم قاسم طويل

دكتوراه دولة في التاريخ الأندلسي
أستاذة اللغة الإسبانية بالجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مكتبة الوحدة العربية
الدار البيضاء

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٣ ٦٠٢١ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٣٣ ٦٠٢١/٩٦١١/٠٠

إهــــــداء

إلى روح أبي الذي وافاه الأجل

وهو في ريعان الشباب

مريم قاسم



في أرض أندلسٍ تُلْتَذُّ نَعْماءُ
ولا يُفارِقُ فيها القلبَ سَرّاءُ
أنهارُها فِضَّةٌ والمِسْكُ تُرْبَتُها
والخَزُّ رَوْضَتُها والدُّرُّ حَصْباءُ

ابن سفر المريني
(نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٩)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدّمة

حاولْتُ في هذا البحث أنْ أتَحَدَّثَ عن ماضي مملكة ألمريّة الأندلسيّة، هادفةً من وراء ذلك إبرازَ معالمِها التاريخيّة والحضاريّة في ظلٍّ مليكها المعتصم ابن صمادح.

فالسنواتُ الستُّ التي أَمْضَيْتُها في ربوع الأندلس من العام ١٩٧٣ حتى العام ١٩٧٩ أكبرُ باعثٍ حَفَزَني للاطّلاع على تاريخ مملكة ألمريّة وإنجازاتها الحضاريّة الضخمة التي حَقَّقَتْها المملكةُ في عهد المعتصم. لذا رأيْتُ أنْ تكون ألمريّة موضوع دراسة مستقلّة، بل عملاً جديداً يُضَافُ إلى المكتبات العربيّة وغير العربيّة.

وإلى جانب مشاهداتي للمملكة ألمريّة وآطّلاعي عن كَثَبٍ على ما تبقّى فيها من آثار العرب، فإنّي آعتمدْتُ على مصادرَ ومراجعَ عربيّةٍ وإسبانيّة وفرنسيّة ناهزت المئة والستين كتاباً، أَمَدَّتْني كلُّها بمعلوماتٍ قيّمة بحيث أصبحتْ صورةُ المملكة كافيةً وافية.

ولقد آعتمدْتُ طريقة واضحة قسَّمْتُ البحث بموجبها إلى بابين، باب جغرافي تاريخي سياسي، وباب حضاري يبحث في الاجتماع والاقتصاد والثقافة والعمران. فالباب الأول يشتمل على ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول تحدَّثْتُ عن موقع ألمريّة الجغرافي. وفي الفصل الثاني عرضْتُ لأوضاع ألمريّة التاريخيّة والسياسيّة في عهد أمرائها آبتداءً بخيران العامري (٤٠٥ ـ ٤١٩/ هـ ١٠١٤ ـ ١٠٢٨م) وآنتهاءً بالمعتصم ابن صمادح (٤٤٣ ـ ٤٨٤ هـ/ ١٠٥١ ـ ١٠٩١ م)، وتحدَّثْتُ عن علاقة المعتصم بملوك الطوائف وملوك النصارى الإسبان وفي مقدّمتهم ألفونسو السادس ملك قشتالة، ومصير ألمريّة بعد المعتصم ومصير بقيّة ممالك الأندلس. وفي الفصل

الثالث قدَّمْتُ نبذة عن حياة المعتصم ابن صمادح، كونه الشخصيّة التي يَتَمَحْوَرُ حولها الموضوع.

أمّا الباب الثاني، فإنّه يشتمل على أربعة فصول، ففي الفصل الأول تحدَّثْتُ عن المظاهر الاجتماعيّة لمملكة ألْمريّة بهدف إلقاء أضواءَ ساطعةٍ على حياة الناس فيها، فَعَرَضْتُ بإيجاز لصفات وعادات وتقاليد شعب المملكة، وبَحَثْتُ في العناصر والطبقات التي كان يتكَّونُ منها مجتمع ألمريّة، ثم عَرَضْتُ لدور المرأة في المجتمع المريّي سواءً كانت حرّةً أو أَمَة. وفي الفصل الثاني درسْتُ أوضاع ألمريّة الاقتصاديّة في عهد المعتصم ابن صمادح، فتناولْتُ ثلاثة جوانب هي الزراعة والصناعة والتجارة. وفي الفصل الثالث قَدَّمْتُ صورة واضحة عن وضع ألمريّة الثقافي في عهد المعتصم ابن صمادح، فتناولْتُ الحياة الأدبيّة واللغويّة والعلميّة، وسَرَدْتُ لطائفة من شعراء ولغويّي وعلماء ألمريّة الذين قصدوه. وفي الفصل الرابع بحَثْتُ في المنشآت الحربيّة والمدنيّة والدينيّة التي أُقِيمِتْ في ألمريّة، كقصبتها، وقصْرِها المعروف بالصُّمَادِحِيّة، ومَسْجِدِها الجامع، ومقابِرِها وأَضْرِحَتِها، وقَيْسَارِيَّتِها، وحُمَّتِها العجيبة، وأسواقها وفنادقها ومتاجرها وحمّاماتها.

الباب الأول

دراسة جغرافيّة وتاريخيّة وسياسيّة لمملكة ألمريّة ونبذة عن حياة مليكها المعتصم ابن صمادح



الموقع الجغرافي لمدينة ألمريّة حاضرة المملكة في عهد المعتصم ابن صمادح

١ - موقع ألمريّة الجغرافي:

ألمريّة Almeria مدينة كبيرة من مشاهير مدن الأندلس، ومن أعمال كورة إلبيرة[1] Elvira. تقع بين مدينَتَيْ مالقة ومرسية على حافّة بحر الزقاق (البحر المتوسط)، مقابلةً وادي آش[2] Guadixوهي في ذاتها جبلان بينهما خندق[3] معمور، وعلى الجبل الواحد قَصَبَتُها المشهورة بالحصانة، وعلى الجبل الآخر

(١) راجع معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩)، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ٦٣)، والروض المعطار ص ٥٣٨، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢)، والمعجب ص ٢٤٧، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس (مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٢٨٣). و«كورة» لفظة يونانية الأصل، من (Curia) وقد ظهر آصطلاحها في الأندلس لأول مرة في عهد الوالي أبي الخطّار حُسام بن ضِرار الكَلْبي (١٢٥ - ١٢٨ هـ/ ٧٤٢ - ٧٤٥ م) عندما وَزَّعَ جُنْدَ الشام، الذين دخلوا الأندلس في سنة ١٢٣ هـ/ ٧٤٠ م مع بَلْج بن بِشْر القُشَيْري، على كُوَر الأندلس. راجع البيان المغرب (ج ٢ ص ٣٣ - ٣٤)، وتاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ٧٧ حاشية ١، وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ٢٥، ١٧١. وHistoire de l'Espagne Musulmane, Tome III, p.47 - 48. وقد عرّف ياقوت «الكورة» بقوله: «وأمّا الكورة، فقد ذكر حمزة الأصفهاني: الكورة آسمٌ فارسيٌّ بَحْتٌ، يقع على قسم من أقسام الإستان، وقد آستعارتها العرب وجعلتها آسماً للإستان، كما آستعارت الإقليمَ من اليونانيين فجعلته آسماً للكشخر، فالكورة والإستان واحد. قلت أنا: الكورة كلُّ صُقْعٍ يشتمل على عدة قُرى، ولا بُدَّ لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع آسمُها ذلك آسمَ الكورة». معجم البلدان (ج ١ ص ٣٦ - ٣٧).

(٢) تقويم البلدان ص ١٧٧، ووفيات الأعيان (ج ٢١ ص ٦٣)، ونفح الطيب (ج ١ ص١٦٢) ووصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٥.

(٣) سُمّي هذا الخندق بخندق باب موسى. تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١١٣.

المسمَّى لَيْهَمْ[1] أو لاهم Lahem رَبَضُها الشرقي[2]. وهكذا فإنَّ ألمريّة عبارة عن مرتفعات وحصون بآستثناء الجهة الجنوبيّة الشرقيّة. وقد وصفها المقّري بقوله: «وقد آستدار بها من كلّ جهةٍ حصونٌ مرتفعة، وأحجارٌ أوليّة، وكأنّما غُرْبِلَتْ أرضُها من التراب[1].

ومن ألمريّة إلى بَجّانة خمسة أميال وسدس الميل، وقيل: ستة أميال. وبينها وبين وادي آش مرحلتان للمُجِدّ، وبينها وبين غرناطة مسيرة ثلاثة أيام، وبينها وبين حصن مُنَكّب (بليدة صغيرة) أربع مراحل. ومنها إلى مرسية خمسة أيام، ومنها إلى قرطبة سبعة أيام[4]. وجعل العُذْري المسافة بين ألمريّة وقرطبة ستة أميال[5].

٢ ـ أهمّيّة موقع ألمريّة البحري:

طار صيت ألمريّة البحري في الآفاق؛ لانفرادها عن غيرها من مدن الأندلس بخليج تميَّز بهدوء مياهه، وقلّة أمواجه، وشدّة آتّساعه، وعمقه، بحيث كان يتّسع لعدد كبير من السفن ويضمُّ معظم وحدات الأسطول الأموي في الأندلس[6]. ففي الربع الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بدأ ميناء ألمريّة يتحوّل إلى قاعدة بحريّة ينطلق منها أسطول عبد الرحمن الناصر. ذكر العذري أنَّ محمد بن رُمَاحس غزا في سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة للهجرة / تسعماية وتسعة وثلاثون للميلاد من ألمريّة إلى طرطوشة في مركبين حربيّين، وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثماية / ٩٤٢ م غزا من ألمريّة إلى إفرنجة في ثلاثين مركباً حربيّاً[7]. وأشار آبن خلدون إلى عدد سفن أسطول الناصر، وحركة مرفئها الدائمة، فقال: «وآنتهى

(١) أُطلق عليه أيضاً آسم مرتفع العرقوب، ويُسَمّى اليوم مرتفع سان كريستوبال San Cristobal.
انظر Alameria Islámica, en Al-Andalus, XXII, p.434.

(٢) الروض المعطار ص ٥٣٨، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣)، والحلل السندسية (ج ١ ص ١١٩، ٢٠٣).

(٣) نفح الطيب (ح ١ ص ١٦٣). وانظر أيضاً الحلل السندسية (ج ١ ص ٢٠٣).

(٤) انظر نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٦، وصورة الأرض ص ١١١، ووصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦، والمعجب ص ٢٤٧، والروص المعطار ص ٨٠.

(٥) نصوص عن الأندلس ص ٨٩.

(٦) انظر تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٣٧، ٤٢، ٥٢.

(٧) نصوص عن الأندلس ص ٨١.

أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها، وأسطول إفريقية كذلك مِثْلَهُ أو قريباً منه، وكان قائدَ الأساطيل بالأندلس آبنُ رُمَاحس، ومرفأها للحطِّ والإقلاع بجايةَ وألمريّة»[1]. وذكر آبن الخطيب أنَّ أسطول ألمريّة كان في عهد عبد الرحمن الناصر ثلاثماية قطعة، ثم جدَّده الحكم المستنصر في سنة ثلاث وخمسين وثلاثماية / ٩٦٤ م عندما وافى ألمريّة وأشرف على أمورها[2]. وأضاف في مكان آخر أنَّ عدد سفن هذا الأسطول تضاعف في بداية عهد الحكم المستنصر إلى ستمائة قطعة. يقول: «وفي أيامه ظهرت المجوس المُجْلَبَةُ على المسلمين من بحر الجَوْف (أي من الشمال)، فتحرَّك إلى ألمريّة، وقد حصروا حصْنَ القَبِطة[3] من حصونها، فأوقع بهم، وأنشأ الأسطول لغزوهم، فكان عدده ستمائة جفْن[4] بين غَزْوِيٍّ وغيره. وفي سنة ٣٥٢ هـ غزا الروم، ففتح مدناً جليلة»[5].

وكانت معظم وحدات هذا الأسطول ترابط في القاعدة الرئيسية بألمريّة لمواجهة الخطر الفاطمي، وهذا ما يؤكّده آبن عذاري في قوله: «وفيها (أي في سنة ٣٥٣ هـ) تحرّك الحكم من قرطبة إلى ألمريّة توقُّعاً لِمَا يصدر من صاحب إفريقية المحادِّ لأهل الأندلس، ولمعاينة ما آستكمله بها من الحِصانة، ومطالعة حال رابطة القَبْطة، ومشارفة حال الرعايا بتلك الجهة»[6].

وهكذا بدأت ألمريّة منذ تأسيسها تتبوّأ مركز الريادة البحريّة الأندلسيّة، وقد أشار آبن غالب إلى ذلك بقوله: «وهي باب الشرق، ومفتاح التُّجّار والرزق، وبألمريّة دار

---

(١) تاريخ ابن خلدون (م ١ص ٤٤٩). وانظر أيضاً تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس (ص ١٧٤ - ١٧٥).

(٢) الإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٤٧٨ - ٤٧٩).

(٣) يقع هذا الحصن إلى الجنوب الشرقي من خليج ألمريّة. تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٤١.

(٤) الجَفْنُ والجَفْنة واحدة الأجفان، وهو سفينة حربيّة دائريّة شبيهة بالقصعة، من سفن الغزو والحرب، اهتمّ بها المعرب الإسلامي وكثر آستعمالها لها. وإذا أضيفت لفظة «جَفْن» هنا إلى صفة «غزوي» فإنّها تضاف أيضاً إلى صِفتَيْ «بحري» و«حربي»، فيقال: جَفْن بحري، وجفن حربي. كذلك آستعمل الجَفْنُ، إلى جانب الحروب، في نقل المتاجر راجع السفن الإسلامية على حروف المعجم ص ٢٣ - ٢٧، وتكملة المعاجم العربية (ج ٢ ص ٢٣١).

(٥) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٤١ - ٤٢).

(٦) البيان المغرب (ج ٢ ص ٢٣٦). وانظر أيضاً تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٤٢ - ٤٣.

الصَّنْعة، وسُوْرُها على ضفَّة البحر، قد آستقرَّتْ فيها العُـدَّة للسفن ولما يقـوم به الأسطول»[1]. وصارت هي وبجّانة على حدّ قول ياقوت: «بابي الشرق، منها يركب التجار، وفيها تحلُّ مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب. . .

وفيها يكون ترتيب الأسطول الذمي للمسلمين، ومنها يخرج إلى غزو الإفرنج[2] ووصفها آبن سعيد، فقال نقلاً عن الرازي: «سُوْرُهـا على ضفّة البحـر، وبها دار الصناعة، وهي باب الشرق ومفتاح الرزق»[3]. وأضاف نقلاً عن المُسْهِب: «وأمَّـا ألمـريّة، فلهـا على غيرهـا من نظرائهـا أظهرُ مـزيّة، وبنهرهـا الفِضّيّ، وبَحْـرِهـا الزَّبَرْجَدِيّ، وساحِلِها التِّبْرِيّ. . . وأسوارها العالية الراسخة»[4]. وقال مرّة أخرى: «مدينة ألمريّة المشهورة التي كانت لها دار صناعة الأندلس، وكان فيها ديوانها»[5]. «وردّد أبو الفداء ما جاء به ياقوت وآبن سعيد، فقال: «ومدينة ألمريّة مُسَوَّرة على حافّة بحر الزقاق، وهي باب الشرق، ومفتاح الرِّزْق، ولها بَرٌّ فِضّيّ، وساحل تِبْـري، وبَحْرٌ زَبَرَجْـدِيّ، وأسوارها عالية»[6].

وأَضْحَتِ ألمريّة، كما يقول الحِميري، أشهر مـراسي الأندلس وأعمـرها، تقصدها مراكب التُّجّار من الإسكندرية والشـام[7]. ووصفها الشَّقُنْـدي في رسالتـه فقال: «وساحلها أنظف السواحل، وأشـرحها وأملحهـا منظراً. . . وبهـا كان محطّ مراكب النصارى، ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تُسَفَّرُ لسائر البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يوسقون جميع البضائـع التي تصلح لهـم»[8]. وأشاد آبن فضـل الله العمري بساحلها بقـوله: «وهي ذات مرسى على البحر الشـامي، وهي أول مراسي البـلاد الإسلاميّة بالأندلس. . . وساحل ألمريّة أجملِ السواحل. . . وبها دارُ صناعةٍ لإنشاء

---

(1) قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص٢٨٣.

(2) معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩). وانظر أيضاً تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس (ص ١٧٨ - ١٧٩).

(3) المغرب (ج ٢ ص ١٩٣).

(4) المصدر نفسه.

(5) كتاب الجغرافيا ص ١٤٠.

(6) تقويم البلدان ص ١٧٧.

(7) الروض المعطار ص ٥٣٧ - ٥٣٨. وانظر أيضاً الحلل السندسية (ج ١ ص ١١٨ - ١١٩).

(8) فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢٠).

الحراريق لقتال العدوّ»(١). . ووصف العُذْري دار الصناعة قائلاً: «ودار صناعتها القديمة المذكورة قبل هذا قد قُسِّمَتْ على قسمين؛ فالقسم الواحد فيه المراكب الحربيّة والآلة والعدّة، والقسم الثاني القَيْسارِيّة(٢)، قد رُتِّب كلُّ صناعةٍ منها حسب ما يُشَكِّل لها، قد أمن فيها التُّجّار بأموالهم، وقصد إليها الناسُ من أقطارهم»(٣) .

وفي عهد المعتصم ابن صمادح، وبالتحديد في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، بدأت بجّانة تضعف لتصبح تابعة لألمرية . وقد أثبت ، العُذْري هذه الحقيقة في قوله : «وخربتْ مدينة بجّانة بعمارة مدينة ألمريّة، وذهب باقي عمارتها في سنة تسع وخمسين وأربعمائة»(٤) . وأشار كلٌّ من ياقوت وآبن فضل الله العمري إلى ذلك، فقال الأول: «خربت وقد آنتقل أهلها إلى ألمريّة»(٥). وقال الآخر: «وكانت العمارةُ قَبْلُ لبجّانَة، فآنتقلتْ إلى الساحل (أي إلى ألمريّة) لمنافع الناس»(٦). وأورد آبن حيان نصّاً يُفِيْدُ أنَّ بجّانة كانت قرية في سنة ستين وثلاثماية/ ٩٧٠ م. «وفي عقب رمضان (من سنة ٣٦٠ هـ) ركب صاحب الشرطة العليا. . . رُمَاحس قائد الأسطول من قرية بجّانة. . . ليركب منها إلى البحر الشمالي»(٧) . وقال الدكتور عبد العزيز سالم: «بازدهار ألمرية وتألّقها اضمحلّت بجانة وأصبحت في طليعة القرن الخامس الهجري مجرد قرية، في الوقت الذي ارتفعت ألمرية إلى مصاف الحواضر»(٨).

وهكذا ظلّت ألمريّةُ في عهد المعتصم تحتل المركز الأول بين القواعد البحريّة في الأندلس، لأنَّ هذا الملك كان يُوْلي عنايةً تامّةً بأسطوله. وهذا ما أكّده آبن خاقان في قوله: «وآشتغل بترميق أساطيله، وتنميق أباطيله. . . ولم يزد على مراعاة أَمْرِ

---

(١) وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٥ ـ ٤٦ . وانظر أيضاً الحلل السندسية (ج ١ ص ٢٠٢).

(٢) القيسارية عبارة عن مجموعة مبانٍ عامّة، وسوف نتحدث عنها بإسهاب في فصل «منشآت ألمرية المعمارية» ص ١٩١ .

(٣) نصوص عن الأندلس ص ٨٦ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٧ .

(٥) معجم البلدان (ج ١ ص ٣٣٩).

(٦) وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ .

(٧) المقتبس تحقيق الحجي ص ٢٨ .

(٨) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس (ص ١٧٩).

جـوارِيْهِ وفُلْكِـه»[1]. ولقد وصف آبن الحـدّاد الأندلسي أسـطول مليكـه المعتصم بقوله[2] (الخفيف):

هَامَ صَرْفُ آلرَّدَى بِهَامِ الأعادي	أنْ سَمَتْ نَحْـوَهُمْ لها أَجْيَـادُ[3]
وتـراءتْ بِشَـرْعِهـا كَـعُيُـوْنٍ	دأْبُهـا مِثْـلُ خـائِفِيْهـا سُهَـادُ[4]
ذاتُ هُدْبٍ من المَجَادِيْفِ حَاكٍ	هُـدْبَ بَـاكٍ لِـدَمْعِـهِ إسْعَـادُ[5]
حُمَمٌ فَـوْقَهـا من البِيْضِ نَـارٌ	كـلُّ مَنْ أُرْسِلَتْ عليـه رَمَـادُ[6]
ومِنَ الخَطِّ في يَـدَيْ كُـلِّ دِمْـرٍ	أَلِفٌ خَطُّها على البحـر صَادُ[7]

---

(١) قلائد العقيان ص ٤٧. والجواري: جمع جارية وهي السفينة. والفُلْك، بضم الفاء وسكون اللام، السفينة أيضاً، يؤنّث ويذكّر، وهو للواحد والجمع.

(٢) الأبيات في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ١٨٧ ـ ١٨٩) والمقتضب من كتاب تحفة القادم ص ١٧٤، وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٣٢٠)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٦).

(٣) الرَّدَى: الهَلاك. والهَامُ: جمع هَامَة وهي الرأس. وسَمَتْ نحوهم: أي سَمَتْ سفنُ المعتصم بأشرعتها نحو الاعداء. والأجياد. الأعناق، مفردها جِيْدٌ، والمراد أشرعة السفن. ومعنى البيت: مَخَرَتْ سفن المعتصم في البحر لغزو الأعداء فكانتْ طوائرَ عائمةً بين الماء والجوّ، وكان النصر حليف المعتصم، وكان الهلاك حليف أعاديه؛ لأنَّ الهلاك لا يهيم إلاَّ بهـامـاتهم، كونهم جبناء ضعفاء.

(٤) بشرعها: أي بشرعها الماءَ. يقال: شَرَعَتِ الدوابُ في الماء تَشْرَعُ شَرْعاً إذا دخلت فيـه. والسهاد: الأَرَق، والمراد هنا اليقظة. ويريد الشاعر أنْ يقول: إنَّ جنود المعتصم، وهم على جوانب السفينة، أيقاظ حَذِرُوْنَ لأي طارىء، أو إنَّ ملاّحَ السفينة يَقْظَانُ، حَذِرٌ، يُلازمُ صارِيَهِ كما يلازم الرضيعُ ثَدْيَ أمّه.

(٥) الهُدْبُ. شَعْرُ أشفار العينين، والجمع أهداب. والمجاديف. ج مِجْداف وهو خشبة في رأسها لَوْحٌ عريضٌ تُدْفَعُ بها السفينة، مشتقٌ مِنْ جَدَفَ الطائر، ومِجْدَافَا الـطائرِ جنـاحاه، ومنـه سُمّي مجداف السفينة، ومجذاف السفينة لغة في مجدافها، كلتاهما فصيحة. وهنا يجعل لمجاديف السفن هُدْباً كَهُدْبِ محبٍّ سَالَ دَمْعُهُ لملاقاة محبوبه؛ فكما الأهداب تحمي العيون من القذى، فإنَّ المجـاديف تحمي السفن من الأذى.

(٦) الحُمَمُ: الرماد والفحم وكل ما آحترق من النار، والواحدة حُمَمَة. والبِيْضُ: ج أبيض وهو السيف. ومعنى البيت: إذا ما آهتزَّتِ السيوفِ بأكُفِّ جُنْدِ المعتصمِ سَلَّتْ أرواح أعدائه وإنَّ النِّفْط الذي كان يُرْمَى به الأعداء حَوَّلَهُمْ إلى رماد. وهنا إشارة إلى آلات النفط التي كان يتزوَّد بها أسطول المعتصم.

(٧) الخَطّ: مرفأ السفن بالبحرين، تنسب إليه الرِّماح التي تُحْمَلُ من بلاد الهند وتُقَوَّمُ بالخَطّ. لسان العرب ومختار الصحاح، مادة (خطط) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٣٧٨). والدِّمْرُ: الشجاع. والألـف كناية عن طول مَتْن الرُّمح الذي إذا ما آستعمله الرامي تقوّس وصار أشبه بحرف الصاد

ولقد أُحْرِقَ معظمُ أسطول المعتصم على يَدَيْ ولده معزّ الدولة ابن المعتصم. ذكر آبن الخطيب أنَّ معزّ الدولة، لمَّا وافاه اليقينُ بتغلُّب المرابطين على المعتمد ابن عبّاد وخروجه عن ملكه بإشبيلية، أَمَرَ رجاله بِثَقْبِ السُّوْرِ خارج باب موسى، فخرج منه إلى دار الصنعة حيث أَبْحَرَ بمن آختصَّ به في قِطْعة، وحمل المال والمتاع في آثنتين وأحرق باقي الأجفان[1] خشية الاتباع، وَنَزَلَ بالجزائر إلى أنْ هلك بها[2]. وقال آبن الأبَّار وآبن الأثير إنَّه قصد بجاية بالجزائر، فأقام فيها تحت رعاية المنصور[3] بن الناصر بن عَلَنَّاس بن حمّاد بن بُلُقِّيْن بن زيري بن مناد الصِّنْهاجي، وفي كنفه، وقيل: أنزله المنصور بِتِنِس[4] من أعماله الغربيّة[5]. وذكر آبن الخطيب أنَّ المنصور أنزله بِتَدَلَّس ونظرها[6]. وأورد آبن الكَرْدَبُوْس نصّاً مُفادُهُ أنَّ معزّ الدولة، لمَّا وَجَّهَ آبنُ تاشفين جيشاً إلى ألمريّة، فرَّ منها في قطعة بحريّة، وآوى إلى دولة بني حمّاد، ومَلِكُها إذْ ذاك المنصورُ بن الناصر، فَقَرَّبهُ وأَحْسَنَ إليه، وأَدْنَاهُ حتى كان أَحْظَى مِنْ وَلَدَيْه[7].

وما إنْ سقطتِ ألمريّةُ في أيدي المرابطين حتى شرع هؤلاء في آستخدام دار صناعتها لبناء السفن، وصار بحوزتهم أسطول حربي كبير. ولقد ذكر الدكتور سالم أنَّه كان بألمريّة قسم كبير من أسطول المرابطين بقيادة أمير البحر أبي عبدالله محمد بن

---

(١) الأجفان: ج جَفْنة وهي سفينة حربيّة دائريّة. وقد تقدم الحديث عنها في الصحيفة ١٣ حاشية ٤.

(٢) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢). وانظر أيضاً تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس (ص ٢٠٣).

(٣) كانت وفاة المنصور في شهر ربيع الآخر من سنة ثمانٍ وتسعين وأربعمائة / ١١٠٤ م. أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٩٧).

(٤) تِنِس Tenes: مرسى صغير غربي مدينة الجزائر، أسّسه الفينيقيّون والقرطاجيّون كمستودع تجاري، ثم أقام به الرومان مستعمرة لم تلبث أنْ خربتْ على أيدي البربر، ثم أعاد بناءها مهاجرو الأندلس من مرسية وإلبيرة. أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ١٥٦ حاشية ٣).

(٥) راجع الحلة السيراء (ج ٢ ص ٩٠)، والكامل في التاريخ (ح ١٠ ص ١٩٢ ـ ١٩٣)

(٦) أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٩٧). وتَدَلَّس، بفتح التاء والدال واللام المشدّدة، مدينة بالجزائر على ساحل البحر المتوسط، كانت تابعة لدولة بني حمّاد، وصارتْ بفضل الجالية الأندلسيّة المهاجرة إليها مركزاً حضريّاً مزدهراً. المصدر نفسه ص ٩٧ ـ ٩٨ حاشية ١.

(٧) تاريخ الأندلس ص ١٠٥.

ميمون، وأنَّ أسطول الأندلس تضخَّم في فترة الموحدين بسفنه المتعدّدة كالطرائد، والشواني، والأغربة[1].

وفي عصر بني نصر بغرناطة آستمرَّتْ دارُ الصناعة بألمريّـة بنشاط في إنتـاج السفن والأجفان الحربيّة. وقد شاهد آبن الخطيب بأمِّ عينه آزدحام مـرسى ألمريّـة بالسفن أثناء آستقبالها لسلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف بـن نصر من سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمـائة/ ١٣٤٧ م، فقـال يصف ذلك: «وَطَلَعَتْ في سمـاء البحر أَهِلَّةً

(١) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٥٠ - ٥١، ٨٩. والطرائد: ج طريدة وطرّاد وطرادة وتطريدة، وهي سفن صغيرة سريعة السَّيْر والجَرْي، كانت تستعمل في نقل الخيول والفرسان، وقيل: كانت تصلح لنقل الناس مع أمتعتهم، مع آحتمال أنْ تنقلب إلى نوع من المراكب الحربيّة المقاتلة وقت الحاجة، وقيل: الطريدة سفينة القائد الإسلامي في الأسطول الحربي في المغرب والأنـدلس، وكانت تمتـاز برايتها البيضاء. وهذا الضرب من السفن عَرَفَتْهُ الأندلس والمغرب معاً، كما آستعملته إسبانيا في العصور الوسطى وسمَّتْهُ Taridas. وفي العصر الحديث تغيَّر مدلول هذا النوع من السفن، فأصبح يعني نوعاً من السفن الحربية التي آشتمل عليها الأسطول العثماني في البحر المتوسط. السفن الإسلامية على حروف المعجم ص ٨٩ - ٩١، وتاج العروس (طرد). والشواني: ج الشيني والشاني والشينية والشونة، وهي سفن حربيّة كبيرة معدّة للجهاد، كانت من أهمِّ القطع الكبيرة التي كان يتكوَّن منها الأسطول في الدول الإسلامية، وكانت توصف بشواني الغزو أو الشواني الغزوانيّة، وكانت تقام فيها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم. ولعظمها كانت تحتوي على أهـراء لخزن القمح، وصهاريج لخزن الماء الحلو. وكانوا يرمون النار والنفط على العدو على حدّ قول آبن حمـديس من قصيدة في مدح أبي يحيى الحسن بن علي بن يحيى (المتدارك):

أَنْـشَـأْتَ شَـوَانِـيَ طَـائِـرَةً ... وبَـنَـيْـتَ عـلـى مـاءٍ مُـدُنـا
بِـبُـرُوجٍ قـتـالٍ تَـحْـسَـبُـهـا ... فـي شُـمِّ شـواهـقـهـا قُـنَـنَـا
تَـرْمـي بـبـروجٍ، إنْ ظَـهَـرَتْ ... لـعـدوّ مـحـرقـةً، بَـطَـنَـا
وبِـنَـفْـطٍ أبـيَـضَ تَـحْـسَـبُـهُ ... مـاءً وبـه تُـذْكـي الـسَّـكَـنَـا

وظل هذا النوع من السفن معروفاً في الملاحة حتى أيام العثمانيين، ثم آنتهى أمره في أوائل القرن السابع عشر الميلادي. السفن الإسـلامية لـدرويش النخيلي ص ٨٣ - ٨٥، وديوان ابن حمـديس ص ٥١٣، وتاريخ ابن خلدون (م ١ ص ٤٤٩ حاشية ١). والأغربة: جمع غراب وهـو من المراكب الحربيّة شديدة البأس، صغير الحجم، يتكوّن من طبقة واحدة، وله صار أو صاريانِ، ويستعمل عادة في الأغراض العاجلة لسرعته. استعمله المسلمـون في المشرق والمغـرب، كما آستعمله قـراصنة الفرنج، في الغارة والغزو عن طريق البحر. واستعمل في فترة الموحدين بمعنى جفن. وربما آستعمل في نقل البضائع. وآستمر استعماله كأحد القطع الحربيّة حتى زمن العثمانيين. السفن الإسـلامية ص ١٠٤ - ١١٢، وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١٢٣ حاشية ٤.

الشواني، كأنّها حواجب الغواني، حالكة الأديم، متسربلة بـالليل البهيم، تتزاحم وفودها على الشطّ، كما تتدخّل النوناتُ في الخطّ، فيا له من منظر بديع الجمال! أخذ بعنان الكمال، بِكْرُ الزمان، وآيةٌ من آيات الرحمن، حتى إذا هالةُ القُبَّةِ آستدارتْ، وبالقمر السعد من وجه السلطان، أَيَّدَهُ الله، أنارتْ، مثلوا فسلّموا، وطافوا بركن مقامه وآستلموا»[1]. ثم وصف مدينة ألمريّة بقوله: «ألمريّة هنيّةٌ مريّة، بَحْرِيَّةٌ بَرِيَّة، أصيلةٌ سريّة، معقل الشموخ والإباحة، ومعدن المال وعنصر الجباية، وحبوة الأسطول (أي قاعدته)، غير المعلّل بالنصر ولا الممطول، ومحطّ التجار، وكرم النَّجار. . . بحرها مرفأ السفن الكبار»[2].

وذكر الدكتور سالم أنَّ ألمريّة أصبحتْ في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين أهمّ ثغور مملكة غرناطة بعد مدينة مالقة، بحيث لم يَبْقَ من هذه الثغور سوى ألمريّة والمُنَكَّب، ومالقة، وطريف، والجزيرة الخضراء، وجبل طارق[3].

٣ ـ بناء مدينة ألمريّة:

لم تكن ألمريّة مدينة قائمة في بلاد الأندلس عندما آفتتحها العرب المسلمون، بل هي من المدن التي آستحدثوها بعد الفتح على حدِّ قول آبن حوقـل: «وجميع مدنها (أي مدن الأندلس) قديمة أزليّة لم يُحْدَثْ بها في الإسلام غير مدينة بَجّانة وهي ألمريّة، هي على حدود رُسْتاق لبيرة»[4]. وذكر الحِميْري أنَّ عبد الرحمن الناصر[5] (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١ م) هو الذي أمر ببنائهـا في سنة أربـع وأربعين

---

(١) مشاهدات لسان الدين ص ٤٤. وآنظر أيضاً تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٥٢.

(٢) مشاهدات لسان الدين ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٠٢.

(٤) صورة الأرض ص ١٠٥. ولبيرة هنا هي إلبيرة.

(٥) هو الذي قال هذه الأبيات ردّاً على قاضيه منذر بن سعيد، الذي ظلَّ يَعِظُهُ ويُقَرِّعُهُ لإسرافه في البناء (الكامل):

هِمَمُ المُلُوكِ إذا أرادوا ذِكْرَها ... مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِألْسُنِ البُنْيانِ
أَوَ مَا تَرَى الهَرَمَيْنِ قد بَقِيَا وَكَمْ ... مُلْكٍ، مَحَاهُ حَادِثُ الأزمانِ
إنَّ البِنَاءَ إذا تعاظَمَ شَأْنُهُ ... أَضْحَى يَدُلُّ على عظيم الشانِ

المغرب (ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨٠) ونفح الطيب (ج ١ ص ٥٧٥).

وثلاثماية[1] / ٩٥٥ م. وفي نصّ العذري «وعليها سُوْرٌ[2] صَخْرٍ منيعٌ بناه الناصرُ أمير المؤمنين عبد الرحمن سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة»[3]، تأويلان؛ إمّا أنْ يكون الناصر قد شرع في بناء السُّوْر قبل بناء المدينة نفسها، أو أنّه شرع في السنة المذكورة في بناء المدينة والسور معاً، وفي التأويل الثاني مخالفة لِمَا جاء به الحِميْرَي. وإذا كان الحميري قد حدَّد تاريخ بناء ألمريّة، فإنّه في قوله: «وعليها سورٌ حصينٌ منيعٌ بناه امير المؤمنين عبد الرحمن»[4]، لم يحدِّدْ تاريخ بناء السورْ وآعتمد كريستيان اورت على الحميري في تحديده تاريخ تسوير ألمرية، بقوله: «في سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م سوَّر عبد الرحمن الثالث مدينة ألمريّة، وكانت آنذاك بمثابة ربض لمدينة بجّانة»[5].

وقبل بناء ألمريّة كان العربُ المسلمون قد آتّخذوا من موقعها القديم رباطاً للجهاد ينتجعونه ويرابطون فيه، وأصبح هذا الموقع مَرْأىً ومَحْرَساً بحريّاً لمدينة بجّانة[6] القريبة منها، وسمِّي بمريّة بجّانة. وأصبحت مريّة بجّانة فرضة بجّانة، على

---

(١) الروض المعطار ص ٥٣٧.

(٢) ذكر المستشرق الإسباني بَلْباس أنّه لم يتبقَّ من هذا السور سوى المطلع الذي يبدأ من البرج الأسْطواني الكبير القائم في طرف القصبة الغربي، وينتهي ببرج مربع الشكل له غرفة عليا. وكان هذا السور الغربي يمتدُّ من الطرف الغربي لقلعة القصبة بآتّجاه الجنوب، متتبعاً خطَّ سير وادي الرملة (لاشنكا La Chanca حتى يلتقي بسور المدينة القبلي. Almeria Islámica, p. 430.
وانظر أيضاً تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٤٢.

(٣) نصوص عن الأندلس ص ٨٦.

(٤) الروض المعطار ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٥) El mıhrāb de la mezquita mayor de Almeria, en Al-Andalus, XXXVI, p.393 - 394.

(٦) بجّانة Pechina: مدينة أندلسيّة مُحدَثَة، بُنيتْ في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الثاني (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ/ ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) مكان قرية قديمة على هيئة مدينة قرطبة. وكان قوم من أوباش الأندلس، سُمّوا بالبحريين، قد بنوها. وهي من أعمال ألمريّة، وقيل: تتبع لكورة إلبيرة. وتبعد عن المريّة خمسة أميال وسدس الميل، وقيل ستة أميال، وتقع في سهل منبسط شمالي ألمريّة، على الضفة اليسرى لنهر أندرش Andarax، الذي كان يعرف بوادي بجّانة ويعمُّ بالسَّقْي بساتينَ ألمريّة. ولقد آمتدَّ عمرانها، وطار صيتها، وظلت كرسيَّ مملكة ألمريّة، ثم خربت بعمارة مدينة ألمريّة، وذهب باقي عمارتها في سنة تسع وخمسين وأربعمائة / ١٠٦٦ م. راجع معجم البلدان (ج ١ ص ٣٣٩)، ونصوص عن الأندلس ص ٨٦ ـ ٨٧ والروض المعطار ص ٧٩ ـ ٨٠، ٥٣٨، والمغرب (ج ٢ ص ١٨٩ ـ ١٩٠)، ومشاهدات لسان الدين ص ٤٧، وتقويم البلدان ص ١٧٧، ووصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦، والمسالك والممالك للإصطخري ص ٣٥، ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٧٠)، وقطعة من كتاب =

حدِّ قول آبن حوقل: ومن قرطبة إلى ألمريّة فرضة بجّانة سبعة أيام»[1]، ثم تحوّلت إلى ألمريّة بعد أنْ تمصّرت[2]. ولذلك يرى الدكتور عبد العزيز سالم أنَّ آسم ألمريّة مشتقٌّ من كـلمة رأى: «وآسم ألمريّة مشتقٌّ من وظيفتها أو من الغرض الذي أقيمت من أجله، إذ كانت تُتّخذ في الأصل مرأىً بحريّاً لمدينة بجّانة»[3]. وذهب الأستاذ محمد عبدالله عنان إلى أنَّ آسمها مشتقٌّ من كلمتين عربيتين هما: «مرآة البحر»[4]. ويرى ياقوت أنَّ آسمها يجوز أنْ يكون آشتقَّ من فعل مَرَى: «ألمريّة، بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، ويجوز أنْ يكون من مَـرَى الدَّمُ يمري إذا جَرَى، والمرأة مَرْئية، ويجوز أنْ يكون من الشيء المريّ فحذفوا الهمزة»[5].

وقد تحدّث جغرافيّو الأندلس عن موقع ألمريّـة الجهادي قبـل بنائهـا، فقال العُذري: «وليست بأوَّليَّة ألمريّة العمارة، وإنّما آتّخذها العرب رباطاً، وآبتنت فيها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، ولا عمارة فيها يومئذٍ ولا سُكْنَى»[6]. وقال الحِمْيري: «وكان المجوس[7] لَمَّـا قدموا ألمريّة وتـطوفّوا بسـاحل الأنـدلس

= فرحة الأنفس ص ٢٨٣، وتاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٩، ٢٧ ـ ٢٨، ٣١ ـ ٣٢.

(١) صورة الأرض ص ١١١.

(٢) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٩، وتاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ٣٠ ـ ٣١.

(٣) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٩.

(٤) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ص ١٩١.

(٥) معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩).

(٦) نصوص عن الأندلس ص ٨٦.

(٧) المجوس هم القراصنة النورمان، وقد ورد ذكرهم في المراجع العربية بآسم الأرْدُمانيين أو المحوس، وهم من أصل جرماني، ويعرفون في اللغة الإسبانية بـ Normandes وفي الإنكليزية بـ Vikings والتسمية الأولى (Normandes) تعني سكان الشمال، نسبة إلى المنطقة الفرنسية المعروفـه بآسم Normandie الواقعة غرب باريس، وكانوا قد دخلوها في نهاية القرن التاسع الميلادي. والتسمية الثانية (Vikings) تعني سكان الخلجان وهي مشتقة من الكلمة النروجية Vik التي تعني ساكن الخليج، ثم أطلقت كلمة Vikings على سكان شبه الجزيرة الإسكندنافية (السويد والنرويج والدانمرك) سُمُّوا بالمجوس لأنّهم عندما غروا الأندلس راحوا يشعلون النار في كل مكان حَلُّوا فيـه، فظنَّ العـرب أنّهم يعـدون النـار كالزرادشتية والنورمـان الدانمـاركيون هم الـذين كانـوا يهاجمـون سواحـل المسلمين في الأندلس والمغرب وسواحل فرنسا وانكلترا. وقد تحدَّث المؤرخون عن نزولهم بسواحل الأندلس أيام الأميـر عبدالرحمن الثاني في عام ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م، وقيل: ٢٢٩ هـ/ ٨٤٣ م. كما تحدّثوا عن هجومهم الثاني على العدوة المغربيّة وسواحل الأندلس الغربيّة والشرقيّة أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن الثاني=

والعُدْوة، فآتّخذها العرب مرابطاً وآبتنت بها محارس، وكان الناس ينتجعونه ويرابطون فيها»[1].

ومنذ تأسيسها بدأ عمرانها يتّسع على حساب جارتها بجّانة، فبنى فيها عبدالرحمن الناصر القصبة التي نسبت فيما بَعْدُ إلى خيران العامري عندما ولّاه عليها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر[2]. وأغلب الظن أنّها نسبت إلى خيران لإقدامه

= في سنة ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م، وقيل: ٢٤٤ هـ/ ٨٥٨ م. والهجوم الثاني هو الذي عنى به الحِمْيري هنا. وبآتّصالهم بالفرنسيين تخلّوا عن ديانتهم الخاصّة، وآعتنقوا الديانة المسيحيّة، وآستبدلوا لغتهم بلغة الفرنسيين، وآتّبعوا الحياة الفرنسية. وفي القرن الحادي عشر الميلادي آستطاعوا أنْ يشكّلوا إمبراطورية نورماندية في صقلية التي أخذوها من المسلمين، وفي جنوب إيطاليا، وإنكلترا، كانت من أقوى الممالك الأوروبية آنذاك. وعن طريق آنصهار شعوب تلك الإمبراطورية قامت حضارة من الفن والمعمار ما تزال نماذجها قائمة في جزيرة صقلية حتى يومنا هذا. راجع المقتبس تحقيق د. مكي ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ والحاشية رقم ٤٩٦ ص ٥٩٦، والمقتبس تحقيق الحجي ص ٢٣ و٢٤٩ وما يليها (تعليق على صفحة ٢٣)، وتاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٣، والمغرب (ج ١ ص ٤٩)، والبيان المغرب (ج ٢ ص ٨٧، ٩٦ ـ ٩٧، ٢٤١)، والكامل في التاريخ (ج ١ ص ١٦)، والحلل الموشية ص ٥٤، وفي التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩، وتاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ٥٠ ـ ٥١ حاشية ٥ و Histoire de l'Espagne Musulmane, T. 1. p. 310 - 312. وموسوعة المعرفة (م ١ ص ٤٢ ـ ٤٣).

(١) الروض المعطار ص ٥٣٧. وانظر أيضاً مقدمة ديوان ابن خاتمة الأنصاري ص ٢٩.

(٢) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٣٢ ـ ٦٠. والحاجب المنصور هو أبو عامر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك المعافري. أصله من الجزيرة الخضراء، قدم قرطبة شاباً فطلب بها العلم والأدب وتمهّر فيهما. كانت له همّة لم تزلْ ترتقي من شيء إلى شيء إلى أن آعتنت به صبح أم هشام المؤيّد، فصارت له الحجابة. ولمّا توفي الحكم المستنصر وقُلّدَ آبنُهُ هشام الخلافة وهو صغير، ضمن آبن أبي عامر لصبح الاستقرار لابنها، فصار صاحب التدبير والتغلّب على جميع الأمور بالأندلس، وصار الخليفة هشام لا يحمل من الأمر غير الاسم. وكان أبو عامر غزّاء لأرض الروم؛ غزا بلادهم ستاً وخمسين غزاة لم ينهزم له فيها جيش فلقّب بالمنصور. اقتحم أرض جليقية وقشتالة وهو عليل، فقويت هنالك علّته، فحمل على سرير خشب، فوصل إلى مدينة سالم حيث توفي، وكان ذلك في سنة ٣٩٢ هـ/ ١٠٠١ م، فدامت دولته ستاً وعشرين سنة. راجع جذوه المقتبس ص ٧٨ ـ ٧٩، وبغية الملتمس ص ١١٥ ـ ١١٧، والحلة السيراء (ج ١ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٧)، والمغرب (ج ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٣)، والبيان المغرب (ج ٢ ص ٢٥٦ ـ ٢٦١)، والأعلام (ج ٦ ص ٢٢٦). أما خيران العامري، فقد كان مولى المنصور بن أبي عامر، وآنتهت إليه الشهرة بعد آنقراض الدولة العامريّة، وكان من خِيْرَة الموالي العامريّة، وممّن تخرّج في الفتنة التي وقعت بقرطبة وعرفت بالفتنة البربرية. حكم مدينة ألمريّة وأعمالها فدبّر أمرها إلى أنْ هلك فيها سنة

آنذاك على تحصينها بالأسوار المنيعة التي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا»[١]. وقد أشار آبن الخطيب والمقّري إلى ذلـك، فقال الأول: «وعَـوَّلَ (أي خيران) على ألمـريّة فأحسن ضَبْطَها وحَصَّن قصبتها»[٢]. وقال الثاني: «ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران، بناها عبدالرحمن الناصر، وعظمت في دولة المنصور بن أبي عامر، ووَلَّى عليها خيرانَ، فنسبت القلعة إليه»[٣]. وقول آبن سعيد الأندلسي، نقلاً عن «مُسْهِب» الحِجاري: «وبنى فيها خيران العامريُّ قلعته العظيمة المنسوبة إليه»[٤]، فيه نظر؛ لأنَّ خيران عندما دخل ألمريّة كانت قصبتها قائمة البنيان، بدليل أنّه آنتـزعها من أفلح الصقلي العامري الذي كان قد تحصَّن فيها[٥]. كذلك لا يمكننا أنْ نطمئنَّ إلى قول الأستاذ عنان: وترجع هذه القصبة إلى بداية عهـد الطوائف، وينسب إنشـاؤها إلى خيران الفتى العامري، ولذا كانت تُسمَّى قلعة خيـران[٦]؛ لأنَّ هذا القـول يعتريـه غموض وعدم دقّة في تعيين بانيها الحقيقي.

وآتّخذت مدينة ألمريّة شكل مستطيل بلغ طوله حوالي خمسمائة وستين متراً، وبلغ عرضه حوالي ثلاثماية وخمسين متراً، وكانت تمتدُّ ما بين القلعة المنسوبة إلى خيران العامري شمالاً والساحل جنـوباً، وكـان يحدُّهـا من الشرق والغـرب واديانِ ضحلان، وأقيم في وسطها المسجد الجامع الـذي توزَّعتْ حـول ساحتـه الأسواق والحمّامـات والفنادق، وفي جنوبها القَيْسارِيَّة، وفي جنوبها الشرقي دار الصناعة[٧].

= ٤١٩ هـ/ ١٠٢٨ م فكانت مدة ولايته بها أربع عشرة سنة. انظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٤)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٠ ـ ٢١٥)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٦)، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٦٩، ٢٩١)، والصقالبة في إسبانيا ص ١٧ ـ ١٨.

(١) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١١)

(٣) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢).

(٤) المغرب (ج ٢ ص ١٩٣).

(٥) راجع نصوص عن الأندلس ص ٨٢ ـ ٨٣، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١١). وسيرد الحديث عن أفلح العامري في الصفحة ٢٩ من هذا البحث تحت عنوان: «ألمرية مملكة مستقلة»، فأنظرها.

(٦) الآثار الأندلسية ص ١٩٢.

(٧) انظر تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١١٠، ١١٦، وتاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ١٦٩، و Almeria Islámica, p.430 - 436.

٤ ـ ألمريّة حاضرة المملكة:

تبوّأت ألمريّة مركز العاصمة منذ سنة خمس وأربعمائة للهجرة / ١٠١٤ م على يد خيران العامري. ومنذ بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي والوفود ترد إليها من مدن الأندلس، ولا سيما من قرطبة التي طحنتها الفتنة البربريّة، ومن بجّانة التي بدأت تخرب بعمارة ألمريّة. ومن بين الذين لجأوا من قرطبة الفقيه الأديب أبو محمد علي بن حزم، وذلك في أول المحرم من سنة أربع وأربعمائة / ١٠١٣ م[١]. وقد ذكر لنا هذا الأديب خبر لجوئه إلى ألمريّة بقوله: «أَلْقَتِ الفتنةُ جِرَانَها، وأَرْخَتْ عَزَالَيْها، ووقع آنتهاب جُنْدِ البربرِ مَنَازِلَنَا في الجانب الغربي بقرطبة ونزولهم فيها... وتقلَّبَتْ بي الأمورُ إلى الخروج عن قرطبة وسُكْنَى مدينة ألمريّة»[٢]. وأشار العذري إلى آنتقال أهل بجّانة إلى ألمريّة في بداية القرن الخامس الهجري، فقال: «وآنتقل أهل بجّانة إلى ألمريّة سنة آثنتين وأربعمائة»[٣]. وبدوره يشير الحِمْيري إلى هذا الأمر بقوله: «وكانت بجّانة في القديم هي المدينة المشهورة قبل ألمريّة، فآنتقل أهلها إلى ألمريّة فعمرت، وخربت بجّانة ولم يَبْقَ منها إلّا آثار بنيانها، ومسجد جامعها قائم بذاته[٤]. ويقول شيخ الربوة: «ولمّا خربت بجانة انتقل أهلها إلى ألمريّة»[٥].

وهكذا اختار هؤلاء القادمون ألمريّة ملجأً لهم؛ لأنّهم وجدوا فيها حياة هادئة لا تتوفَّر في غيرها من مدن الأندلس. ولضيقها عن آلاتّساع لهذه الوفود كان من الطبيعي أنْ تتكوّن بُؤْراتٌ عمرانيّة على جانِبَيْها الشرقي والغربي فيما وراء أسوارها؛ إذ كان من المستحيل أنْ يمتدَّ العمران لجهة الشمال لاعتراض جبل القصبة، أو لجهة الجنوب لوجود البحر، فآمتدَّ العمران فيها شرقاً بآمتداد فحصها الفسيح وهو سهل ساحلي، وغرباً في المناطق الواقعة بين وادي الرملة الذي يعرف اليوم بآسم «رملة لاشانكا»، وبين جبل الكنيسة، ليتكوّن بالتالي رَبَضَا ألمريّة الشرقي والغربي[٦].

---

(١) رسائل ابن حزم (ج ١ ص ٣٨).

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٠ ـ ٢٦١، وطوق الحمامة ص ٢٦١.

(٣) نصوص عن الأندلس ص ٨٢.

(٤) الروض المعطار ص ٨٠

(٥) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ص ٢٤٣).

(٦) انظر تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١١١.

٥ ـ أعمالها:

تنحصر أعمال ألمريّة ببجّانة، وبَرْجَة، ودَلاَيَة، وشَنَش، وطَبَرْنَش، وأَنْدَرَش، وَمْرشَانٍ، ودُوْجَر.

وبجّانة Pechina مدينةٌ أندلسيّةٌ مُحَدَثَةٌ، بُنِيَتْ في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ/ ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) مكان قرية قديمة على هيئة مدينة قرطبة[١]. وقد جعلها آبن غالب تابعة لكورة إلبيرة[٢].

وتقع مدينة بَرْجَة إلى الجنوب الغربي من مدينة ألمريّة، على نهر بهيج يعرف بوادي عذراء، وكانت الجنّات تحدق بها[٣].

ودَلاَيَة Dalias بلدٌ ساحلي قريب من ألمريّة، وقيل: قرية[٤]. وجعلها أبو عبيد البكري تابعة لإقليم البُشُرّة[٥] Alpujarras. وكانت برجة ودلاية عبارة عن مُتَنَزَّهَيْنِ يقصدهما المعتصم ابن صمادح ويُقيم فيهما أياماً للراحة والهدوء، بعيداً عن صخب العاصمة وشؤون الحكم فيها. ولقد وصفهما آبن خاقان في ترجمته للمعتصم بقوله: «وخرج (أي المعتصم) إلى بَرْجَة ودَلاَيَة وهما نظرانِ لم يَجُل في مثلهما ناظر، ولم تَدَع حُسْنَهُما الخدودُ النواضر، غصونٌ تُثَنِّيها الرياح، ومياهٌ لها آنسياح، وحدائقُ تهْدي الأَرَجَ والعَرْف، ومنازلُ تُبْهِجُ النَّفْسَ وتُمتّع الطَّرْف، فأقام فيها أياماً يتدرّج في مسارحها، ويتصرّف في مَنَازهها ومسايحها، وكانت نزهة أَرْبَتْ على نزهة هشام[٦]

---

(١) سبق وتحدّثْنا عن بجّانة ص ٢٠ حاشية ٦.

(٢) قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٤.

(٣) انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٢٨)، وقلائد العقيان ص ٥١، ومشاهدات لسان الدين ص ٨١ ـ ٨٢، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠ ـ ١٥١) وتاريخ ألمرية الإسلامية ص ٤١.

(٤) راجع معجم البلدان (ج ٢ ص ٤٦٠)، والروض المعطار ص ٢٣٦، ومشاهدات لسان الدين ص ٨٢، والإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٩٨)، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٣٠٨، وقلائد العقيان ص ٥١، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤١)

(٥) جغرافية الأندلس ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٦) هو الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك باني الرصافة على أربعة فراسخ من الرقّة غرباً، وهي غـ رُصَافَتَيْ بغداد والبصرة، وكان يسكنها صيفاً، وتوفي فيها سنة ١٢٥ هـ/ ٧٤٢ م. انظر الكامل ف التاريخ (ج ٥ ص ٢٦١)، والأعلام (ج ٨ ص ٨٦).

بدير الرصافة، وأنافتْ عليها أيَّ إنافة»[1].

أمّا حِصْن شَنَش، فهو على مرحلة من ألمريّة، وله وادٍ يعرف بوادي طَبَرْنَش Tabernas[2]. وطَبَرْنَش بلد كبير يقع شرقي ألمريّة[3].

وأَنْدَرَش Andrax مدينة مشهورة بهوائها النقيّ، وجنّاتها ذات المناظر الخلاّبة، ونهرها المنساب، وحِصْنها المنيع[4]. وجعلها ياقوت من كورة إلبيرة[5]. والمدينة غير موجودة الآن، ولكنّه لا يزال آسم «أَنْدَرَش» يطلق على نهر هناك ينبع من جبال شلير Sierra Nevada وينحدر شرقاً وجنوباً ثم يصبُّ في البحر المتوسط عند ألمريّة[6].

وقد وصف والد آبن سعيد نهرها بقوله (المديد):

خَلِّني في نَهْرِ أَنْدَرَشٍ كَيْ أُرَوِّي عِنْدَهُ عَطَشي
مَدَّ منه مِعْصَمٌ نَضِرٌ في بسيطٍ بالرياض وُشي
عندما أَبْصَرْتُ بَهْجَتَهُ جِرْتُ مِنْ فِكْرٍ ومِنْ دَهَشِ[7]

ومَرْشانة حِصْنٌ يبعد عن ألمريّة ثمانية عشر ميلاً[8]. وجعلها ياقوت من أعمال قرمونة[9]. ودوجر حِصْنٌ على وادي ألمريّة، بينهما آثنا عشر ميلاً[10].

وقد ذكر أبو الفداء فقط خمسة من أعمال ألمريّة: «ومن أعمالها حِصْنُ بجّانة على ستة أميال منها، وحِصْنُ بَرْشانة، وحِصْنُ شَنَش، ومدينة بَرْجَة، ومدينة أَنْدَرَش»[11]. وذكر آبن سعيد، ضمن التقسيم الإداري لمملكة ألمريّة، فقط ستةً من أعمالها هي: بجّانة، وبَرْجة، وشَنَش، وأَنْدَرَش، ومَرْشانة، ودُوْجَر[12].

---

(1) قلائد العقيان ص ٥١. كذلك ورد النصّ في نفح الطيب (ج ١ ص ٦٦٧).

(2) انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٢٥) ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٤). ومعنى طبرنش Tabernas بالإسبانية: حانات وحمارات.

(3) انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٤، واللمحة البدرية ص ١٩ والحلل السندسية (ج ١ ص ٢٠٤).

(4) المغرب (ج ٢ ص ٢٣٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٩٦)، ومشاهدات لسان الدين ص ٨٨.

(5) معجم البلدان (ج ١ ص ٢٦٠)

(6) مشاهدات لسان الدين ص ٨٨ حاشية ١.

(7) المغرب (ج ٢ ص ٢٣٥).

(8) المصدر نفسه ص ٢٢٣.

(9) معجم البلدان (ج ٥ ص ١٠٧).

(10) المغرب (ج ٢ ص ٢٢٧).

(11) تقويم البلدان ص ١٧٧.

(12) المغرب (ج ٢ ص ١٨٩).

مملكة ألمريّة في عهد آستقلالها عن الخلافة

لمحة عامّة:

في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة للهجرة / ١٠٣٠ م خُلِعَ المُعْتَدُّ هشامُ بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، آخرُ خلفاء بني أميّة بالأندلس، فآنتثر سِلْكُ الخلافة، وآنحلَّ عِقْدُ الجماعة، وآنقطعتِ الدولةُ الأمويّة من الأندلس، وآنتزى أصحاب الأطراف والأمراء والرؤساء من العرب والبربر والموالي بالجهات، وآقتسموا خطَّتَها، وقامت في كل مدينة دويلة، فتكونت، بذلك ثلاث وعشرون دويلة سميت بدول الطوائف. وهكذا لم تَعُدِ الأندلسُ تخضع لشخص واحد، فاستقل بأمرها ملوكٌ آستفحل أمرهم وعظم شأنهم، فغدروا ببعضهم البعض، وتغلَّب بعض على بعض، وأحالوا الأندلس إلى مسرح للتناحر العقيم الذي لم يكن وراءه إلاّ سَفْكُ دماء الرعيّة وآنتهاكُ الحُرُم والأموال[1].

وقد وصف لنا آبن الكَرْدَبُوس حال ملوك الطوائف بقوله: وخَلُصَ المُلْكُ للفنش بن فردلند، وآستبدَّ به، وآستفحل أمره، وآستحكم في المسلمين طَمَعُهُ... فبذلوا للفنش ما يُحِبُّه من الأموال ليعينهم على مناوئهم بإنجاد الرجال، واللَّعِيْنُ في أثناء ذلك، لِمَا بينهم من الفتنة، مسرور، وهم مع ذلك مشتغلون بشرب الخمور، وآقتناء القيان، وركوب المعاصي، وسَمَاع العِيْدان، وكلُّ واحدٍ منهم يتنافس في شراء الذخائر الملوكيّة متى طرأت من المشرق كي يوجِّهَها إلى آلفنش هديّة ليتقرَّب بها

(١) انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٣٠١، ٤٣٨)، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٨٤).

إليه. . . وصاروا للفنش عُمّالاً يَجْبُوْنَ له الأموال، لا يخالف أَمْرَهُ أَحَدٌ، ولا يتجاوز له أحد»[1].

ووصفهم الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة بقوله: «فتنافَسُوا على الدُّنْيا، وطمع كلٌّ واحدٍ في الآخر. وكذلك لا يَصِحُّ أمرٌ بين نَفْسَيْنِ، فكيف سلاطينُ كثيرةٌ وأهواءٌ مختلفة»[2].

كما أورد ابن الخطيب نَبْذَةً عن أحوال هؤلاء الملوك بعد خلافهم، وقال: «وآقتسموا المدائن الكبار. . . وآنتحلوا الألقاب. . . ومن معتمدٍ، وَمُرْتَضىً، ومُوَفَّقٍ، ومُسْتَكفٍ، ومُسْتَظْهَرٍ، ومُسْتَعِينٍ، ومنصور، وناصر، ومُتَوَكِّلٍ، كما قال الشاعر (البسيط):

مِمَّا يُزَهِّدُني في أرض أندلسٍ	أسماءُ مُعْتَضِدٍ فيها ومُعْتَمِدِ
ألقابُ مملكةٍ في غَيْرَ مَوْقِعِها	كالهِرِّ يَحْكي آنتفاخاً صورةَ الأَسَدِ[3]»

ويقدِّمُ لنا المَقَّري صورة واضحة عن ملوك الطوائف، وذلك بقوله: «وصار ملوك الطوائف يتباهَوْنَ في أحوال المُلْك، حتى في الألقاب، فآلَ أمرهم إلى أنْ تلقّبوا بنُعُوْت الخلفاء. . . ولأَجْل تَوَثُّبهم على النعوت العباسيّة قال آبن رشيق القيرواني: مِمَّا يُزَهِّدُني. . . صَوْلَةَ الأسد»[4]، وهما البيتان المذكوران آنفاً ويضيف: وكان المعتمد ابن عبّاد، ملك إشبيلية، أعظم هؤلاء الملوك، فَعَلَتْ يَدُهُ على عبد اللّه بن بُلُقِّين الصنهاجي، ملك غرناطة، والمتوكّل عمر بن محمد بن الأفطس، ملك بَطَلْيَوْسَ والمعتصم ابن صمادح، ملك ألمريّة، فكانوا يخطبون

---

(1) تاريخ الأندلس ص ٧٦ - ٧٧.

(2) مذكرات الأمير عبدالله ص ١٨.

(3) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٤٤). وقد ورد هذان البيتان في وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٢٨) بآختلاف يسير عما هنا، ونسبها ابن خَلِّكان إلى آبن عمّار وقال: كانا من أسباب قتله. وآستشهد بهما عبدالواحد المراكشي في المعجب ص ٤٧ بعد أنْ ذكر أحوال الأندلس بعد آنقطاع الدعوة الأمويّة عنها وآقتسام ملوكها ألقاب الخلافة، فنسبهما إلى أبي علي الحسن بن رشيق، ورواهما هكذا:

مِمَّا يُزَهِّدني في أرض أندلسٍ	سَمَاعُ مُقْتَدِرٍ فيها ومُعْتَضِدِ
ألقابُ مملكةٍ في غَيْرِ مَوْضعها	كالهِرِّ يحْكي آنتفاخاً صَوْلَةَ الأَسَدِ

(4) نفح الطيب (ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤).

سِلْمَهُ، فأصبح مُتَمَلِّكَ أكثر بلاد الأندلس، وكان مع ذلك يُؤدِّي الجزية إلى الأذفونش ملك الفرنج كل سنة، وذهب مذهبه في تأدية الجِزَى سائر ملوك الطوائف، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان، حتى قطع إليهم البحرَ ملكُ العُدْوَة المغربيّة يوسف بن تاشفين اللَّمْتُوْني، فخلصهم وَفَتَكَ فيهم، وأَخْلَى منهم الأرض[1].

١ ـ ألمريّة مملكة مستقلّة:

بآنتقال الأندلس من نظام الخلافة إلى نظام المملكة أو الإمارة يُوْجِبُ علينا أنْ نتحدَّث عمّا صارت عليه ألمريّة في ذلك الوضع السياسي الجديد، فنقول: إنَّ أول من آستقلَّ بالمريّة هو خيران الفتى العامري[2] (٤٠٥ ـ ٤١٩ هـ / ١٠١٤ ـ ١٠٢٨ م)، ثم صار الأمر بعده إلى صاحبه زهير الفتى العامري (٤١٩ ـ ٤٢٩ هـ / ١٠٢٨ ـ ١٠٣٧ م)، ثم ملكها المنصور عبد العزيز بن عبدالرحمن بن المنصور العامري (٤٢٩ ـ ٤٣٣ هـ / ١٠٣٧ ـ ١٠٤١ م)، ثم معن بن صمادح (٤٣٣ ـ ٤٤٣ هـ / ١٠٤١ ـ ١٠٥١ م) ثم آبنه المعتصم (٤٤٣ ـ ٤٨٤ هـ /١٠٥١ ـ ١٠٩١ م).

وقد روى لنا العُذْري خبر آستيلاء خيران العامري على مدينة ألمريّة، فقال: كانت بجّانة وألمريّة وأعمالها بيد آبن صاعد، فوليها بعده عبدالرحمن بن رويش سنة أربعمائة / ١٠٠٩ م، ووليها معه أفلح العبد وشاركه في الولاية. ثم وقع خلاف بينهما فتقاتلا، وأفلحُ في قصبة ألمريّة، وعبدُ الرحمن في مدينتها، فهرب عبد الرحمن من ألمريّة ونَزَلَ في جامع بجّانة، ودُخِلَ عليه في مقصورتها، وقُتِلَ هنالك، وآستُجْلِبَ رأسُه وجثّته إلى ألمريّة. ودخل خيرانُ مدينة ألمريّة في المحرّم سنة خمس وأربعمائة / ١٠١٤ م وقاتل أفلحَ وضيَّقَ عليه حتى قتله وأخذ القصبة، فتوطَّدتِ ألمريّةُ وأعمالها عندئذٍ لخيران، وقام فيها مقاماً محموداً[3]. وأضاف: «وزاد في قبلة جامع

---

(١) نفح الطيب (ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩) و(ج ٢ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧). وانظر أيضاً الكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ١٤٢)، ومذكرات الأمير عبدالله ص ١٢٤، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٢٧ ـ ٢٨).

(٢) كان عدد الفتيان العامريين الكبار في عهد المنصور محمد بن أبي عامر سبعة، وأصبح عددهم في عهد عبد الملك ابن المنصور محمد بن أبي عامر ستة وعشرين فتى، عرفوا جميعاً بالخلفاء، وكان من مشاهيرهم مظفّر ومجاهد وخيران وزهير، راجع أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٣) نصوص عن الأندلس ص ٨٢ ـ ٨٣.

ألمريّة سنة عشر وأربعمائة / ١٠١٩ م زيادة جميلة آتّسع بها جامع ألمريّـة. وبَنى خيرانُ الفتى السُّوْرَ الهابطَ من جبل لَيْهَمْ إلى البحر، وجعل له أربعة أبواب. وتوفي خيران هذا في جُمادى الآخرة سنة تسع عشرة وأربعمائة»[١].

وبدوره يفصِّل آبن الخطيب خبر حصول خيران على ألمريّة، فيقول: بعد أنّ بـويع[٢] المستعين سليمـان بن الحكم خليفةً على الأنـدلس دخل قـرطبة وحـارب المماليك العامريين، إذ كانوا غير راضين بخلافته، فآنهزم أميرهـم خيران، وفرَّ عن الحاضرة قرطبة، وقصد شرق الأندلس حيث أصحابه ينتزون. ثم آستقرَّ بأُرْيُوْلَة[٣] سنة أربع وأربعمائة / ١٠١٣ م، إلى أن آستولى على الجهة وتغلَّب على مرسية[٤]، ثم صرف وجهه إلى طلب ألمريّة، وكان بها أفلح الصقلبي، فتعبأ له خيران في جيشه من مرسية غرّة المحرّم سنـة خمس وأربعمائـة للهجرة / ١٠١٤ م، فنـازله ودخـل ألمريّة، وتغلّب على قصبتهـا، فَقُتِلَ أفلحُ وولـده. وأحسن خيران ضبط المـدينة، وحصَّن قصبتها، وآتّخذها قاعدة لسلطانه، وآستوسع فيما يليها من الأعمال، وعدل في سيرته، ورَفَقَ برعيَّته، وآجتمع له إلى شجاعة النفس جودة الرأي وحسن التدبير، فوصف بالخليفة الفتى الكبير[٥]. وأضاف: جرتْ بين خيران وبين من يجاوره من أمراء صِنْهاجة بغرناطة حروب، فلم يَفُلُّوا من صَرْمِه[٦].

(١) المصدر نفسه ص ٨٣. وستذكر الأبـواب الأربعة في الصحيفـة ١٣٨ من هذا البحث عنـد دراسة أبـواب ألمريّة.

(٢) بويع خليفة في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للهجرة /١٠٠٨ م، ودخل قرطبة في السنة التالية.

(٣) أُرْيُوْلَة Orihuela: مدينة بشرق الأندلس من كورة تدمير. معجم البلدان (ج ١ ص ١٦٧)، ونصوص عن الأندلس ص ١٦، والآثار الأندلسية ص ١٢٨ ـ ١٣٠.

(٤) مرسية Murcia: مدينة بشرق الأندلس من كورة تدمير. تقع على نهر كبير، وقد بناها الأمير عبدالرحمن الأوسط سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م، فخلفت تدمير، وأصبحت كورة تدمير تسمَّى كلُّها بآسمها، وكانت القاعدة قبلها أُرْيُولَة. وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، وكان بها منزل آبن مَرْدَنِيْش Martinez، فآنعمرت في أيامه، حتى صارت قاعدة الأندلس. راجع معجم البلدان (ج ٥ ص ١٠٧)، والروض المعطار ص ٥٣٩، ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٣٣١)، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٦ حاشية ٣)، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٥، والآثار الأندلسية ص ٧٤ ـ ٧٦.

(٥) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٠ ـ ٢١٢).

(٦) المصدر نفسه ص ٢١٢.

وأوجز آبن الأثير خبر آستيلاء خيران على ألمريّة بقوله: لَمَّا مَلَكَ سليمان المستعين قرطبةَ حارب خيرانَ العامريَّ؛ لأنّه كان من أصحاب الخليفة هشام المؤيدّ، فآنهزم خيرانُ في جماعة كثيرة من الفتيان العامريين، وجُرِحَ عدّة جراحات، وتُرِكَ على أنّه مَيِّت، فلمّا فارقوه قام يمشي، فأخذه رجل من البربر إلى داره بقرطبة وعالجه فَبَرَأَ، وأعطاه مالاً، وخرج منها سرّاً إلى شرق الأندلس، فكثر جمعه، وقويت نفسه، وملك ألمريّة، فغلظ أمره وعظم شأنه[1].

ثم آعتلَّ خيران العامري بألمريّة أشهراً إلى أنْ توفي بها سنة تسع عشرة[2] وأربعمائة / ١٠٢٨ م، فكانت مدة ولايته بها أربع عشرة سنة، وصار الأمر إلى أبي القاسم زهير الفتى العامري[3].

وكان خيران قد آستقدم زهيراً[4] العامري، وزهير أميرٌ بمرسية مِن قِبَلِهِ - ورشَّحه لمكانه، فتسلَّم مقاليد الحكم يوم الجمعة لثلاثٍ خَلَوْنَ من جُمادى الأولى سنة تسع عشرة وأربعمائة / ١٠٢٨ م، وقام بالأمر أحمدَ قيام[5]، فدامت مدتة عشرة أعوام ونصفاً[6]، امتدَّتْ خلالها أطناب مملكته من ألمريّة إلى قرطبة ونواحيها، وإلى شاطبة وبيّاسة، وإلى الفجِّ من أول طلطيلة[7]. وذكر آبن الخطيب أنَّ زهيراً مَلَكَ قرطبةَ ودخل قصرها يوم الأحد لخمسٍ بَقِيْنَ من شعبان سنة خمس وعشرين

---

(١) الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٦٩).

(٢) قال ابن سعيد نقلاً عن الحجارى :« وتوفّي خيران سنة ثماني عشرة وأربعمائة /١٠٢٨م، وصارت ألمريّة وجيّان لصاحبه زهير العامري» المغرب (ج ٢ ص ١٩٤). وقال آبن الأثير: «وبقي (أي خيران) بها (أي بألمريّة) إلى سنة ثماني عشرة وتوفي، وقيل: سنة تسع عشرة، وصارت ألمريّة بعده لصاحبه زهير العامري». الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧٨).

(٣) انظر أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٥)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٦) وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٩).

(٤) خصّص الدكتور أبو الفضل فصلاً عن زهير وخيران في كتابه تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ٧٧ ـ ١١٨ بعنوان: «ألمرية في عهد خيران وزهير العامريين». وانظر أيضاً ما كتبه عنهما الدكتور سالم في كتابه: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٥٨ ـ ٧٤.

(٥) وصفه الأمير عبدالله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة، بالغباوة والجهل. مذكرات الأمير عبدالله ص ٣٤

(٦) في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٦): عشرة أعوام.

(٧) انظر أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٦)، والإحاطه تحقيق عنان (ج ١ ص ٥١٧ ـ ٥١٨)، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١)، ونصوص عن الإندلس ص ٨٣

وأربعمائة/ ١٠٣٣ م، ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهراً ونصف الشهر[١]، وذكر الأمير عبدالله في مذكّراته أنّ الطمع أدرك زهيراً في غرناطة بعد موت أميرها حَبُّوس بن مَاكْسَنْ، فأتى حتى نَزَلَ على مقربة منها، بموضع يُعْرَف بالفُونْت، محتقراً لأميرها الجديد باديس بن حَبُّوْس، فكانت الدائرة على زهير، فآنهزم وقتل جميع من كان معه من الخصيان، وخفي عن العسكر، فلم يوجد حَيّاً ولا مَيّتاً، وكانت أول سعادة باديس[٢]. وعلّق آبن سعيد على نتائج هذه المعركة بقوله: «وعظم ملكه (أي ملك باديس) بهزيمة زهير ملك ألمريَّة، وقَتْلِهِ واستيلائه على خزائنه»[٣]. وذهب آبن بسام إلى أنّ مهلك زهير وأصحابه كان «على يدي أحمد بن عباس، وزيره المدبِّر لسلطانه، إذ كان في باطنه فاسد الضمير عليه، حريصاً على إيراطِهِ والحصول على ألمريّة مكانه»[٤]. ولقد أوضح آبن عذاري دور هذا الوزير في مهلك أميره زهير فذهب إلى أنّه هو الذي أشار على زهير بغزو باديس بغرناطة[٥].

وخلّد زهير بألمرية آثاراً ذكرها العذري في قوله: «وبنى وزاد في جامع ألمريّة من غَرْبِيِّهِ وشرقيِّهِ وجَوْفِيِّهِ بلاطاً من كل ناحية، وعظم المسجد، وَحَبَسَ عليه الفنادقَ والحوانيت التي في قِبْلِيِّ الجامع وفي شرقه وفي كثير من جَوْفِيِّه. وبنى السقاية، وجلب الساقية إليها من النَّطِيَّة، وكثر الماء بألمريّة. وبنى السُّوْرَ الذي في ساحل ربض المُصَلَّى. وقتل يوم الجمعة في آخر شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وآختلف فيمنْ قَتَلَهُ، ولم يوقف له على حقيقة ذلك»[٦].

وآتّصل خبر موت زهير بأهل ألمريّة، فضبطوا بلدهم، وأسندوا أمرهم إلى شيخهم أبي بكر الرِّمِيْمي[٧]، فضبط المدينة إلى أنْ كاتَبَ أَهْلُها أبا الحسن

---

(١) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٦)، والإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٥١٨). والجدير بالذكر أنّ أبا الحزم جَهْوَرَ بن محمد بن جهور كان قد مَلَكَ قرطبة سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة /١٠٣٠م، وهلك فيها في محرّم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة /١٠٤٣م. تاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٣).

(٢) مذكرات الأمير عبدالله ص ٣٤ - ٣٥. وانظر أيضاً البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٦ - ١٦٧)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٦ - ٢١٧)، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٩).

(٣) المغرب (ج ٢ ص ١٠٧).

(٤) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٦١ - ٦٦٢).

(٥) البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٩٣).

(٦) نصوص عن الأندلس ص ٨٣.

(٧) أصل بني الرِّميمي من بني أمية حكام الأندلس، نُسِبوا إلى رميمةَ وهي قرية من أعمال قرطبة. نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٣٤)

المنصور[1] عبد العزيز بن عبدالرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر المعافري، صاحب بلنسية، فلحق أبو الحسن بألمريّة سنة تسع وعشرين وأربعمائة / ١٠٣٧ م، ودخل قصبتها، ووجد بيت مالها مملوءاً ذهباً وجواهرَ وغير ذلك، فنقل ذلك كلَّه إلى مدينة بلنسية[2].

ولمَّـا ملك عبدالعزيز المنصور ألمريّة حسده أبو الجيش مجاهد[3] بن عبدالله العامري، صاحب دانية Deniaوالجزائر الشرقية؛ فخرج غازياً بلاد عبد العزيز وهو بألمريّة مشتغلٌ في تركة زهير العامري، فلمّا سمع عبد العزيز بخروج مجاهد خرج إليه من ألمريّة، وقدَّم عليها آبنه عبيدالله وسمّاه الناصر، وآستوزر له صهـره ووزيره أبا الأحوص معن بن أبي يحيـى[4] محمدبن أحمد بن صمادح التجيبي. وما إنْ وارى

(١) بايعه الموالي العامريّون بشاطبة سنة إحدى عشرة وأربعمائة / ١٠٢٠ م، فآستبدَّ بها، ثمّ ثار عليه أهل شاطبة فأفلت ولحق ببلنسية فملكها سنة آثنتي عشـرة وأربعمائـة / ١٠٢١ م. وفوّض أمـره للموالي العامريين، وطالت مدة ولايته فيها إلى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة / ١٠٦٠ م. انظر البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٤ ـ ١٦٥، ٣٠١ ـ ٣٠٢)، والكـامل في التـاريخ (ج ٨ ص ٢٨٩)، وأعـمـال الأعمال (القسم الثاني ص ١٩٤ ـ ١٩٥)، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤).

(٢) راجع نصوص عن الأندلس ص ٨٤، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٧)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧، ١٩١)، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٦٣) وفيه أنَّ عبدالعزيز لحق بألمريَّة منسلخ ذي القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة / ١٠٣٥ م.

(٣) مجاهد العامري روميُّ الأصل، قرطبيُّ المولد، نُسِب إلى المنصور بن أبي عامر، وقيل: إلى ولـده عبدالرحمن بن المنصور بن أبي عامر. خرج من قرطبة إثر الفتنة البربريّة، وآنتقل إلى دانية فآستقلَّ بها، ثم آستولى على الجزائر الشرقيّة ميّورقة ومنورقة ويابسة. كان من أهل الشجاعة والأدب والعلم والمعرفة، اجتمع بداره أعلام كبار مثل آبن عبد البر وآبن سِيْده. دامت إمـارته إلى أنْ تـوفي سنة ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤ م، فقام بالأمر بعده آبنه علي بن مجاهد المسمَّى إقبال الدولة. انظر أعمال الأعلام (القسم الثـاني ص ٢١٧ ـ ٢٢٠)، وجذوة المقتبس ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤، وبغيـة الملتمس ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٤٥، ١٥٥ ـ ١٥٦)، والمغرب (ج ٢ ص ٤٠١)، ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٤٣٤)، والأعلام (ج ٥ ص ٢٧٨).

(٤) أبو يحيى هو جدُّ المعتصم ابن صمادح، كان والياً على مدينة وشْقة Huesca وأعمالها في أيام الخليفة المؤيّد هشام بن الحكم الأموي، ثم تخلّى عنها لابن عمّه منذر بـن يحيى التجيبي، ثم كان له بالخليفة سليمان المستعين آتّصال فثنّى له الوزارة وأمضاه على عمله. راجع التكملة (ح ١ ص ٣٨٢)، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٩ ـ ٧٣٠)، والحلة السيـراء (ج ٢ ص ٨١)، ووفيـات الأعيـان (ج ٥ ص ٣٩)، =

عبد العزيز وجهه عن ألمريّة حتى غدر به معن، وخلع طاعته، ودعا لنفسه أميراً على ألمريّة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة / ١٠٤١ م، وَمَلَكَها، ودانت له لورقة وبيّاسة وجيّان وغيرها، فتمَّ له الأمر وآستتبّ[١]. وكان باديس من مؤيدي ابن صمادح في انقلابه هذا[٢]. وقد ذكر العُذْري صفات معن، وملخّص ما قاله إنّه كان من أهـل الدهاء والفضل والعلم والآداب، محمود السيرة بين الناس بحيث كانوا معه في دَعَةٍ وسكـون، وإنّه سَدَّ باب البَغْي وحمل الناس على العدل والإنصاف، وإنَّ الرِّيْعَ آنتهى في أيامه منتهاه[٣].

وهلك معن في شهـر رمضان من سنـة ثلاث وأربعين وأربعمـائة للهجـرة[٣] / ١٠٥١ م[٤]. واكتفى أبو الفداء وابن الوردي بالقول: أمّا ألمرية، فَمَلَكها خيران العامريّ، ثم زهير العامريّ، ثم قُتل زهير وصارت مملكته إلى المنصور عبدالعزيز بن عبدالرحمن المنصور بن أبي عامر، ثم انتقلت حتى صـارت للملثمين[٥].

٢ ـ المعتصم ابن صمادح يتسلّم حكم ألمريّة:

بموت معن ينتقل الحكم إلى ولده أبي يحيى محمد بن معن في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة للهجرة[٦] / ١٠٥١ م. وكان أبوه قد أخذ له البيعة في حياته بعد أن عرضها على أخيـه[٧] أبي عتبة صمـادح بن أبي يحيى محمد بن صمـادح فأبى

= والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣).

(١) انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٠ ـ ٧٣١)، ونصوص عن الأندلس (ص ٨٤)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧، ١٧٤، ١٩٢، ٢٩٣) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠) والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥)، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠)، والكامل في التـاريخ (ج ٩ ص ٢٩١).

(٢) دول الطوائف (ص ١٦٢).

(٣) نصوص عن الأندلس ص ٨٤.

(٤) انظر البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١).

(٥) المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٤٨) وتتمة المختصر في أخبار البشر (ج ١ ص ٤٩٩).

(٦) في نصوص عن الأندلس ص ٨٤: ولي المعتصم بالله ذو الرياستين سنة ست وأربعين وأربعمائة / ١٠٥٤ م

(٧) أي أخو محمد بن معن.

قبولها[1] وأجلسه بنو عمِّه التجيبيّون مكان أبيه وهو آبن أربع عشرة سنة[2]. فَتَمَّتْ له الإمارة ولقّب نفسه بمعزّ الدولة[3]. ولمّا تلقّبَتْ الطوائف بالألقاب السلطانيّة تلقّب هو بلقَبَيْنِ من ألقابـها فلقَّبَ نفسه بـ «المعتصم بالله» و«الواثق بفضل الله» ـ وهما لقبان من ألقاب خلفاء بني العباس ـ مناغاةً لصاحب إشبيليـة عبّاد بن محمـد لَمَّـا تلقب بـ «المعتضد بالله»[4]. وقيل: لُقِّب بالرشيد[5]. وقيل: لُقِّب، وهو في الصِّبَا، بسراج الدولة، وقد أشار آبن الحدّاد إلى هذا اللقب في قوله (الكامل):

واصِـلْ أخـاكَ وإنْ أتَـاكَ بِمُنْكَـرٍ   فَخَلُوْصُ شيءٍ قَلَّمَـا يُتَـمَـكَّـنُ
ولـكـلِّ شيءٍ آفــةٌ مــوجــودةٌ   إنَّ السِّراجَ على سَنَاهُ يُـدَخِّنُ[6]

وقد علّق المَقّري على هذين البيتين بقوله: «وأنشد أحدُ الأدباء هذين البيتين متمثِّلاً، فأَعْجَبَا المعتصمَ، وسأل عن قائلهما، فأُخْبِرَ، فتبسَّم وقال: أتعرفُ إلى مَنْ أشار بهذا المعنى؟ قال: ما أعرف إلاّ أنّه مليحٌ، فقال المعتصم: كنتُ في الصِّبَا، وهو (ابن الحداد) معي، أُلَقَّبُ بسراج الدولة، فقاتله الله ما أشعره! فسلوه، فلمّا باحثوه في ذلك أقرَّ بحسن حَدْس المعتصم. وآكتنفته سعايات، وكان ممَّنْ يَغْلِبُ لسانُهُ على عقله، ففرَّ من ألمريّة»[7].

٣ ـ سياسة المعتصم الخارجيّة وعلاقاته بملوك الطوائف:

أقام المعتصم مُلْكاً بمدينة ألمريّة وأعمالها مدّةً تزيد على الأربعين سنة قطعها في حروبه مع جيرانه ملوك الطوائف الأندلسيين. فبدل أنْ يُـذْكي نار الحـرب مع

(١) انظر الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧).

(٢) في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١): أجلسه بنو عمِّه وهو لم يستكمل ثماني عشرة سنة.

(٣) انـظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٦) والكـامـل في التـاريـخ (ج ٩ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢)، والحلة السيـراء (ج ٢ ص ٨١)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧ ـ ١٦٨).

(٤) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨)، وتاريـخ الأندلس في عهـد المرابـطين والموحدين لأشباخ ص ٩٨

(٥) انـظر أعمال الأعـلام (القسم الثاني ص ١٩٠)، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣١)، والبيـان المغرب (ج ٣ ص ٥٠٤).

(٦) ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ٢٥٩).

(٧) نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٤).

الملوك الإسبان الذين كانوا يهدّدون ممالك الأندلس بالسقوط، أذكاها مع خاله المنصور عبدالعزيز بن أبي عامر[١]، صاحب بلنسية ومرسية، وآبن خاله عبدالملك ابن المنصور عبدالعزيز بن أبي عامر[٢]، صاحب بلنسية بعد أبيه المنصور، وباديس بن حَبُّوس بن زيري الصِّنْهاجي البربري[٣]، صاحب غرناطة، وعبدالله بن بُلُقِّين بن باديس بن حَبُّوس بن زيري الصنهاجي البربري[٤]، صاحب غرناطة بعد جدِّه باديس، والمعتمد ابن عباد[٥] صاحب إشبيلية.

وكان سبب حروبه مع خاله المنصور هو حقد هذا الأخير على معن بن صمادح وآبنه المعتصم لانتزاعهما منه حكم ألمريّة، فكان أنْ قَدَّمَ المنصورُ العونَ العسكريَّ لابن شبيب الذي ثار على المعتصم بهدف الاستقلال بمدينة لورقة عن مملكة ألمريّة[٦].

وبالنسبة إلى حروبه مع آبن خاله عبدالملك، فإنّها تعود إلى الحقد الدفين الذي آكتسبه الرجلان من والديهما اللذين تحاربا مدّة، وإلى طمع المعتصم بأحد حصون تدمير[٧]، التابع لمملكة مرسية. لذلك أقدم المعتصمُ على غزو حِصْن من

---

(١) مَلَكَ المنصورُ بلنسيةَ من سنة ٤١١ هـ/ ١٠٢٠ م حتى سنة ٤٥٢ هـ/ ١٠٦٠ م. البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٤ - ١٦٥) والأعلام (ج ٤ ص ١٨ - ١٩).

(٢) تولّى عبدالملك حكم بلنسية بعد وفاة أبيه عبد العزيز من سنة ٤٥٢ هـ/ ١٠٦٠ م حتى سنة ٤٥٧ هـ/ ١٠٦٤ م. البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٥، ٢٦٦، ٣٠٣)

(٣) ولي باديس حكم غرناطة بعد أبيه من سنة ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦ م حتى سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م البيان المغرب (ج ٣ ص ١٩١) والأعلام (ج ١ ص ٤٠).

(٤) تولّى عبدالله بن بُلُقِّين غرناطة بعد جدِّه باديس من سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م حتى سنة ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م. الأعلام (ج ٤ ص ٧٥).

(٥) حكم المعتمد إشبيلية بعد أبيه المعتضد من سنة ٤٦١ هـ/ ١٠٦٨ م حتى سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م. الأعلام (ج ٦ ص ١٨١).

(٦) انظر تاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥٠).

(٧) تدمير Todmir: كورة من كور الأندلس الشرقيّة، وقاعدتها مدينة لورقة، ولورقة باللطينيّة (اللاتينية) تعني الدرع الحصين. سمِّيت كذلك نسبة إلى صاحبها القوطي تُدْمير Teodomir ابن غندرس، الذي صَالَح والي الأندلس عبدالعزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤ هـ/ ٧١٢ م، وكان آسمها أُرْيولة Orihuela وتسمَّى أيضاً «البستان» لكثرة جنّاتها المحيطة بها. كما تسمّى «مصر» لكثرة شبهها بها، إذ كان لها أرض يسيح عليها نهرٌ في وقت مخصوص من السنة، ثم يَنْضُبُ عنها، فتزرع كما تزرع أرض مصر. تقع شرقي قرطبة، وتتّصل بأحواز كورة جيّان، وفيها معادنُ كثيرةٌ ولا سيما الفِضّة منها، ومعاقلُ=

حصون تدمير، مستعيناً في ذلك بحليفه باديس بن حبوس، صاحب غرناطة، إلاَّ أنَّ عامل الحِصْن لعبدالملك أحبط الهجوم، وآنقلب المعتصمُ خائبَ السَّعْي[1].

كذلك طمع المعتصم في مدينة غرناطة بعد أنْ كان متحالفاً مع مليكها باديس بن حَبُّوس ضدَّ آبن شبيب السابق الذكر، وآعتمد في هذا الشأن على وزير غرناطة يوسف ابن نَغْرالَّة اليهوديِّ، وكانت النتيجة لغير صالحه. ولقد أورد آبن بسام هذا الخبر بدقّة، وملخّصه أنَّ يوسف اليهودي كان قد آستولى على دولة باديس، كما كان آستولى عليها من قَبْلُ أبوه الوزير الكاتب آبن نغرالّة. وكان بُلُقِّيْن بن باديس، المرشَّح لولاية عهد أبيه، منحرفاً عن يوسف، مُنْكِراً آستيلاءه على المُلْك، فأعمل يوسفُ الحيلة على بُلُقِّين بآستدعائه إلى مجلس شراب احتفله له، وسقاه كأس سمٍّ قضى منها نَحْبَه. وصرف يوسف التهمة إلى طائفة من فتيان ولد باديس وجواريه وقرابته، فعاث فيهم باديس قتلاً وإبادة. وعظم آستيلاء يوسف إلى أنْ كَثُرَتْ فيه الأقوال، فأراد أنْ يَثُلَّ عرش باديس بعرش المعتصم، وسعى إلى الإطاحة بباديس وتمكين المعتصم من الاستيلاء على غرناطة، فرمى بمداخلة المعتصم في تصيير مُلْك باديس إليه، فَمَلَّكَهُ أكثر حصون غرناطة، فأضافها المعتصم إلى بلده، وباديسُ لا يشعر بخروجها عن يده، ثم آكتشف باديسُ عملَ وزيرِهِ اليهودي،فأَخْفَى اليهوديُّ نَفْسَهُ في بيتٍ ملآن فَحْماً، وَسَّودَ به وجهه وتنكّر، فأخرجوه وهتكوا حرمته وقتلوه، وصلبوه على باب المدينة، وقتل في هذا اليوم آلاف من اليهود وكان ذلك في سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م، وقيل: ٤٦٥ هـ /[2] ١٠٧٢ م، ورَجَعَ المعتصمُ إلى ألمريّة وقد صفرت يداه[3].

= ورساتيق. ثم صارت مرسيةُ القصبةَ بعد تُدْمير. انظر نصوص عن الأندلس ص ١ - ١٦، ومعجم البلدان (ج ٢ ص ١٩)، والروض المعطار ص ١٣١ - ١٣٢، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٤ - ٢٨٥، والكامل في التاريخ (ج ٤ ص٥٦٣)، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٤، ٢٣٧، ٢٦٤)، وفجر الأندلس ص ١١٢ - ١١٩.

(١) انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣١ - ٧٣٣)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٤ - ١٧٥).

(٢) في مذكرات الأمير عبدالله ص ٥٤: كان ذلك في يوم السبت لعشرٍ خَلَوْنَ من صفر من سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ م.

(٣) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٦٦ - ٧٦٩)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٠ - ٢٣٣). وانظر أيضا مذكرات الأمير عبدالله ص ٣٩ - ٥٥، وملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ص ٥٢ - ٥٣ وجاء في تاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٦) أنَّ إسماعيل ابن نغرالة اليهودي، كاتبَ باديس وكاتب أبيه منْ قَبْلُ، كان قد آستولى على سلطان باديس ثم نكبه هذا وقتله سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ م.

ويذكر الأمير عبدالله في مذكّراته أنَّ باديس بن حَبُّوس قام بمحاصرة مدينة وادي آش لانتـزاعها من أيـدي المعتصم، وأنَّ الحرب آشتـدَّتْ على المدينـة وقصبتها، وأنَّ الانفاق كَثُرَ، بحيث آنتهت النفقة عليها ستة بيوت من المال، البيت منها ألف ألف دينار[1] . ويضيف: ثم أرسل المعتصم إلى باديس يسأله العفو والإغضاء على ما كان منه، وأنَّه لا يتعرّض من ذلك شيء لولا اليهودي، فقبل باديس آعتذاره[2] .

وتـوتَّرتِ العـلاقـاتُ بين المعتصم وعبـدالله بنِ بُلُقِّيْن بن بـاديس، صـاحب غرناطة، لطمع المعتصم في مدينة غرناطة أو في بعض حصونها، ثم تصالح الرجلان مهادنةً وآنجـراراً للحال، وظـلا متعاقِـدَيْنِ مُتَشَارِكَيْنِ في الحُلْوِ والمُـرِّ إلى آنصرام الأجل[3] .

كذلك آشتدَّ الصراع بينه وبين المعتمد ابن عباد، صاحب إشبيلية، وقد حمَّلَهُ عبدُ الواحد المراكشي مسؤولية ذلك، في قوله: «وكان المعتصم هذا قديم الحسد للمعتمد، كثير النفاسة عليه، لم يكن في ملوك الجزيرة مَنْ يناوئه غيره، وربما كانت بينهما في بعض الأوقات مراسلات قبيحة، وكان المعتصم يُعِيْبُه في مجالسـه وينال منه، ويمنع المعتمدَ مِنْ فِعْل مِثْل ذلك مروءتُهُ ونزاهة نفسه، وطهارة سريرته، وشدّة ملوكيّته»[4] .

وأضاف: كان المعتمد قبل عبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس بيسير قد توجّه إلى شرقي الأندلس يتطوّف على مملكته ويطلّع على أحوال عمّاله ورعيّته، فلّما دانى أول بلاد المعتصم خرج إليه المعصتم في وجوه أصحابه وتلقّاه لقاء نبيلاً، وعزم عليه للدخول إلى ألمريّة، فأبى المعتمد ذلك، ثم اتّفقا على أن يجتمعا في أول حدود بلاد المعتصم وآخر حدود بلاد المعتمد، فكان ذلك، واصطلحا في الظاهر، واحتفل المعتصم في إكرامه، ثم افترقا بعد أن أقام المعتمد عنده في ضيافته ثلاثة أسابيع[5]، واقتـرب الحِمْيَري من المراكشي، فذهب إلى أنَّ العداء المستفحل بين الرجلين كان يُذْكيه المعتصمُ وينفخ في رماده إلى درجة أنَّه كان في مجالسه يعرِّض بالمعتمد، وأنَّهما كانا يتبادلان الرسائل القبيحة، ممَّا أدَّى إلى صدام مسلَّح بينهما عندما أقدم المعتمد على

---

(١) مذكرات الأمير عبدالله ص ٥٥ ـ ٥٦ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ص ٧١ ـ ٧٢ ، ٨٨ ـ ٩٠ .
(٤) المعجب ص ٨٥ .
(٥) المصدر نفسه .

غزو ألمريّة[1]. وأشار المقّري إلى تلك الخصومة حيث عزا تأخير المعتمد عن دفع الضريبة للأذفونش إلى آشتغال المعتمد بغزو المعتصم[2]. كذلك أشار بيريس إلى تلك الحصومة بقوله: لم تصبح ألمريّة مدينة أندلسيّة هامّة ومزدهرة إلاّ في عهد خيران وزهير العامريّين، ثم في عهد أميرها المعتصم ابن صمادح، خصم المعتمد ابن عباد[3].

ويقدِّم لنا آبن بسّام صورة موجزة عن علاقات المعتصم بملوك الطوائف، فيقول: «وقد كانت بينه وبين حلفائه من ملوك الطوائف في الجزيرة فتون مبيرة، غلبوه عليها وأخرجوه من سجيّته مُكْرَهاً إليها، لم يكن مكانُهُ منها بِمَكِيْن، ولا صُبْحُهُ فيها بمبين»[4].

وخالف آبنُ خاقانَ هؤلاء فرأى أنَّ المعتصم آقتصر على صُمَادِحِيَّته البديعة[5]، وقصبته المنيعة، وأنَّ همَّته لم تمتدَّ إلى مزاحمة ملك في ملكه[6].

٤ - ابن شبيب يتمرّد على المعتصم في بدء تسلّمه الحكم:

لم يكد المعتصمُ يظفرُ بالإمارة حتى تمرَّد عليه آبنُ شبيب[7]، عامل أبيه شبيب على لورقة وهي من أعمال ألمريّة، وآنتزعها من دولته، فجهَّز إليه المعتصمُ جيشاً، فآلتمس آبنُ شبيب مساعدةَ المنصور عبدالعزيز بن أبي عامر، صاحب بلنسية ومرسية، فلم يتردَّد المنصور بتقديم العون العسكري له، مدفوعاً في ذلك بحقد، على معن بن صمادح وآبنه المعتصم؛ لانتزاعهما منه حكم ألمريّة وآنفرادهما بحكمها. ورأى

(١) الروض المعطار ص ٢٨٨ (مادة الزلاقة).

(٢) نفح الطيب (ج ٤ ص ٣٥٧).

(٣) La poésie andalouse en arabe classique au XI e siecle, p.142

(٤) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٣). وقد ورد النصُّ في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١) بآختلاف يسير عمّا هنا. كما ورد بعضٌ منه في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٢).

(٥) هي قصور المعتصم ابن صمادح. نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٦). وجاء في الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥): «والصمادحيّة من بلاد الأندلس». وانظر أيضاً Los palacios del Taifa almeriense al-Mu'tasim, en Cuadernos de la Alhambra, III, p 15 -20

(٦) قلائد العقيان ص ٤٧.

(٧) ذكره دوزي بقوله: كان آبن شبيب أحد رؤساء الجنود ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ص ٦٠.

المعتصم، بالمقابل، أنْ يجدِّدَ الحلف الذي كان قائماً في أيام أبيه بين المريّة وغرناطة، فتحالف مع باديس بن حَبُّوس بن زيري الصنهاجي البربري، صاحب غرناطة، فزوّده، هذا الأخير، بكلٍّ ما يحتاجه. ودارت معركة ضارية بين الطرفين، تمكَّن المعتصم فيها من الاستيلاء على بعض حصون لورقة، ولكنّه لم يستطع الاستيلاء على المدينة. وأكَّد ذلك آبن خلدون، فقال: «وثار عليه صاحب لورقة آبن شبيب، وكان أبوه معزولاً عليها، فجهز إليه المعتصمُ جيشاً، وآستمدَّ آبنُ شبيب المنصور بن أبي عامر صاحب بلنسية ومرسيه بالعدوّ، وآستمدَّ المعتصمُ بباديس، ونهض عَمُّهُ صمادح بن باديس بن صمادح، فقاتلوا حصوناً من حصون لورقة، وآستولوا عليها ورَجَعُوا. .»[1]. وذهب آبن الأثير مذهباً آخر فأكَّد أنَّ المعتصم فَقَدَ لورقة نهائياً، وأنَّ مُلْكَهُ آقتصر على ألمريّة وما يجاورها. يقول: «وَلِيَ بَعْدَهُ (بعد معن) آبنه أبو يحيى محمد بن معن وهو آبن أربع عشرة سنة، فكفله عَمُّه أبو عتبة بن محمد إلى أنْ توفي سنة ست وأربعين، فبقي أبو يحيى مستضعفاً لصغره، وأُخِذَتْ بلاده البعيدة[2] عنه، ولم يَبْقَ له غير ألمريّة وما يجاورها»[3]. وهذا ما ذهب إليه آبن بسام في قوله: «وبادر السَّيْرَ إثْرَ خاله عبدالعزيز بنفسه، طمعاً في مدينة لورقة، فَصُدَّ عنها خائباً»[4].

٥ ـ معركة الزلّاقة ودور المعتصم فيها:

بعد أن آستولى ألفونسو السادس بن فردلند، ملك قشتالة، على طليطلة وأعمالها في عام ثمانية وسبعين وأربعمائة[5] / ١٠٨٥ م، لم يعد يقنع من ملوك الطوائف بالجزية السنويّة، وصار يروم أخذ القواعد طمعاً في الاستيلاء على جزيرة

(١) تاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥٠). وانظر أيضاً تاريخ مدينة المرية الأندلسية ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) المقصود بالبلاد البعيدة لورقة وبيّاسة وجيّان وغيرها.

(٣) الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢).

(٤) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٢).

(٥) ذكر آبن الكردبوس أنَّ ملوك الأندلس، ولا سيما المعتمد ابن عبّاد، ملك إشبيلية، وآبن هود ملك سرقسطة، طمعوا في تملّك طليطلة. ولمّا تحقّق ملكها القادر بن ذي النون أنّه لا طاقةَ له على الدفاع كتب إلى ألفونسو السادس، وتخلّى له عن طليطلة، فتملّكها ألفونسو سنة ثمان وسبعين وأربعمائة / ١٠٨٥ م. تاريخ الأندلس ص ٨٥.

الأندلس كلّها، فبدأ في سنة تسع وسبعين وأربعمائة / ١٠٨٦ م يضغط على هؤلاء الملوك حتى هابوا أمره؛ لكون طليطلة نقطة دائرة الأندلس، وآستنجدوا بأمير المسلمين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين[١]، وكان المعتمد ابن عباد أكثر المتحمّسين لهذا الاستنجاد؛ ذلك إنّه كان قد تأخّر في دفع الجزية لألفونسو؛ لاشتغاله بغزو المعتصم ابن صمادح، فأرسلها إليه بعد ذلك، فآستشاط الأذفونش غضباً، وسأله أنْ يتخلّى له، زيادةً على الجزية، عن معاقلَ كان الموت عنده أَوْلَى مِنْ إعطائها، وأَمْعَنَ في التجنّي، وسأل دخول آمرأته إلى جامع قرطبة لتلد فيه، إذ كانت حاملاً، لمّا أشار عليه بذلك القساوسة والأساقفة[٢].

وذكر صاحب الحلل الموشية أنَّ المعتمد بعث بكتاب إلى يوسف بن تاشفين يطلب منه فيه الجواز إلى الأندلس، فردَّ عليه يوسف بجواب يقول فيه: «لا يمكننا الجواز إلَّا أنْ تسلِّم لنا الجزيرة الخضراء، تكون لنا لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا، فإنْ رأيْتَ ذلك فآشهدْ على نفسك بذلك وآبعثْ إلينا بعقودها، ونحن في أثر خطابك إن شاء الله[٣]. «وأضاف: فقبل المعتمد بذلك، وأجاز آبن تاشفين البحر إلى الجهاد سنة تسع وسبعين[٤] وأربعمائة / ١٠٨٦ م، وهذا هو الجواز الأول، فآحتلَّ الجزيرة الخضراء في شهر ربيع الأول من هذه السنة، ثم رحل من الجزيرة فآتّجه نحو إشبيلية فتلقّاه المعتمدُ على مرحلة[٥] من الجزيرة، فقام بها ثلاثة أيام، ثم آرتحل والمعتمدَ إلى بطليوس، وكتب إلى سائر ملوك الأندلس يستنفرهم إلى الجهاد

---

(١) انظر أخباره في وفيات الأعيان (ج٧ ص ١١٢ ـ ١٣٠)، والحلل الموشية ص ١٢ ـ ٦١، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٤١ ـ ٢٤٧) و(القسم الثالث ص٢٣٣ ـ ٢٥٣)، والبيان المغرب (ج ٤ ص ٢١)، ومعجم البلدان (ج ٣ ص ١٤٦)، والروض المعطار (ص ٢٨٧ ـ ٢٩٢) (مادة الزلاقة)، والكامل في التاريخ وتاريخ ابن خلدون في صفحات متفرقة.

(٢) راجع مذكرات الأمير عبدالله ص ١٠١ ـ ١٠٢، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٥٧)، والروض المعطار ص ٢٨٨ (مادة الزلاقة).

(١)(٣) لل الموشية ص ٣٣.

(٢)(٤) ب آبن الكردبوس إلى أنَّ عبور آبن تاشفين البحر إلى الأندلس كان في سنة ثمانين وأربعمائة / ١٠٨٧ م تاريخ الأندلس ص ٩٠.

(٥) حدَّد الإدريسي المرحلة بخمسة وعشرين ميلاً، فقال: «ومن قرطبة إلى إغرناطة أربع مراحل وهي مائة ميل، وبين إغرناطة وجيان خمسون ميلاً وهي مرحلتان» نزهة المشتاق (ص ٥٨١).

ويحضُّهم على اللحاق به، فلحق به عبدالله[1] بن بُلُقِّيْن. صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة، وآبن الأفطس صاحب بطليوس، وآعتذر المعتصم ابن صمادح عن مجيئه بنفسه بسبب العدوّ الملاصق له بحصن لِيِّيط[2]. ولمّا دَنَا آبنُ تاشفين من بطليوس على مقربة من فحص الزلّاقة[3]، حيث يحتلُّ ألفونسو ورجاله، بعث بكتاب إلى هذا الأخير يعرض عليه فيه الدخول في الإسلام أو الجزية أو القتال، فلمّا قرأ ألفونسو الكتاب جاش غيظه وقال: بمثل هذه المخاطبة يخاطبني وأنا وأبي نُغْرِمُ الجزيةَ لأهل مِلَّته منذ ثمانين سنة؟[4].

وذكر الأمير عبدالله أنَّ المعتصم، عند حلول آبن تاشفين بإشبيلية، بقي متربِّصاً ليرى كيفيّة الأمر ومَخْرَجه مع الروم، وآعتذر بكبر السِّنِّ مع الضّعف، وأرسل إليه آبنه معتذراً[5].

ومجمل القول: إنَّ معركة الزلّاقة دارت بين المسلمين والنصارى يوم الجمعة

---

(١) وصف هذا الأمير تهيّؤه للقتال وآشتراكه في معركة الزلّاقة بقوله: «وبادَرْنا نحن إلى الخروج، وسُرِرْنا بذلك، وأعْدَدْنا ما آستَطَعْنا عليه للجهاد بأموالنا ورجالنا، وقدَّمْنا الهديّة إلى أمير المسلمين، وأَمَرْنا بضرب الطَّبْلِ وما يُسْتَعَدُّ به للفرح، عند مخاطبته لنا بدخول الجزيرة، وظَنَنَّا أنَّ إقباله إلى الأندلس مِنَّةٌ من الله عَظُمَتْ لدينا، لا سيّما خاصة من أجل القرابة.. ولقينا أمير المسلمين في طريقه إلى بَطَلْيَوْس بجَرِيْشَة». مذكرات الأمير عبدالله ص ١٠٤.

(٢) لِيِّيط وأليط Aledo حصْنٌ حصين من عمل لورقة، على رأس جبل شاهق، بينه وبين لورقة نصف يوم. احتلّه غرسية خيمينت Garcia Jımenez أحد قواد ألفونسو السادس، ومنه أغار في ثمانين فارساً على نظر المريّة، فأخرج المعتصمُ ابن صمادح قائداً من قواده ومعه أربعمائة من خيار الجند، فلمّا آلتقوا بالعدوّ آنهزموا. ولما عظم أذى هذا الحِصْن للمسلمين، لتوسُّطه في بلادهم، تردّدوا إلى يوسف بن تاشفين بالشكوى حتى وعدهم بالجواز إليهم، فجاز البحر في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة / ١٠٨٨ م، وأطال حصار هذا الحصن، فأعجزه. تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ٨٩، والحلل الموشية ص ٣٤، ٤٨ - ٤٩، ٥١، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٩ - ٢٥٠) وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ٨٢ حاشية ١.

(٣) يقع فحص الزلّاقة على بعد أربعة فراسخ من بطليوس. الحلل الموشية ص ٣٨. ومكان الزلاقة اليوم قرية صغيرة على نهر Guerrero أحد فروع نهر وادي يانه على بعد ١٢ كلم إلى الشمال الشرقي من بطليوس. تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص٩٣ حاشية ١.

(٤) الحلل الموشية ص ٣٤ - ٣٥. وانظر أيضاً أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٣٧ - ٢٤٤) وملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ص ٢٩٤.

(٥) مذكرات الأمير عبدالله ص ١٠٤

الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة / ١٠٨٦ م، وكانت الهزيمة فيها على ألفونسو[١]. يذكر صاحب الحلل الموشية أنَّ عدد رؤوس النصارى، التي قطعت وجمعت بين يدي المعتمد ابن عباد بلغت أربعة وعشرين ألف رأس[٢]. ويضيف لمَّا قضى الله تعالى بهذا الفتح الجليل امتلأتْ أيدي المسلمين بالغنائم الوافرة والسَّبْي الكثير والأموال والذهب والفِضَّة ما أغناهم، وآنصرف أهل الأندلس إلى بلادهم، وعاد آبن تاشفين إلى المغرب إثْر نبإٍ أفجعه بموت آبنه أبي بكر[٣]. وذكر آبن الخطيب أنَّ آبن تاشفين، لمّا قضى هذه الغزاة، قفل إلى المغرب في سنة ثمانين وأربعمائة ١٠٨٧ م، وشيَّعه آبن عباد إلى الجزيرة[٤]. وقال آبن الكردبوس: «فبينما أمير المسلمين يدبِّر في الدخول إلى بلاد المشركين، إذ وافاه كتاب بوفاة آبنه الكبير، فطرأ عليه من ذلك رُزْءٌ كبير، ولم يكن له بُدٌّ من العودة إلى العُدْوة بسبب هذا المصاب الخطير، فترك عند المعتمد ثلاثة آلاف فارس وقدَّم عليهم القائد أبا عبد الله محمد بن الحاج، وأخذ في الانصراف»[٥]. وأكَّد الأمير عبدالله أنَّ آبن تاشفين عَقَدَ مجلسَ ملوك الطوائف بعد معركة الزلّاقة، وأنَّ الخلاف بدأ يظهر بين هؤلاء في ذلك المجلس. يقول: «ولمَّا آنقضتْ غزوته تلك جَمَعَنا في مجلسه، أعني رؤساء الأندلس، وأَمَرَنا بالاتّفاق والائتلاف، وأنْ تكون الكلمة واحدة. . . وأمر الأميرُ بآنصرافنا، ولم يُعِدْ في ذلك بَعْدَها مَجْلساً إلاّ في سَفْرة لِيِيِّط الملعونة. واخذ أمير المسلمين في الانصراف إلى بلاده، وهو قد آطلّع عياناً وسماعاً من آختلاف كلمتنا ما

---

(١) هكذا في أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٢) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٢٩). وفي الحلل الموشية ص ٤٠ ـ ٤١: الثاني عشر من رجب سنة ٤٧٩ هـ. وفي تاريخ ابن الكردبوس ص ٩٥: «عاشر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة».

(٢) الحلل الموشية ص ٤٤. وفي أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٥): «وأمر آبن عباد بضم رؤوس القتلى فبلغت نحواً من تسعة آلاف رأس من الروم، وآتّخذت منها صوامع أَذَّنَ فوقها المؤذّنون». وعن آستنجاد ملوك الطوائف بيوسف بن تاشفين وعبوره الأول إلى الأندلس وانتصاره على الفونسو السادس في موقعة الزلّاقة، راجع الكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ١٥١ ـ ١٥٢)، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥)، والبيان المغرب (ج ٤ ص ١١٦ ـ ١٣٠ ـ ١٤٦)، والروض المعطار ص ٢٨٧ ـ ٢٩٢، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٥٦ ـ ٣٧٧) وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ٩٠ ـ ٩٥.

(٣) الحلل الموشية ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٤) أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٩).

(٥) تاريخ الأندلس ص ٩٥ ـ ٩٦.

لم يَرَ وَجْهاً لبقائنا في الجزيرة»[1] . وذهب آخرون إلى أنّ آبن تاشفين، لمّا قضى من هذه الوقعة ما قضى، أَمَرَ عساكره بالمقام، وأنْ تُشَنَّ الغاراتُ على بلاد الفرنج، وأَمَّرَ عليهم سِيْرَ بن أبي بكر، أحد قواده المشاهير[2] .

٦ ـ معركة حِصْن لِيِّيْط ودور المعتصم فيها :

في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة / ١٠٨٨ م، أراد المعتمد ابن عباد أنْ يستعيد مرسية من خصمه آبن رشيق، فجاز البحر إلى يوسف بن تاشفين ليحكم معه ما شاء من مرسية وغيرها، وعظّم له شأن لِيِّيْط، وشكى له ما حلَّ بالمسلمين من شأن هذا الحِصْن، وعاقده على أنْ يأتي بنفسه ورجاله، فآستجاب آبنُ تاشفين لطلب المعتمد، وعبر البحر، وكان ذلك جوازه الثاني، فآستقرَّ بالجزيرة الخضراء حيث تلقّاه المعتمد من التعظيم والتكريم. ثم أنفذ آبنُ تاشفين كتابه إلى ملوك الأندلس يستدعيهم للجهاد معه، والموعد حِصْن لِيِّيْط، فتلاحق به عبدالله بن بُلُقِّيْن، صاحب غرناطة، والمعتصم ابن صمادح، صاحب ألمريّة. وكان بداخل هذا الحِصْن من الروم ألف فارس وآثني عشر ألف راجل، وآتّصلت الحروب على الحِصْن ليلاً ونهاراً، وكلُّ أمير من أمراء الأندلس يقاتل في يومه بخيله ورجله مداولة بينهم، وتمادى ذلك أشهراً، فعجز آبن تاشفين وملوك الطوائف عن آحتلاله لحصانته ومنعته، وآقتضى الرأي الإقلاع عنه[3] .

وقد ذكر آبن بسام أنَّ المعتصم ابن صمادح خرج عن ألمريّة إلى لِيِّيْط يجرُّ جيشاً، فألفى بها يوسف بن تاشفين قد وضع قدمه على صَلْعتها، وتمكّن من قيادها، فعرض المعتصمُ نفسه عليه، فتلقّاه يوسف بجميل نظره، وبَوَّأَهُ جانباً من معسكره[4] . وذهب آبن خلّكان وعبد الواحد المراكشي إلى أنّ المعتصم كان ممَّنْ آختصَّ بمؤانسة آبن تاشفين عند عبوره الثاني إلى الأندلس، وأنّه أقبل عليه أكثر من سائر ملوك

---

(١) مذكرات الأمير عبدالله ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) راجع وفيات الأعيان (ج ٧ ص ١١٩)، والبيان المغرب (ج ٤ ص ١١٨)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٧٠) .

(٣) انظر مذكرات الأمير عبدالله ص ١٠٨ ، ١١٢-١١٣ ، والحلل الموشية ص ٤٧ ـ ٤٩ ، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٤) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٣ ـ ٧٣٤) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤) .

الطوائف بحيث حظي عنده وآشتدَّ تقريبه له[1] . وذكر الأمير عبدالله أنَّ المعتصم أتى في حصار لِيِّيط بَفْيلٍ أقامه، فأصابه من الحِصْن قبس نار فأحرقه[2].

٧ ـ الإطاحة بعرش المعتصم وعروش سائر ملوك الطوائف:

في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة / ١٠٩٠ م، جاز يوسف بن تاشفين إلى جزيرة الأندلس، وكان هدفه في هذا الجواز[3] الثالث هو آستئصال شَأْفَـةِ ملوك الطوائف والإطاحة بعروشهم ليتسنى له بالتالي ضمّ الأندلس إلى المغرب، محتجّاً في ذلك بآشتداد الخلاف فيما بينهم. ذكر الأمير عبدالله في حديثه عن النزاع بين المعتمد ابن عباد وآبن رشيق أنَّ هذا الأخير كان قد تعاون مع الروم أثناء حصار آبن تاشفين لحِصْن لِيِّيط، فكان أنْ قيَّده المعتمدُ ابن عباد في الحديد، وأراه هواناً عظيماً. يقول: «فكان أبداً يُميْرُهُمْ ويُقَوِّيْهم بما يعجزون عنه، وإبقـاءً لِرَمَقِهِم، وخَـوْفاً من الـدّاخِلَةِ عليه بِفَقْدِهِمْ. وصحَّ ذلك عند الأمير (يوسف بن تاشفين)، والمعتمدُ في هذا كلِّه لا يَنامُ عنه، وَيسْتَفْتي فيه الفقهاءَ، لِنفَاقِهِ بعد دخوله في البَيْعة له أوَّلَ أَخْذِهِ لمرسية. فآتَّفقتْ عليـه الأسباب، وصُنِـعَ لـه مجلسٌ أَفْتَـوا فيـه بـإزاحتِـهِ عن المسلمين، وإسـلامـه لسلطانـه. . . وأَمَرَ (يـوسف بن تاشفين) بتثقيفـه وإسلامـه إلى المعتمد. وقُيِّـدَ في الحديد، ورأى هواناً عظيماً»[4]. ويضيف: بعد رفع الحصـار عن لِيِّيط وقعتْ بين المعتمد ابن عباد والمعتصم ابن صمادح مشاجـرات وتباعـات باردة في شـأن بعض الحصون، فكان أنْ شكى كلٌّ منهما أمره إلى آبن تاشفين، إلاّ أنَّ الرجلين آنفصلا على غير موافقة[5].

يذكر صـاحب الحلل المَوْشِيّـة أنَّ آبن تاشفين أعمـل النظر في خلع أمـراء الطوائف، فعبر البحر وآحتلَّ بالجزيرة الخضراء، فوافاه المعتمدُ ابن عباد وتلقّاه كعادته

---

(١) وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤) والمعجب ص ٨٥.

(٢) مذكرات الأمير عبدالله ص ١٠٩ . وأغلب الظنّ أنّ الفيل كان من الخشب

(٣) كان ليوسف بن تاشفين جواز رابع إلى الأندلس، وذلك في سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ م، وقيل. ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣ م. راجع الحلل الموشية ص ٥٥، وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١١٢.

(٤) مذكرات الأمير عبدالله ص ١١٢.

(٥) المصدر نفسه ص ١١٣.

من التعظيم والتضييف، فآستنزل المستنصرَ تميم بن بُلُقّين صاحب مالقة، ثم توجّه إلى غرناطة فلقيه المظفرُ عبدُالله بن بُلُقّين خارج الحاضرة ودخل معه البلد فسلّم إليه الأمر، وأخذ يوسفُ الأَخَوَيْنِ تميماً وعبدالله إلى العُدْوة المغربيّة وأسكنهما بأغمات[1]. ويضيف: عندئذٍ أدرك المعتمدَ ابن عباد الندمُ على آستدعاء يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وقال: لا بُدَّ له أنْ يسقينا من الكأس التي أسقى بها عبدالله بن بلقين، ولمّا عاد إلى إشبيلية أخذ في بناء الأسوار وعمل القنطرة[2]. ويضيف أيضاً: لمّا كان في سنة أربع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩١ م تحرّك يوسف بن تاشفين إلى سَبْتَة لجواز عساكره اللمتونيّة إلى الأندلس لمنازلة باقي ملوك الطوائف وحصارهم في بلادهم، فقدَّم آبنَ عمِّه الأمير سيدي[3] آبن أبي بكر على عسكر وأمره بمحاصرة المعتمد ابن عباد بإشبيلية ثم محاصرة المتوكّل ابن الأفطس ببطليوس، وقدَّم آبن عمِّه أبا عبدالله محمد بن الحاج على عسكر ثانٍ وأمره بمنازلة الفتح الملقّب بالمأمون ابن المعتمد ابن عباد بقرطبة، وقدَّم أبا زكريا بن واسنو[4] على عسكر ثالث وأمره بمحاصرة المعتصم ابن صمادح بالمريّة، فَجَوَّزَ العساكرَ وآنصرف كلُّ فريق إلى حيث أَمَرَهُ، وأقام هو بسبتة مترقّباً لأنبائهم متشوقاً لِمَا يحدث عنهم[5].

ذكر آبن الخطيب أنَّ آبن تاشفين لم يَسْتَثْنِ من ملوك الطوائف إلاّ المستعين بالله أحمد بن محمد بن سليمان بن هود بسرقسطة: «والمستعين هذا ممَّنْ لم يُهِجْهُ أميرُ لمتونة، ولا نَازَعَهُ في يده، ولا تطرَّقَ لِخَلْعِهِ، قبولاً منه للعَفْو، وإقراراً فيما بينه وبين

---

(١) الحلل الموشية ص ٥٠ ـ ٥١. وفي أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٥٠): «فتحرّك (أي يوسف ابن تاشفين) الحركة الثالثة في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وأجاز البحر، ويمَّم قُرْطبة فآحتلّها في جمادى الأولى من العام، فبدأ منهم بعبيد الله بن بلقين، صاحب غرناطة، فآستولى على ملكه وملك أخيه بمالقة في سنة أربع وثمانين». أي في سنة أربع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩١ م.

(٢) الحلل الموشية ص ٥١ ـ ٥٢.

(٣) في وفيات الأعيان (ج٧ ص ١٢٢)، والبيان المغرب (ج ٤ ص ١٢١) والكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ١٩٢)، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٥٠)، وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١٠٤، ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧٠): سير بن أبي بكر.

(٤) في أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٥١): يحيى بن واسيو.

(٥) الحلل الموشية ص ٥٢. وانظر أيضاً أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٥٠ ـ ٢٥١). وفي تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١٠٧ «وقد كان تَمَلَّك (أي الأمير سير) ألمريّة ومرسية ودانية وشاطبة على يَدَيْ قائده محمد ابن عائشة، وآنصرف أمير المسلمين إلى العُدْوَة».

العدوَ لما تَجِدُهُ مضايقته من تَصْبير ما بيده إلى الروم، فكان يلاطفه. ووجَّه إليه آبنُ هود وَلَدَهُ عبدَ الملك، فقام بحقِّه وصَرَفَه مُكرَماً، وأَصْحَبَهُ كتابه بما نَصّه: من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله أحمد بن هود، أدام الله تأييده»[1].

وذكر آبن خَلِّكان أنَّ سِيْرَ بن أبي بكر كَتَبَ ليوسف بن تاشفين يُعَرِّفُه أنَّ الجيوش بالثغور مقيمةٌ على مكايدة العدوّ، وأنَّ ملوك الأندلس في بلادهم في أرغد العيش وأطيبه، فكتب إليه آبنُ تاشفين يأمره بإخراج ملوك الأندلس من بـلادهم وإلحاقهم بالعُدْوة المغربيّة، فمن آستعصى عليه منهم قاتله، وليبدأ منهم بمجاوري الثغور، ولا يتعرَّض للمعتمد ابن عباد إلَّا بعد آستيلائه على البلاد. فآبتدأ سِيْر بملوك بني هود بسرقسطة، ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس، ثم نازل بني صمادح بألمريّة وكانت قلعتهم حصينة إلَّا أنّهم كانوا يفتقرون إلى أجناد وأنجاد من الرجال، فزحف عليهم سِيْر بجنوده وغلبهم، فلمّا علم المعتصم أنّه مغلوب، دخل قصره فأدركه أسف قضى علـيه فمات من ليلته، فآشتغل أهله به وسلَّموا المدينة[2]. وأضاف: «لَمّا تغيَّرتْ نِيَّةُ آبن تاشفين على المعتمد[3] وجاهره هذا بالعصيان شاركه في ذلك المعتصم ووافقه على الخروج عن طاعته وعدم الانقياد لأمره، فلمّا قصد آبنُ تاشفين بلاد الأندلس عزم على خلعهما وقبضهما[4]. وقال الذهبي إن المعتصم داخل آبن تاشفين ونصره، ولمّا عزم هذا الأخير على أخذ البلاد من المعتصم أظهر العصيان له[5]. وقال آبن الأثير: لما فرغ سِيْرُ بن أبي بكر من إشبيلية[6] سار إلى ألمريّة فنازلها، ولمّا سمع المعتصم بِمُلْكِهِم لألمريّة وما جرى للمعتمد مـات في تلك الأيام غمّـاً وكمداً[7]. وروى أبو الفداء أنَّ عساكر سير سارت إلى ألمرية بعد أن فرغت من إشبيلية، ولمّا بلغ

---

(١) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٧٣).

(٢) وفيات الأعيان (ج ٧ ص ١٢٢ ـ ١٢٣). وانظر أيضاً البيان المغرب (ج ٤ ص ١٢١ ـ ١٢٢، ١٤٤)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٧٠) حيث ينقل صاحباهما عن وفيات الأعيان.

(٣) قال آبن الأبّار. لَمّا تحرّك ابن تاشفين من العُدْوة بعد وقيعة الزلّاقة، وأجاز البحر إلى الأندلس، لم يخرج إليه المعتمدُ ابن عباد لبطالة كان فيها منغمساً، فكانت أول وحشة وقعت بينهما. الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٥).

(٤) وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (ج١٨ ص ٥٩٣).

(٦) دخل المرابطون إشبيلية يوم الأحد في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة ١٠٩١ م، وذلك بعد آنقضاء عام كامل على سقوط غرناطة بيدهم. مذكرات الأمير عبدالله ص ١٧٠.

(٧) الكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ١٩٢).

المعتصم أخذُ إشبيلية ومسير العسكر إليه مات غماً وكمداً[1]. وذهب آخرون إلى القول: بينما كان عسكر آبن تاشفين يحاصر المعتصمَ وهو في مقامه في قصبة ألمريّة ينازع حُشَاشة نَفْسه، سمع آختلاطَ الأصوات فقال: لا إلَه إلاّ الله، نُغِصَ علينا كلُّ شيء حتى الموت! فبكت إحدى حظاياه، فَرَمَقَها بِطَرْفه الكليل، وقال وهو يتنفس الصعداء من حَرِّ العليل (المتقارب):

تَـرَفَّـقْ بِـدَمْـعِـكَ لا تُـفْـنِـهِ　　　فبين يَـدَيْـكَ بكـاءٌ طـويـلُ[2].

٨ ـ ألمريّة بعد المعتصم:

بوفاة المعتصم في سنة أربع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩١ م، ولي الأمرَ بعده وَلِيُّ عهده مُعِزّ[3] الدولة أحمد ابن المعتصم، فبقي بعده ستة أشهر حيث بلغه خلع المعتمد، فعمل عندئذٍ بوصيّة أبيه[4]. ذكر آبن خاقان أنَّ عزَّ الدولة[5] بقي طيلة فترة

---

(١) المختصر في أخبار البشر (ص ٢٠٠).

(٢) راجع الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٤)، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤)، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٦)، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٦)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨)، والكامل في التاريخ (ح ٩ ص ٢٩٢)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٣ ـ ٨٤)، وقلائد العقيان (ص ٤٧ ـ ٤٨)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١) وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٥٩٤).

(٣) لقبه في قلائد العقيان ص ٤٨، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٩٧): «عزّ الدولة» وفي المغرب (ج ٢ ص ٢٠١) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨): «الواثق عزّ الدولة أبو محمد عبدالله». وفي نفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٢): «الواثق يحيى» وفي الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٥): «الواثق بالله» وأغلب الظنّ أنَّ لقب ولد المعتصم، المرشّح للمُلْك بعد أبيه المعتصم، ليس «عزّ الدولة»، بل هو «معزّ الدولة الواثق بالله»، وهو لقب كان أبوه المعتصم قد تسمَّى به من قبل. ويؤيّد رأينا هذا ما جاء به الأمير عبدالله في مذكراته ص ١٦٧: «وولي بعده (أي بعد المعتصم) آبنه مُعِزّ الدولة الناهض إلى قلعة حماد»، وما ذكره آبن الأبار في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٨ ـ ٩٠) من أنَّ عزّ الدولة أبا مروان عبيدالله ابن المعتصم هو الذي أنفذه أبوه المعتصم في آخر دولته رسولاً إلى يوسف بن تاشفين ـ عند كونه بغرناطة ـ فآعتُقِلَ وقُيِّدَ، ولم يزل المعتصم يتحيّل في تخليصه حتى أُخِذَ مِنْ حرّاسه وهُرِبَ به على البحر، فوافى ألمريّة، وهُنِّىءَ أبوه بخلاصه، ثم فرَّ عز الدولة إلى أحد المرابطين لأذِمَّةٍ كانت بينهما، وذلك بعد فرار أخيه معز الدولة إلى بجّاية

(٤) انظر البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨).

(٥) الصواب: معز الدولة كما أشرنا سابقاً.

حكمه «مختبل التلفّت، مرتقباً للتفلّت، لا يُحْكِمُ تدبيراً، ولا يَمْلِكُ من أمره قليلاً ولا كثيراً... إلى أنْ ركب في البحر طريقاً غير يبس وساعدته الريح بنفس... فأزجاه إلى بجاية[1] سكانُه، وحيّاه منها مَوْضِعُه ومكانه، فآستقرَّ فيها تحت رعاية المنصور ابن الناصر[2]. «وذهب آبن الأبّار إلى أنَّ المعتصم أوصى آبنه معزّ الدولة أنْ يلحق ببلاد آبن حمّاد بالجزائر إذا سمع بخلع المعتمد ابن عباد، فآمتثل ذلك الأشهرٍ من وفاة أبيه، وبقي بألمرية إلى وقت القبض على المعتمد، ثم ركب البحر في قِطَعٍ أعدّها لفراره، وأسلم ألمريّة وأعمالها، وذلك في رمضان من سنة أربع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩١ م، وقيل: في شعبان، وقصد بجاية فأقام فيها تحت رعاية المنصور ابن الناصر ابن عَلَنّاس أو عِلْناس آبن حمّاد بن بُلُقِّيْن بن زيري بن مناد الصِّنْهاجي، وفي كنفه، ويقال: إنَّ المنصور أنزله بتِنِس من أعماله الغربيّة[3].

ولقد أورد الأمير عبدالله وصيّة المعتصم لابنه هكذا: «امتسكْ في هذه القصبة طول مقام آبن عباد في مُلْكه بإشبيلية ما آستطعْتَ، فإنْ رأيْتَ آبنَ عباد قد خرج فلا تتربَّصْ ساعة واحدة، وآنْجُ بنفسك إلى القلعة، وآدخل البحر بما قدرته عليه من ذخائرك، إذ لا مَطْمَعَ لك في البقاء بعده»[4]. وأضاف: فحفظَ معزُّ الدولة وصيّة أبيه، وتخيَّرَ قطعة من أسطوله أشحن فيها جميع ما قدر عليه من ذخائره، وقدم الجزائر، فأكرمه صاحب القلعة، وأمَّنَهُ في ذخائره، وأكرم ضيافته، وخيَّره حيث يُحِبُّ السُّكْنَى، فآختار تَدَلَّسَ لأنَّها على البحر[5].

كما أورد آبن بسام وصيّة المعتصم بقوله: «يا بُنَيَّ إنَّ آبنَ عباد معنى السريرة، وشيخ هذه الجزيرة، فساعة يَبْلُغكَ عنه شيءٌ فأَخْفِ صَوْتَكَ وآنْجُ ولَيْتَك»[6].

---

(١) بجاية: مدينة بالجزائر من عمل قسنطينة، وسنتحدث عنها فيما بعد ص ١٣٩ حاشية ٧.

(٢) قلائد العقيان ص ٤٨. وانظر أيضاً تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١٠٥. والمعروف أنّ الناصر ابن عَلَنّاس حكم ما بين سنتي ٤٥٤ هـ/ ١٠٦٢ م و٤٨١ هـ/ ١٠٨٨ م، وحكم آبنه المنصور ابن الناصر ابن عَلَنّاس بين سنتي ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨ م. و٤٩٨ هـ/ ١١٠٤ م. تاريخ ابن الكردبوس ص ١٠٢ حاشية ٣

(٣) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٩ ـ ٩٠).

(٤) مذكرات الأمير عبدالله ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٥) المصدر نفسه ص ١٦٨.

(٦) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٥).

وأضاف: لمّا سقط على معزّ الدولة خبرُ المعتمد ركب البحر ونَجا بنفسه[1].

وأوردها آبن عِذاري هكذا: «إذا بلغك أنّ آبن عباد جَرَى عليه شيء مِنْ قِبَلِ هؤلاء أصحاب اللِّثام فآركَبْ هذا البحرَ إلى بلاد بني حمّاد»[2]. وأضاف: ثم عمل بوصيّة أبيه، فكاتَبَ المنصورَ بن الناصر، صاحب قلعة[3] حمّاد من عمل بجاية، وآستأذنه في الوصول إلى بلاده، فأذن له قائلاً: اقْصِدْ إلى مدينة تِنِس، فلم يزل بها إلى آخر عهده[4]. وأشار المقّري إلى هذه الوصية بقوله: «وفارق (المعزّ) المُلْكَ كما أوصاه المعتصم والده»[5]. وأورد آبن الخطيب رواية مُفادُها أنّ معزّ الدولة أقام بعد وفاة أبيه يعمل النظر في آمتثال وصيّته، فجعل يُبْدي غرضه في نقل زوجته بنت مجاهد العامري إلى دانية لتكون أقرب إلى الإيساق في البحر، ولمّا كمل ما أراده من ذلك وافاه اليقين بتغلُّب المرابطين على المعتمد ابن عباد، فأمر رجاله بِنَقْبِ السُّوْر خارج باب موسى إلى دار الصنعة، وركب بمن آختصَّ به في قِطْعة، وحمل المال والمتاع في آثنتين، وأحرق باقي السفن خشية الاتّباع، ونَزَلَ بالجزائر إلى أنْ هلك بها، وبذلك آنقضتْ أيام بني صمادح[6].

وأشار آبن سعيد إلى فرار أولاد المعتصم بعد موت أبيهم، فقال: فَرّوا بما لهم في البحر إلى سلطان بجاية، وَمَلَكَ الملثّمون ألمريّة[7]. وأضاف: آل أمر عزّ[8] الدولة، المرشّح للمُلْك بعد أبيه المعتصم، إلى أنْ حلَّ ببجاية في دولة بني حمّاد مستوحشاً[9]. وذكر آبن الأثير أنّ أولاد المعتصم فَرُّوا في البحر في مركب واحد إلى بجاية قاعدة مملكة بني حمّاد من إفريقية[10]. وقال في مكان آخر، وشاطره الرأي آبن

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(2) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨).

(3) نسبت هذه القلعة إلى حمّاد بن بُلُقّين بن زيري بن مناد الصِّنْهاجي؛ لأنّه هو الذي بناها. أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٨٥).

(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(5) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٧).

(6) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢).

(7) المغرب (ج ٢ ص ١٩٦).

(8) الصواب: معز الدولة، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً.

(9) المغرب (ج ٢ ص ٢٠١).

(10) الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩٢).

خلدون، إنّ ولد المعتصم، بعد أنْ خلعه يوسف بن تاشفين، سار وأهله في مراكب إلى العُدْوة، ومعهم كلّ ما لهم، وَنَزَلُوا على آل حمّاد بالقلعة، فأحسنوا إليهم[1].
وروى أبو الفداء أنّ الحاجب أحمد ابن المعتصم سار بأهله وماله عند ألمريّة في البحر، بعد موت أبيه المعتصم، إلى بلاد بني حماد المتاخمين لإفريقية، فأحسنوا إليهم[2].

وبآنقضاء أيام بني صمادح تصبح ألمريّة تابعة للمرابطين، ومن بعد هؤلاء أصبحت خاضعة للموحّدين. ذكر آبن غالب أنّ النصارى مَلَّكَتْها سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة / ١١٤٧ م، ومكثتْ فيها عشرة أعوام، ثم آسترجعها عثمان بن عبد المؤمن سنة آثنتين وخمسين وخمسمائة[3] / ١١٥٧ م. وذكر غيره أنّ زعيم الروم المعروف بالسُّلَيْطِيْن[4] هو الذي آستولى على ألمريّة وقلعتها، ودخلها عَنْوَةً يوم الجمعة السابع عشر من جُمَادَى الأولى سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة/ ١١٤٧ م، ثم آسترجعها السيد أبو سعيد الموحّدي في سنة آثنتين وخمسين وخمسمائة/ ١١٥٧ م بعد حصار دام سبعة شهور[5].

وذكر أشباخ أنّ القيصر ألفونسو، نزولاً على آقتراح الجنويّين، وَجَّه حملته إلى ألمريّة، فأرسل أسقف أسترقة إلى الكونت ريموند برنجار الرابع أمير برشلونة، والكونت جِيُّوْم صاحب مونبيليه، يطلب إليهما الاشتراك في الحملة البحرية. وكان الجنويّون والبيزيّون، بعد أنْ تقاضَوْا من القيصر ثلاثين ألف قطعة من الذهب لتجهيز السفن، قد حدّدوا يوم أول أغسطس سنة ١١٤٧ م موعداً لمقدمهم إلى ألمريّة، فلم يتردّد الأميران ريموند وجِيّوم في التعهد بإرسال الإمدادات في الموعد المضروب.

---

(١) الكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ١٩٢ ـ ١٩٣) وتاريخ ابن خلدون(م ٤ ص ٣٥٠).

(٢) المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٢٠٠).

(٣) قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٤.

(٤) هو ألفونسو السابع آبن دونيا أوراكا Doña Urraca التي خَلَفَتْ ألفونسو السادس في حكم قشتالة وليون وجليقة حتى وفاتها في سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م، وقد خَلَفَ أمّه وهو صغير السّنّ، فَسَمَّتْهُ المراجعُ العربيّة بالسُّلَيْطِيْن أو السّلَطين (تصغير سلطان)، وظلّ يحكم حتى وفاته سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م. تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١١٥ ـ ١١٦.

(٥) انظر نفح الطيب (ج ٤ ص ٤٦١ ـ ٤٦٣)، ومعجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩)، والإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٢٨١).

وكان الجيش مكوّناً من قوات جليقية وأشتوريش وقشتالة وقطلونية وأراجون ونافارا، وكل منها يقوده أمير أو كبير منهم، ويتولّى القيصر نفسه قيادة الجيش العليا. ثم أُخِذَت ألمريّة عَنْوَة، وآستولى الظافرون على غنائم عظيمة، ودخل القيصر ألمريّة في قوة كبيرة. وفي الوقت الذي آفتتحت فيه ألمريّة سقطت أشبونة في يد النصارى[1].

وقد أشار الحِميْري إلى ما آلت إليه مدينة ألمريّة على أيدي الروم آنذاك، فقال: «وكان الرُّوْمُ مَلَكُوْها فغيّروا محاسنها وسَبَوْا أهلها وخربّوا ديارها»[2]. وقال المقّري: «ودخل الموحّدون المدينة، وقد خربتْ وضعفتْ، إلى أنْ أحْيَا رَمَقَها الرئيسُ أبو العباس أحمد بن كمال»[3]. وهنا إشارة إلى أعمال الترميم التي قام بها الموحّدون آنذاك من جرّاء الأضرار التي لحقت ببنيان ألمريّة.

وبآنحسار الموحّدين تصبح ألمريّة في عهد بني نصر ولاية من ولايات مملكة غرناطة الثلاث؛ ولاية ألمريّة، وولاية مالقة، وولاية غرناطة[4]. ثم سقطت هي ومدينة بسطة في أيدي القشتالين الإسبان في يوم الجمعة عاشر محرّم سنة خمس وتسعين وثمانمائة / ١٤٨٩ م بعد سقوط معظم قواعد مملكة غرناطة، وقبل سقوط الحاضرة غرناطة بسنتين[5].

---

(١) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ح ١ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥)

(٢) الروض المعطار ص ٥٣٨.

(٣) نفح الطيب (ج ٤ ص ٤٦٣).

(٤) انظر كناسة الدكان ص ١٦ ـ ١٧

(٥) انظر نفح الطيب (ج ٤ ص ٥٢٢)، والآثار الأندلسية الباقية في إسانيا والبرتغال ص ١٩٢، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٠٥، ١٦٤، وتاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ١٨١.

سيرة المعتصم ابن صمادح ملك ألمريّة

١ ـ اسمه وكنيته وألقابه:

هو محمد بن أبي الأَحْوَص مَعْن بن أبي يَحْيَى محمد بن صُمادح[1] بن أحمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح بن عبدالرحمن بن عبدالله بن المُهاجر بن عَمِيْرَة ـ الداخل إلى الأندلس ـ ابن المهاجر بن نجدة بن شُرَيْح بن حَرْملة بن يزيد بن عبد ربِّه بن يزيد بن سعد بن عامر بن عَدِيّ وهو تُجِيْب[2] بن أشرس بن شَبْث بن السَّكون بن أشرس بن شِيْث بن كِنْدة وهو ثور بن مَرْتَع بن معاوية بن كِنْدي بن عُفَيْر آبن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن يزيد بن مَهْصَع بن عمرو بن عَرِيْب بن يَشْجُب بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[3]. ونَسَبَهُ الأصفهاني إلى بني الفِهْري[4]. ويُكْنَى أبا يحيى[5]. وتلقَّب بخمسة ألقاب، معز

(١) في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩). «كان جَدُّهم محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن صمادح بن عبد الرحمن بن عبدالله بن المهاجر». . وفي وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٥): صُمادح، بضمِّ الصاد المهملة وفتح الميم، ودال مكسورة، وتعني في اللغة: الشديد. وفي التكملة (ج ١ ص ٤٠١): «محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي».

(٢) ذكر آبن حزم أنَّ «تُجِيْب» امرأة عُرِفَ بنو صمادح بها فَنُسبُوا إليها، وهي تُجِيْب بنت ثوْبان بن سُلَيْم بن رُهاء، من مَذْحِج وهي أمُّ عَدِيٍّ وسَعْدٍ ابني أَشْرَسَ بن شبيب بن السَّكُوْن بن أَشْرَسَ بن كِنْدة. جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٩. وعن تجيب انظر أيضاً المطرب ص ٣٤، ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٣١).

(٣) نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٤ وانظر أيضاً الحلة السيراء (ج ٢ ص ٧٨)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩).

(٤) الخريدة (ج ٢ ص ٢٧١) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٧٧.

(٥) انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٤، والتكملة (ج ١ ص ٤٠١)، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٣٩)،

الدولة، والمعتصم بالله، والواثق بفضل الله، والرشيد وسراج الدولة[1].

٢ ـ ولادته وأصله:

كانت ولادته في سنة تسع وعشرين وأربعمائة[2] / ١٠٣٧ م، وأمُّه من بيت عزٍّ وجاه، وهي بُرَيْهة بنت الناصر عبد الرحمن ابن المنصور محمد بن أبي عامر المعافري، أخت أبي الحسن المنصور عبد العزيز بن عبدالرحمن محمد بن أبي عامر المعافري، صاحب بلنسية[3]. وهكذا يكون محمد بن معن من أصل عربي من جهة الأب والأم معاً. وتزوَّج إحدى بنات آبن مجاهد العامري، وقد ورد ذلك في فصل من رقعة كتبها الوزير الكاتب أبو محمد عبدالله بن أبي عمر بن عبد البرّ النَّمَري عن آبن مجاهد وقد زفَّ آبنته إلى محمد بن معن بن صمادح[4].

وكان جَدُّه أبو يحيى محمد بن صمادح والياً على مدينة وشِقَة Huescaوأعمالها في أيام الخليفة المؤيد هشام بن الحكم الأموي[5]. ثم كان له آتّصال بالخليفة سليمان المستعين فثنّى له الوزارة وأمضاه على عمله[6]. وكان أَوَّلَ أمره مجاملاً لابن عمِّه منذر بن يحيى التجيبي[7]، الذي كان أول مَنِ آستقلَّ بسرقسطة والثغر الأعلى

= والمطرب ص ١٢١، ١٢٦، وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٥٩٢) وتاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين لأشباخ ص ٩٨.

(١) تحدَّثنا بإسهاب عن هذه الألقاب ص ٣٥ فانظرها.

(٢) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٩٢).

(٣) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١).

(٤) الذخيرة (ق ٣ م ١ ص ١٢٧)، والمغرب (ج ٢ ص ٤٠٢).

(٥) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٩ ـ ٧٣٠) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١)، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٣٩)، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣) وفيه أسماه آبن عذاري: يحيى بن أحمد بن صمادح، والتكملة (ح ١ص ٣٨٢) وفيه أسماه آبن الأبّار: محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن صمادح التحيبي، وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٥٩٣).

(٦) انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص٧٣)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩)، والبيان المغرب (ح ٣ ص ١٧٣).

(٧) كان منذر بن يحيى يُكنَى أبا الحكم ويلقَّب بالحاجب المنصور، وكان في بداية أمره رجلاً مِنْ عُرْضِ الجُنْد، وترقَّى إلى القيادة آخر دولة آبن أبي عامر، وتناهى أمره في الفتنة إلَى نَيْل الإمارة، فأعطاه سليمان المستعين سرقسطة سنة ثلاث وأربعمائة / ١٠١٢ م، فأحسن تنظيمها مات قتلاً على يدي =

بعد آنحلال عِقْدِ الجماعة بالأندلس، ثم حاربه منذرٌ طمعاً في مُلْكِ وشِقَة، فعجز أبو يحيى عن منذر لكثرة رجاله، وترك له المدينة، وفرَّ بنفسه، فلم يَبْقَ له بالثَّغْر متعلّق، وكان أوَّلَ ساقط من الثُّوّار[1]. وآنتقل عندئذٍ إلى بلنسية، وكان صاحبَها آنذاك أبو الحسن المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر المعافري[2]، فأكرمه المنصور وأوطنه بلده، وصاهرَ آبنَيْهِ مَعْناً أبا الأحوص وصُمادحاً أبا عُتْبة، أي زوَّجَهُما أُخْتَيْه[3]، ثم رأى اللَّحاق بالمشرق فهلك غَرَقاً في البحر[4]. وقد أجمل آبن بسام خِصال أبي يحيى بقوله: «وكان أبو يحيى هذا رجلَ الثَّغْرِ رأياً ومعرفة، ودَهْياً ولساناً وعارضة، ولم يكن في أصحاب السيوف مَنْ يَعْدِلُهُ في خلاله هذه؛ مِنْ رجلٍ محرومٍ يقارنه الشُّؤوم، ويقعد به النَّكَدُ واللُّؤم»[5]... وقال فيه الصَّفَدي: «وكان داهيةً لم يَعْدِلْهُ أحد من أصحاب السيوف في الدهاء»[6].

أمّا والده أبو الأحوص معن، فقد بقي في كنف عبد العزيز ببلنسية وزيراً له. وعندما وَثَبَ عبدُ العزيز على ألمريّة وَمَلَكَها سنة تسع وعشرين وأربعمائة[7] / ١٠٣٧ م، مُلَبِّياً دعوة أهلها إثر موت صاحبها زهير العامري، حَسَدَهُ أبو الجيش مجاهد العامري صاحب دانية Denia وخرج غازياً بلاده، فتأهّب عندئذٍ عبد العزيز وخرج إليه من ألمريّة، وآستخلف فيها مَعْناً، فغدر به معن، وخان أمانته، وخلع طاعته، وطرده

= عبدالله بن الحكم، أحد قوّاده، في سنة ثلاثين وأربعمائة / ١٠٣٨ م. انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ١٨٠ ـ ١٩١)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١١٩، ١٩٦ ـ ٢٠١) وفيه: توفي منذر سنة ٤٣١ هـ/ ١٠٣٩ م، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١١٣، ١٧٥ ـ ١٨١)، والمغرب (ج ٢ ص ٤٣٥)، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٨٩)، ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٨٤)، والأعلام (ج ٧ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(١) انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٠)، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣)، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩) وسير أعلام النبلاء (ج١٨ ص ٥٩٣).

(٢) تقدمت ترجمة المنصور عبدالعزيز ص ٣٣ حاشية ١.

(٣) أي إنَّ وَلَدَيْ أبي يحيى تَزَوَّجا أُخْتَي المنصور.

(٤) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١).

(٥) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٠). ورد هذا النصّ في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣) بآختلاف يسير عمّا هنا.

(٦) الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥).

(٧) في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٦٣): منسلخ ذي القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة / ١٠٣٥ م.

عن الإمارة، ودَعَا لنفسه ملكاً على ألمريّة وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة / ١٠٤١ م، ولم يَبْقَ من أمراء الطوائف أحد إلاَّ ذَمَّهُ، إلاَّ أنّه تمَّ له الأمر وآستتبَّ، ودانت له لورقة وبيّاسة وجيّان وغيرها[١]. وكان من كبراء العرب، حارب مَنْ جاوره من سائر ملوك الطوائف إلى أنْ هلك في شهر رمضان من سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة / ١٠٥١ م [٢]. وترجم له ابن الأبار بقوله: «كان مرضيَّ السيرة، باسطاً للحقّ، ذا حظّ من العلم. توفي بألمرية سنة ٤٤٣ هـ[٣].

٣ ـ خصاله:

كان المعتصم حسن السِّيرة في رعيَّته وجُنْده وقرابته، وقد أَثْبَتَ ذلك آبنُ الأبّار في قوله: «وكان حسن السِّيْرة في رعيته وجُنْده وقرابته، فآنتظمتْ أيّامه، وآتّصلت دولته، وآستقامت أموره... كان المعتصم ساكن الطائر، مأمون الجانب، حصيف العقل، طاهراً»[٤]. وأيَّده في ذلك آبنُ عِذاريَ فقال: «فَجَرَى هذا الفتى أبو يحيى مع رجاله مجراه على أحسن سِيْرة في جُنْده ورعيّته، فَحَسُنَتْ أيّامُه، وآطّردتْ دولته، وكان من أهل الأدب والمعارف، فاضلاً عاقلاً»[٥]. ووصفه الحجازي بقوله: «مَلِكٌ تَمَلَّكَهُ الإحسان، وأَطْلَعَهُ الفَضْلُ غُرَّةً في وَجْهِ الزَّمَان»[٦].

وكان المعتصم يدمن على الشَّراب، ولمَّا أعرض عنه زمناً قال فيه وزيره وشاعره أبو حفص عمر بن الشُّهيْد التُّجيبي (المتقارب):

عَسَى دَهْرُنا أنْ يَكُفَّ الخُطُوْبَا ... ويجعلَ منكَ لكأسٍ نَصِيْبَا
وَشَتْ حادثاتُ الليالي بها ... فَأَعْرَضْتَ عنها وكانت حبيبا[٧]

---

(١) راجع الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٦٣، ٧٣٠ ـ ٧٣١)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧، ١٧٤، ١٩١ ـ ١٩٢، ٢٩٣)، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠)، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥)، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠، ٢١٧) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١) وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٥٩٣).

(٢) انظر البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧)، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١).

(٣) التكملة لكتاب الصلة (ص ٧٢٩).

(٤) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٢).

(٥) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨).

(٦) انظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٦).

(٧) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٨٧).

وقال أيضاً (الكامل):

هَجَرَ المُدَامَ وكان يَأْلَفُ وَصْلَهَا ... مَلِكٌ جليـلٌ في الملوكِ عـظيمُ

فَاصفرَّتِ الاقداحُ مِنْ جَزَعٍ ولو ... يَسْـطَعْنَ لَمَ يـأْرَجْ لَهُنَّ نسيْمُ

وتَـطَلَّعَ السـاقي يؤمِّـل عَـوْدَةً ... لِيعـودَ عَهْـدٌ بـالكـرامِ كَـرِيْمُ[1]

وهكذا أخلد المعتصم إلى الدَّعَة، وآكتفى بالضِّيق من السَّعَة، وآقتصر على قَصْرٍ يَبْنِيْه وعِلْقٍ يَقْتَنِيْه، ومَيْدانٍ من اللَّذَّة يستولي عليه ويبرِّز فيه...»[2].

كذلك كان المعتصم يُعْنَى بالدِّين وإقامة الشَّرْع، فيعقد المجالس في قصره للمذاكرة، ويجلس يوماً في كل جمعة للفقهاء والخوّاص، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث[3]. وقال فيه الذهبي: «فكان حليماً، جواداً، مُمَـدَّحاً... وكان فيه خير ودين وعدل وتواضعٍ وعقل تام»[4].

وكان ورعاً عادلاً، له حكايات في التورّع والعدل، أورد المقَري إحداها بقوله: من حكـايات أهـل الأنـدلس في العـدل أنَّ المعتصم لمّـا بَنَى قصـوره المعـروفـة بالصُّمَادِحِيَّة آغتصب المشتغلون ببنائها جَنَّةً لأحد الصالحين وألحقوها بالصمادحيّة، وزعم ذلك الصالح أنها لأيْتامٍ من أقاربه، فَبَيْنما المعتصمُ يوماً يشرب على الساقية الداخلة إلى الصمادحيّة وقعتْ عَيْنُه على أنبوبِ قصبةٍ مُشَمَّعٍ، فأمرَ مَنْ يأتيه به. فلمّا أزال عنه الشَّمْعَ وجد فيه ورقة فيها: «إذا وقفْتَ أيُّها الغاصبُ، على هذه الورقة فآذكرْ قول الله تعالى: ﴿إنَّ هذا أخي له تِسْعٌ وتِسْعُوْنَ نَعْجَةً ولِيَ نَعْجَةٌ واحدةٌ فقال أَكْفِلْنِيها وعَزَّني في الخِطاب﴾[5]، ولا إله إلاّ الله، أنتَ مَلِكٌ قد وَسَّع الله تعالى عليك، وَمكَّنَ لك في الأرض، ويَحْمِلُكَ الحِرْصُ على ما يفنى أنْ تضمَّ إلى جنَّتك الواسعة العظيمة قطعة أرضٍ لأيتامٍ حَرَّمت بها حلاها وخبثَتْ طِيْبَها، ولَئِنْ تحجَّبْتَ عني بسلطانك،

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٢). وانظر أيضاً البيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٢).

(٣) انظر الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٥٩٣).

(٥) سورة ص ٣٨، الآية ٢٣.

وآقتدرْتَ عليَّ بعظَم شأنك، فنجتمعُ غداً بين يَدَي مَنْ لا يحجب عن حقّ[1]، ولا تضيع عنده شكوى». فلمّا آستوعب المعتصمُ قراءتها دمعتْ عيناه وقال: عليَّ بالمشتغلين ببناء الصمادحيّة، فأُحْضِروا، فآستفسرهم عمّا زَعَمَ الرجلُ، فلم يسعهم إلّا صدقه، وآعتذروا بأنَّ نَقْصَها من الصمادحيّة يَعِيبُها في عين الناظر، فآستشاط المعتصم غضباً وقال: والله إنَّ عَيْبَها في عين الخالق أقبحُ مِنْ عَيْبها في عين المخلوق، ثم أمر بأنْ تُصْرَفَ عليه. ثم إنَّ وزيره آبن أرقم[2] لم يزل يلاطف الشيخ والأيتام حتى باعوها عن رضىً بما آشتهوا من الثمن، وذلك بعد مدّة طويلة، فآستقام بها بناء الصُّمَادِحيّة، وحصل للمعتصم حسن السمعة في الناس[3]. وأشار آبن سعيد إلى ورع المعتصم وعدله بقوله: «وأمّا تَوَرُّعُهُ وعَدْلُهُ فله فيهما حكايات»[4]. وقال أشباخ: «وكان منذ أربعين عاماً قوام حكومة رشيدة عادلة يغمرها الشعب بحبه وتقديره»[5].

وكان متسامحاً يُؤْثِرُ العَفْو، من ذلك ما رواه المقَّري بقوله: ومن حكايات أهل الأندلس في العفو أنَّ المعتصم كان قد أحسن إلى النَّحْلي البَطَلْيَوْسي، وكان النَّحْلي قد سار عنه إلى إشبيلية فَمَدَحَ مليكها المعتضدَ ابن عباد بشعر قال فيه (المتقارب):

أَبَادَ آبنُ عَبّادٍ آلبَرْبَرا ... وأَفْنَى آبنُ مَعْنٍ دَجَاجَ القِرَى

ثم نسي ما قاله، فلمّا حَلَّ بألمريّة أحضره المعتصم لمنادمته، وأحضر للعشاء موائدَ ليس فيها غيرُ دجاج، فقال النَّحْلي: يا مولاي، ما عندكم في ألمريّة لحمٌ غير الدجاج؟ فقال: إنّما أَرَدْتُ تكذيبك فيما قلت:

وأَفْنَى آبنُ مَعْنٍ دَجَاجَ القِرَى

فطارَ سُكْرُ النَّحْلي، وجعل يعتذر، فَعَفَا عنه المعتصم، ولكنّه خافَ ففرَّ من ألمريّة، ثم ندم فكتب إلى المعتصم (المتقارب):

---

(١) أي عند حساب الآخرة بين يدي الخالق الكريم.

(٢) ستحدث عنه بالتفصيل في باب «شعراء ألمرية في عهد المعتصم» ص ١٠٩.

(٣) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(٤) المغرب (ج ٢ ص ١٩٦).

(٥) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ص ٩٨).

رِضَى آبنِ صُمَادِحَ فَارَقْتُهُ ... فَلَمْ يُرْضِنِي بَعْدَهُ آلعَالَمُ
وكانتْ مَرِيَّتُهُ جَنَّةً ... فجئتُ بما جَاءَهُ آدمُ[1]

وقد أورد آبن بسّام هذين البيتين منسوبين إلى أبي عامر بن الأصيلي هكذا:

جَنَابُ آبنِ مَعْنٍ تَجَنَّبْتُهُ ... فلم يُرْضِنِي بَعْدَهُ آلعَالَمُ
وكانتْ مَرِيَّتُهُ جَنَّتي ... فجئتُ بِمَا جَاءَهُ آدَمُ[2]

وكان المعتصم أديباً ذا شاعريّة فذّة سنتحدّث عنها بإسهاب فيما بعد[3].

وكان يَتَزَيَّا بحمل العِمَامَةِ ولبس البُرْنُس؛ ذكر آبن الأبّار أنَّ المعتمد ابن عباد، ملك إشبيلية، كتب إلى ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليَسَع شعراً عرَّض فيه بالمعتصم ابن صمادح فقال (الكامل):

ولقد ذَكَرْتُ فَزَادَ عَيْنِي قُرَّةً ... هُوْنُ السِّبَالِ وخِزْيُ رَبِّ البُرْنُسِ[4]

وأخيراً نورد هذين البيتين لأبي طالب عبد الجبار المعروف بمتنبي الأندلس، من أرجوزته التي بلغتْ ثلاثة وخمسين وأربعمائة بيت، يوجز فيهما سيرة المعتصم وآله:

وآلُ مَعْنٍ مَلَكُوا المَرِيَّهْ ... بِسِيْرَةٍ محمودةٍ مَرْضِيَّهْ
ذِكْرُهُمُ في غير ما قصيدِ ... يُشْرِقُ مِثْلِ النَّحْرِ بالفريدِ[5]

٤ ـ وفاته ومدّة إمارته:

فيما يتعلّق بتاريخ وفاة المعتصم فقد آنقسم المؤرّخون فريقين؛ فريق يرى أنَّه توفِّي على فراشه إثْرَ رحيل عساكر المرابطين عنه، وفريق يرى أنّه توفِّي على فراشه

---

(١) نفح الطيب (ج ٤ ص ٩).
(٢) الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٦٧٣).
(٣) انظر «دور المعتصم في النشاط الأدبي» ص ١٠٥ وما بعدها.
(٤) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٦ ـ ٨٧).
(٥) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٩٤٣) وخريدة القصر (ق ٤ ج ٢ ص ٩٥).

والمرابطون يحاصرونه. ولقد آنسحب هذا التباين في الرأي على تحديد اليوم والشهر اللذين توفي فيهما الرجل، فذهب بعضهم إلى أنه توفي عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمانٍ بَقِيْنِ من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩١ م، ودفن في تربة له عند باب الخوخة[١]. وذهب البعض الآخر إلى أنه هلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وأربعمائة[٢] / ١٠٩١ م. وعلّق المعتمد ابن عبّاد على موته بقوله: «رجلٌ آستصحب حالَ سَعْدِه، من قصره إلى قبره! كان الموت كأساً بيده، فحين آستطابها تَجَرَّعَها»[٣].

وكانت مدّة إمارة المعتصم بألمريّة إحدى وأربعين سنة، استناداً إلى قول الحجازي: «وكانت مدّة المملكة الصُّمَادِحِيَّة نحو خمسين سنة ونيِّف، مَلَكَ المعتصمُ منها إحدى وأربعين وهو آبن أربع عشرة سنة»[٤]، وقول آبن عذاري: «فكانت مدّته إحدى وأربعين سنة»[٥]. وخالفهما آبن الأبّار الرأي فقال: «فكانت مدّة إمارته بألمريّة أربعين سنة، أَشْبَهَ في ذلك خَالَهُ عبدَ العزيز بن المنصور، صاحبَ بلنسية، فإنّه وُلِّي سنة آثنتي عشرة وأربعمائة / ١٠٢١ م، وتوفي سنة آثنتين وخمسين»[٦]. أمّا آبن خلدون، فقد خالف الجميع الرأي فذهب إلى أنَّ المعتصم وَلِيَ ألمريَّةَ وآستبدَّ بها أربعاً وأربعين سنة، ولم يزل بها أميراً إلى أنْ هلك سنة ثمانين وأربعمائة / ١٠٨٧ م، وولي آبنُه، وخلعه يوسف بن تاشفين سنة أربع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩١ م[٧]. ونحن بدورنا لا نوافق آبن خلدون رأيه؛ لأنّه مغايرٌ للتاريخ ومخالف لِمَا جاءَ به جميع الذين ترجموا للمعتصم، ونُقِرُّ بما ذهب إليه الحجازي وآبن عِذاري.

---

(١) انظر وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤)، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩٢)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٩٢).

(٢) انظر الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤)، والتكملة (ج ٢ ص ٤٠١)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١).

(٣) انظر أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١).

(٤) انظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٦).

(٥) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨).

(٦) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤).

(٧) تاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥٠).

الباب الثاني

دراسة اجتماعيّة واقتصاديّة وثقافيّة وعمرانيّة لمملكة ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح



مجتمع ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح

مبلغ الجهد في هذا الفصل أنْ ندرسَ المظاهرَ الاجتماعيّة لمملكة ألمريّة، بهدف إلقاء أضواءَ مباشرةٍ على حياة الناس فيها، ولكنَّ الالتزامَ بما يُمْكِنُ أنْ تُيَسِّرَهُ المصادرُ يجعلُ الكلامَ في هذه المظاهر ملاحظاتٍ عامّة؛ إذ ليس لدينا من المصادر المتّصلة بعصر المعتصم ما نستنتجُ منها صورةً واضحةً للحياة الاجتماعية بألمريّة. وإذا كان هناك من ملاحظات، تكون في الغالب متّصلةً بحياة الطبقة الحاكمة. ورغم ذلك، فقد آستطعْنا أنْ نذلِّل الكثيرَ من الصعوبات بحيث كَوَّنّا فكرةً عامّةً عن طبقات مجتمع ألمريّة، والعناصر التي كان يتكوّن منها.

أولاً ـ سكان مجتمع ألمريّة:

يتكوّن مجتمع ألمريّة من عناصر مسلمةٍ وأخرى غير مسلمة؛ فالمسلمة تنحصر في العرب، والبربر، والصقالبة، والمسالمة، والمولّدين، وتنحصر العناصر غير المسلمة في المُسْتَعْرَبِيْن Los Mozarabes واليهود.

١ ـ **العرب**: هم أبرز العناصر التي يتكّون منها مجتمع ألمريّة. دخلوا الأندلس فاتحين، قادمين من المشرق ولا سيما من الشام، وآختاروا منذ البداية أخصب الأراضي وأفضلها للسكن. وبفضل دينهم ولغتهم تغلّبوا على البلاد وأقاموا فيها حضارة عريقة في الفكر والفن والعمران والتنظيم والإدارة.

ولقد متّنوا علاقاتهم مع عناصر مجتمع ألمريّة، فآختلطوا بهم عن طريق الزواج أو السُّكْنَى والمعاملة، فكان أنْ تزوَّج قسم كبير منهم من إسبانيّات ممّا أسهم في توطيد عَلاَقات الجوار بين مملكة ألمريّة وممالك إسبانيا النصرانيّة.

وكانت اللغة العربيّة الفصحى اللغة الرسميّة في مملكة ألمريّة، بل لغة التفاهم بين أهلها، وقد سيطرت على مجتمع ألمريّة وآنتشرت بين عناصره برغم أنّها آختصّت بالأرستقراطيين والمثقّفين. فالأرستقراطية آحتلّتْ مركز الصدارة في الحياة الثقافيّة: لأنّها أكثرُ الطبقات تهيّؤاً لتبنّي اللغة العربيّة وتعلُّمها وآستيعاب تاريخ أدبها، ومن خلال سيطرتها على مقاليد الحكم أمسكتْ باللغة العربيّة بشدّة كما كانت الحال من قَبْلُ في عصر الدولة الأمويّة، فكان أنْ ظلّتْ هذه اللغةُ لغةَ المملكة ولغة الأدب معاً[1].

كذلك كانت اللغة العربيّة العاميّة مجالاً للتفاهم بين عناصر مجتمع ألمريّة، ومجالاً للانتشار في كثير من خَرَجات الموشّحات.

وفي الحقيقة أثّر عَرب ألمريّة في حياة النصارى الإسبان تأثيراً كبيراً؛ لأنّ آختلاط العرب بالنصارى من شأنه أن يدفع هؤلاء إلى تقليد الآخرين، وأنْ تشيع الثقافة العربيّة في أوساطهم[2]. وبذلك يكون النصارى قد مارسوا عادات العرب وتقاليدهم كَخَتْن صغارهم والامتناع عن أكل لحم الخنزير، وتعلّموا لغتهم وأتقنوها[3]. وما آحتواء اللغة الإسبانيّة اليوم على ما يزيد على الأربعة آلاف كلمة عربيّة، وعلى كثير من تركيبات وتعابير لغويّة عربيّة، إضافةً إلى آنفرادها بين لغات أوروبا اللاتينية بآمتلاكها أداة التعريف العربيّة وحَرْفَي الخاء (j, ge, gi) والثاء (ce, ci, z) إلاّ دليلاً على مدى هذا التأثير[4]. وإليك بعضاً ممّا ذَكَرْنا:

الفارس (رتبة ملازم)	alferez	الزعفران	azafrán
الطليعة	atalaya	الزيتون	aceituna
البَنّاء	albañil	الزيت	aceite
الطُّوْب (الآجُرّ)	adobe	ياسمين	jazmin
القاضي	alcalde	القطن	algodon
القصبة	alcazaba	المِخَدّة	almohada
القصر	alcazar	شراب	jarabe

(١) راجع قصة الأدب في الأندلس (ج ١ ص ٢٢٦ وما بعدها).

(٢) انظر فصول في الأدب الأندلسي ص ١٥٢.

(٣) راجع في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٧٤، وأندلسيات ص ١٦٠، وفجر الأندلس ص ٤٢٥ وما بعدها.

(٤) انظر فصول في الأدب الأندلسي ص ١٤٧ ـ ١٤٩، وحضارة العرب في الأندلس ص ٨١ ـ ٨٤.

وهكذا عَرَفَتِ الثقافةُ العربيّة في الأنـدلس كيف تستقي من حضارة المشـرق وكيف تفرض نفسها فيما بَعْدُ خارجَ الحدود الإسلاميّة. ولكـن يجـب ألّا ننسى أنّ التأثيرات كانت متبادلة بين عرب ألمريّة والنصارى الإسبان. وبرغم رُجْحان كفَّة ميزان العرب الكبير في التأثير، فإنَّ الإسبان آستطاعوا إلى حدٍّ ما أنْ يؤثِّروا في الثقافة العربيّة وفي حياة عرب ألمريّة الاجتماعيّة. ودليل تأثّرهم بالنصارى آلتزامهم يوم الأحد من كلِّ أسبوع عطلةً رسميّة، مشاركين في ذلك نصـارى بلدهم من جهة، ومخـالفين مسلمي المشرق من جهة ثانية. وقد تمَّ ذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م)، وظلَّ معمولاً به على الأقلّ حتى أواخر القرن الخامس الهجري /أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، استناداً إلى نصِّ آبن حيّان القرطبي المتوفّى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م: «وكان أوّلَ مَنْ سَنَّ لِكُتّابِ السلطان وأهلِ الخدمة تعطيلَ الخدمة في يوم الأحد من الأسبوع والتخلّف عن حضور قصره (أي قصر الأمير محمد) قومُسُ بن أنتنيان كاتبُ الرسائل للأمير محمد، وكان نصرانيّاً، دعا إلى ذلك لنسكه فيه، فَتَبِعَهُ جميعُ الكُتّاب طَلَبَ الاستراحة مِنْ تعبهم والنظرِ في أمورهم، فآنتحوا ذلك، ومضى إلى اليوم عليه»[1]. وأيَّدَهُ المقرّي في ذلك، فقال عند حديثه عن المنصور العامري: «أصبح المنصورُ صبيحةَ أحدٍ، وكان يـومَ راحةِ الخَدَمَةِ، الذي أُعْفُوا فيه من قصد الخِدْمة»[2].

كذلك شارك عرب الأندلس المُسْتَعْرَبِيْنَ في أعيادهم مثل عيـد ميلاد السَيـد المسيح، وعيد رأس السنة الميلاديّة، وعيد العنصرة وهو عيد سان خوان San Juan الواقع في ستٍّ بَقِيْنَ من شهر حزيران، وخميس نيسان أو خميس العهد الذي يسبق عيد الفصح المسيحي بثلاثة أيام. وكانوا في هذه الأعياد يبتاعون الفواكه والحلوى كما كان يفعل النصارى تماماً[3]. تجدر الإشارة هنا إلى أنّه كان لمسلمي ألمريّة أعيادٌ ومواسمُ دينيّةٌ على نسق ما كان يعرفه المشرق، كعِيْدَي الفِطْرِ والأضحى، وعيد المولد النبوي، وموسم عاشوراء. كذلك عَرَفُوا أعياداً قوميّة كعيد العصير الذي كان، على ما أعتقد، مشتركاً لجميع عناصر مجتمع ألمريّة. وكان هذا العيد، حسبما يذكر الدكتور

(١) المقتبس، تحقيق مكي. ص ١٣٨.

(٢) نفح الطيب (ج ١ ص ٤١٧).

(٣) انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ١٠٧).

أحمد مختار العبادي، يُقَامُ عند جَنْيِ محصول العنب وعصره، وهو المحصول الرئيسي هناك، بحيث كانوا ينتقلون إلى حقول الكرم عدة أيام يجمعون خلالها محصولهم في جوّ يسوده الغناء والرقص، وهي عَادَةٌ ما تزال مستمرّة في ألمريّة وسائر مدن إسبانيا حتى اليوم[1]. ويضيف العبادي: كذلك كانوا يحتفلون في مناسبات أخرى كالانتصارات والزواج والإعذار (ختن الأبناء)، وذلك بوسائلَ مختلفةٍ كالغناء والموسيقى والرقص وألعاب الفروسيّة وسباق الخيل وحفلات الصيد والقنص[2].

وإلى جانب ما ذكرناه، هناك التأثير الثقافي، حيث آنتشرت الرومنثيّة، لغةُ النصارى، بين عرب ألمريّة. والرومنثيّة هي الإسبانية القديمة المتولّدة من اللاتينيّة والتي تطوّرت منها الإسبانية المكتوبة والمحكيّة اليوم في إسبانيا ودول أميركا اللاتينية، وقد عُرِفَتْ عند المؤلّفين الأندلسيّين بآسم العجميّة أو اللطينيّة، وعاشت بين أوساط المسلمين العرب بحيث أصبحت قبائلُ عربيّةٌ كثيرةٌ تُجيْدُها[3]. وكانت تلك اللغة عاميّة، لأنَّ لغة الإسبان الفصحى والمكتوبة آنذاك كانت اللغة اللاتينيّة، وبالتالي فإنَّ الخُرَجَات الأعجميّة في الموشّحات الأندلسيّة كان يأخذها الوشّاحون عن أفواه الناس وليس عن الكتب والأساتذة[4]. ودليل آنتشار هذه اللغة نَصٌّ لابن حزم المتوفّى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م يستغرب فيه كيف أنَّ قبيلةً عربيةً، هي قبيلةَ بَلّي بن عمرو بن قضاعة، لم تكن تُحْسِنُ التحدّث باللطينيّة: «ودار بَلِيّ بالأندلس، الموضعُ المعروف بآسمهم بشمالي قرطبة، وهم هنالك إلى اليوم على أنسابهم، لا يُحْسِنُونَ الكلام باللطينيّة، ولكن بالعربيّة فقط، نساؤهم ورجالهم»[5]. ويُسْتَدَلُّ من كلامه أنَّ سائر القبائل العربيّة كانت تُجِيْدُ اللغة اللطينيّة إلى جانب لغتها العربية، بآستثناء هذه القبيلة التي كانت تعرف اللطينيّة ولكن لم تكن تُجِيْدُها إجادة غيرها.

وهناك نَصٌّ آخر للخُشَني المتوفّى سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م، يشير فيه إلى أن

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٨.

(٣) انظر في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٧١، ومجلة عالم الفكر (المجلد الثامن، العدد الأول ص ٨٣، ١٦٩ ـ ١٧٠) و(المجلد ١٠، العدد الثاني، ص ٦٦).

(٤) انظر الزجل في الأندلس ص ٤٧.

(٥) جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٣.

بعض قضاة قرطبة كانوا أثناء المحاكمة يناقشون المتّهمين باللغة الرومنثيّة: «قضى سعيدُ بن سليمانَ يوماً في المسجد (أي مسجد قرطبة) إلى أنْ مَضى صدرُ النهار، ثم قام منصرفاً إلى داره، فلمَّا هَمَّ بدخول الدار، فإذا بوالد نصر الفتى مُقْبِلاً وأعوانُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وكان أعجميَّ اللسان، فَصَاحَ على البعد بالعجميّة: كَلِّموا القاضي يُثْبِت عليَّ أُكَلِّمه، فقال القاضي: قولوا له بالعجميّة: إنَّ القاضي قد أَدْرَكَتْهُ الملالةُ والسآمةُ من طول الجلوس للقضاء.. ثم دخل القاضي داره ولم يقف عليه»[1]. وله نصّان آخران يُشِيرُ في أحدهما إلى أنَّ القاضي يُخَامِرَ بنَ عثمان الشَّعْباني كان يُجِيْدُ العجميّة[2]. ويُشِيْرُ في النصّ الآخر إلى أنَّ القاضي سليمانَ بن أسودَ الغافقي تحدَّث في مجلس حكمه مع امرأة بالعجميّة[3].

وإذا نحن لم نَحْظَ بنصوصٍ تبيِّن مدى تأثير اللغة اللطينيّة على أهل ألمريّة، فليس معنى ذلك أنَّ هذه اللغة آنحصرت في قرطبة وحدها.

وهكذا ظلَّتِ الحياةُ المشتركةُ بين عرب ألمريّة ومسيحيِّيْها سائدةً سنين طويلة.

٢ ـ البربر: أصل كلمة «بربر» هو آسمُ صوتٍ غير مفهوم كان يُحْدِثُه هؤلاء القومُ حين يتكلّمون، أي أنّهم كانوا يبربرون في كلامهم. ذكر آبن حزم أنَّ البربر من بقايا وُلْد حام بن نوح، أخي سام بن نوح، وأنّهم آختلطوا منذ القدم بأصول ساميّة، وأنَّ أهمَّ بيوتاتهم بالأندلس مِكْناسةُ، وزَنَاتَةُ، وَمَصْمُوْدَةُ، وصِنْهاجة[4].

ولقد تدفَّق البربر من المغرب على جزيرة الأندلس حتى آزداد عددهم وآنتشروا في كافّة المدن الأندلسيّة، وبرزوا في جميع حقول العمل والمعرفة. جُلُّهُمْ صُنّاعُ وعمّالٌ وفلّاحون آتّخذوا المناطق الجبليّة الوعرة سكناً لهم ـ لأنَّ العرب كانوا قد آختاروا لأنفسهم الأراضي السهلة الخصبة ـ فآندمجوا فيها وأخذوا يُصْلحونها ويغرسون فيها كلَّ أنواع الشجر، ويربُون في أدغالها المواشي حتى أصبحوا مَهَرَةً في الزراعة والفلاحة وتربية الحيوانات الداجنة. وآنصهروا في المجتمع الأندلسي عن طريق الزواج، وأتقنوا اللغة العربيّة إتقاناً كاملاً إلى جانب تعلّمهم اللغة الرومنثيّة؛

(١) قضاة قرطبة ص ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٣.

(٣) قضاة قرطبة (ص ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٤) جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٥، ٤٩٩ ـ ٥٠١.

ذلك أنَّ لغتهم البربريّة لم تكن مكتوبة عندهم، فزالت مع الوقت ولم تعد تصمد أمام اللغتين العربيّة والرومنثيّة.

٣ - الصقالبة: هم أولئك الأرِقّاء الذين يُنْتسبون إلى جنسيّات أوروبيّة مختلفة، وكان النَّخّاسون يحملونهم من شمالي أوروبا ويبيعونهم إلى عرب الأندلس عن طريق فرنسا. والنَّخّاسون هم من القبائل الجرمانية، الذين دأبوا على سَبْي رجال ونساء الشعوب السلافيّة (سكان البلاد الممتدّة من بحر قزوين شَرْقاً إلى البحر الأدرياتي غرباً، وهي البلاد التي كانت آنذاك تحمل آسم بلغاريا)، وبيعهم إلى عرب الأندلس. لذلك سُمُّوا بالسّلاف esclavo بمعنى الرقيق أو العبيد بالإسبانية. وقد عرَّب عربُ الأندلس آسمَ السّلاف إلى صَقْلب، ومنها «صقلبي» و«صقالبة»، وتوسّعوا في هذا الاسم فأطلقوا آسم «صقلبي» على كلِّ عبدٍ جُلِبَ مِنْ أيّة أَمَةٍ مسيحيّة، وأصبح هذا اللفظ عندهم يستعمل للرقيق الأبيض على الإجمال. وكانوا يسمّونهم الخُرْسَ لعجمة ألسنتهم[١].

وذكر النويري أنَّ الصقالبة أجناس متعدّدة؛ منهم من كان على دين النصرانيّة، ومنهم من لا شريعة له[٢].

وكان معظم الصقالبة يُجْلَبُوْنَ أطفالاً إلى الأندلس، فنشأوا على آعتناق الدين الإسلامي، وتعلّموا اللغة العربيّة، وآكتسبوا الكثير من عادات مؤدِّبيهم. وآستعمل الذكور منهم للخدمة أو الحرب، والإناث للتَّسَرِّي، والخِصْيان لحراسة الحريم؛ إذ كان التُّجّارُ اليهودُ يُخْصُونَهُمْ ويقدِّمونهم إلى الحكّام[٣].

ولقد بدأ الأندلسيّون يستخدمونهم منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٨ م)، ولكن دون أن يستكثروا منهم؛ لأنَّ الأمير المذكور قَلَّما كان يرغب فيهم. وأول من آستكثر منهم هو حفيده الحكم بن هشام[٤] (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢١ م).

---

(١) انظر تاريخ التمدن الإسلامي (ج ٢ ص ٤٩٤ - ٤٩٥)، ومجلة عالم الفكر (المجلد العاشر العدد الثاني، ص ٩١).

(٢) نهاية الأرب (ج ٥ ص ٢٨٤).

(٣) انظر تاريخ التمدن الإسلامي (ج ٢ ص ٤٩٥)، ومجلة عالم الفكر (المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٦٠، ٩٢).

(٤) تاريخ التمدن الإسلامي (ج ٢ ص ٤٩٥).

وعن دورهم في الحياة الاجتماعية نستشهد بقـول الأستاذ أحمـد أمين: «إنَّ بيوت الأمراء والوزراء حتى والأوساط كانت مملوءة بالرقيق، وهذا الرقيق منه الإسباني والفرنسي وأسرى الحرب من أمم مختلفة، وهم يُسَمُّوْنَ كلَّ ذلك الصقالبة.. وهؤلاء الأرِقّاء من رجال ونساء لعبوا دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعيّة الأندلسيّة؛ فقد كانوا ينقلون أفكار الأوروبيّين، إذ كان بعضهم من الخاصّة، وكانوا ينقلون عادات أممهم وتقاليدهم، ومَنْ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ العربيّةَ منهم كان ينقـل الأفكار والأقـاصيص الأوروبيّة باللغة العربيّة»[1].

٤ ـ **المُسَالِمَة أو الأسالمة**: إنَّهم أولئك النصارى الإسبان الذين أسلموا وتدينّوا بالإسلام. ولقد بدأوا يُقْدِمون على آعتناق الدين الإسلامي من لَدُنِ الفتح العربي للأندلس؛ وذلك بدافع تحسين وضعهم المُزْري وحُبِّ الخلاص من البؤس الذي كان يَعُمُّهم في أواخر الحكم القوطي، أو بدافع الاقتناع بأنَّ الإسلام هو الدين الحقّ وأنَّ الإسلام حامي المظلوم ومساعد الجائع، أو بدافع التخلّص من دفع الجزية التي كانوا يؤدونها كونهم من أهل الكتاب. وأُطْلِقَ آسم **المولَّدين** Los Muladies على أبناء هؤلاء الأسالمة[2].

وذهب الدكتور أحمد مختار العبّادي إلى أنَّ المولَّدي هو من كانتْ أمُّه إسبانيّة ووالده مسلماً، وأنَّ كلَّ مولَّدي مسلم[3]. وذهب الدكتور أحمد أبو زيد مذهبه فقال: عن طريق زواج العرب بالإسبانيّات برز عنصر المولّـدين الذين أصبحـوا فيما بَعْـدُ يشكّلون معظم سكان المجتمع الأندلسي، وهؤلاء تعلّموا لغة أمّهـاتهم وعاداتهنّ، بحيث آنتشرت اللغة الرومنثيـة إلى جانب العربيّة[4].

ومنذ بداية القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي والمولّدون يشكّلون نواة هامّة من مجموع أهالي البلاد، لهم دورهم البارز في الزراعة والصناعة والإدارة والجيش[5].

---

(١) ظهر الإسلام (ج ٣ ص ٣٠٣).

(٢) انظر فصول في الأدب الأندلسي ص ٢٩.

(٣) مجلة عالم الفكر (المجلد الثامن، العدد الأول ص ٤٢).

(٤) مجلة عالم الفكر (المجلد الثاني عشر، ص ٦ ـ ٧).

(٥) راجع حضارة العرب في الأندلس ص ١٣، و p.20.

ولقد آختلطوا بالعـرب عن طريق التـزاوج والولاء، وآتخـذ بعضُهم الأنساب العربيّة لِيُثْبتوا أنّهم قديمو العهد بالإسلام، ومنهم من نسي أصله، ومنهم من ظلَّ على نسبه القديم مثل بني مرتين Martin، وبني بَشْكُوَال Pascual، وبني غرسيّة Garcia، وبني غومس Gomez. . ومنهم من أضاف إلى آسمه العربي المقطع الإسباني «أون On» فأصبح حزم «حزمون»، وزيد «زيدون»، وحفص «حفصون». . وهكذا ظلَّ قسم منهم يتعصّب لأصله العجمي[1].

كما أتقنوا اللغة العربيّة وتمكّنوا من الكتابة، فبرز منهم الأدباء والشعراء، حتى كان دورهم في نقل الحضارة العربيّة إلى إسبانيا المسيحيّة كبيراً؛ إذ عملوا على تطوّر التداخل الذي حصل بين لغتهم العربيّة التي آكتسبوا وبين الرومنثيّـة لغة أمّهـاتهم وأجدادهم.

٥ ـ **المُسْتَعْرَبُوْن** Los Mozarabes إنَّهم أولئك النصارى المعـاهدون الـذين عاشوا بين عرب ألمريّة. وكان العرب قد أطلقوا عليهم في بادىء الأمر آسم «عجم الأندلس». وقد سُمُّوا بالمُسْتَعْرَبِيْنَ، بفتح الراء؛ لأنّهم آستَعْرَبوا لُغَةً وزياً، أي إنّهم آرتدوا بإرادتهم الزيّ العربي، وآتّخذوا بإرادتهم العربيّة لغةً، فأقبلوا على قراءة شعر العرب وأدبهم[2]. وذهب الدكتور سعيد عاشور إلى أنّهم تعلّموا العربيّـة لمسايـرة الوضع الجديد[3].

ومهما يكن الأمرُ، فقد أتقنوا اللغة العربيّة إلى جانب لغتهم الرومنثيّة، وآتّخذوا أسماءَ عربيّةً إلى جانب أسمائهم المسيحيّة. وبحكم معرفتهم هاتين اللغتين، فإنّهم لعبوا دوراً هاماً في نقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك الإسبانيّة حيث آنتشرت ثقافة العرب المسلمين وعاداتهم[4].

ولقد عاش هؤلاء النصارى في ألمريّة بسلام، كما في سائر مدن الأندلس، يزاولون شعائرهم الدينيّة بحريّة تامّة مقابل دفع الجزية للمسلمين تمشيّاً مع الشريعة الإسلامية، كونهم من أهل الكتاب. وهكذا آحترمهم العرب وعاملوهم معاملة حسنة،

---

(١) انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٦٥ ـ ٦٦).

(٢) انظر فجر الأندلس ص ٤٢٥ ـ ٤٢٩، وأندلسيات ص ١٦٠.

(٣) مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ١٨٨).

(٤) انظر في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٣٧٤، ومجلة عالم الفكر (مجلد ١٢، ص ١٧).

فأبْقَوا لهم أماكن العبادة، يقرعون فيها نواقيسهم بحرّية[1]. وقد تجلّى ذلك في قول آبن حزم (البسيط):

أَتَيْتَني وهِلالُ الجَوِّ مُطَّلعٌ   قُبَيْلَ قَرْعِ النَّصَارَى للنواقيسِ[2]

وهكذا كانت العلاقة بين المسلمين والنصارى طبيعية، فشاعتِ المصاهرةُ بين الفريقين، ولكنَّ زواج المسلمين بإسبانيّات فاق بكثير زواج الإسبان من مُسْلمات. وتلك ظاهرة آجتماعيّة تبيّن مدى التأثير الإسباني على عقول وعواطف عرب الأندلس ومسلميها[3].

ويقدِّم لنا آبن الحداد صورة موجزة عن ذلك التعايش، في شعره الذي آستفرغ معظمه في نويرة النصرانيّة فيقول[4] (السريع):

فإنَّ بي للرُّوْمِ رُوْمِيَّةً   تَكْنِسُ ما بَيْنَ الكَنِيْسَاتِ[5]
أَهِيْمُ فيها، والهَوَى ضَلَّةٌ   بَيْنَ صَوَامِيْعَ وبِيْعَاتِ[6]

ويقول (الطويل)[7]:

ولا بُدَّ مِنْ قَصِّي على القَسِّ قِصَّتي   عَسَاهُ مُغِيْثَ المُذْنَفِ المُتَغَوِّثِ[8]

---

(١) انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٦٠).

(٢) رسائل ابن حزم (ج ١ ص ٢٨٢) وطوق الحمامة ص ٢٨٧.

(٣) راجع مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٦٢ - ٦٤).

(٤) ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ١٥٧) والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٥) والمحمدون من الشعراء (ص ٩٩).

(٥) المقصود بالروم النصارى الإسبان. والروميّة هي نويرة المُسْتَعْرَبَة. وتكنس: تقيم. والكنيسات: الكنائس، وقد وقع الشاعر في خطإ لغويّ، لأنَّ الكنيسة تجمع على كنائس وليس على كنيسات.

(٦) الضَّلَّة بفتح الضادّ: الحَيْرَة والصواميع. أصلها صوامع وهي جمع صومعة، والصومعة بَيْتٌ لِعُبّاد النصارى، وقد زيدت الياء وهي أحد حروف الإشباع. ولو قال: «صوامع» لما آنكسر الوزن. والبِيْعات: جمع بِيْعة وهي الكنيسة ومُتَعَبّد النصارى.

(٧) ورد البيتان في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ١٧١)، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٦)، والإحاطة (ج ٢ ص ٣٣٥) بتحقيق عنان، وفي الإحاطة التي لا تحمل أسم المحقق (ج ٢ ص ٢٥٢).

(٨) القَسّ: رئيس من رؤساء النصارى في الدِّين والعلم، وهو دون الأسقف. والمُذْنَف: مَنْ بَرَاهُ المرضُ حتى أَشْفَى على الموت. وفي قوله «المُتَغَوِّث» يخرج عن المألوف فيشتقّ ما لا يسمح به آلاشتقاق؛ إذ ليس في كتب اللغة فعل «تَغَوَّثَ» بل «غَوَّثَ»، فيقال: غَوَّثَ الرجلُ وآستغاث إذا صاح: واغَوْثَاه! لسان العرب والقاموس المحيط، مادة (غوث).

فَلَمَ يَـأْتِهِـمْ عِيْـسَى بِـدِيْنٍ قَسَـاوَةٍ   فَيَقْسُوا على مُضْنىً ويَلْهُـوْ بِمُكْـرَثِ[1]

ويقول أيضاً (مجزوء الوافر):

عَسَـاكِ بِحَـقِّ عِيْـسَـاكِ   مُـرِيْحَـةَ قلبيَ ٱلشَّـاكـي
فـإنَّ الـحُـسْـنَ قـد وَلَّا   كِ إحـيـائـي وإهـلاكـي
وَأَوْلَـعَـنَـي بِـصُـلْبَـانٍ   ورُهْـبَـانٍ ونُـسَّـاكِ
ولـم آتِ الـكـنـائسَ عـنْ   هَـوًى فـيـهـنَّ لـولاكِ[2]

٦ ـ اليهود: يعود تاريخ دخولهم بلاد الأندلس إلى ما قبل الفتح العربي بمئات السنين وأغلب الظَّنِّ أنّهم قدموا الأندلس في عهد الرومان في سنة ٧٠ م بعد هدم أورشليم. ولما تعرّضوا للمضايقات في عهد القوط، بحيث فرض عليهم هؤلاء شروط آعتناق الدين المسيحي أو الهجرة، هيّأوا أنفسهم للثأر من تلك المعاملة السيئة، فأستقبلوا الفاتحين العرب وساعدوهم بكلِّ قدراتهم السياسيّة والعسكريّة. وبالمقابل، كانت ثقة العرب بهم كبيرة، فآعتمدوا عليهم في حماية المدن المفتوحة؛ فكان لهم، كالمُسْتَعْرَبِينَ، مؤسّساتهم الإداريّة والقضائيّة، وكان لهم مدرسة دينيّة خاصّة بهم. وهكذا ترك لهم العرب حرّيّة العقيدة وحقّ مزاولة شعائرهم الدينيّة وحريّة التنظيم الداخلي لجماعاتهم[3].

وبفضل هذا التسامح العربي، بدأ عدد اليهود يتزايد مع الزمن، ولكن عددهم في ألمريّة كان قليلاً إذا ما قِيْسَ بقرطبة، وطليطلة، وغرناطة التي كانت تدعى مدينة اليهود. ورغم ذلك، تحسّن وضعهم الاجتماعي في ألمريّة، ولم يلقوا مضايقة إلاَّ في غرناطة[4].

وآعتنق كثير منهم الدين الإسلامي، ومارسوا عاداتِ المسلمين وتقاليدهم، وأتقنوا اللغة العربية إلى جانب لغتهم العبريّة واللغتين الرومنثيّة واللاتينيّة اللتين تعلّموهما منذ أيام الرومان والقوط. وتعلُّمُ اللغاتِ ساعدهم في عملهم الذي

(١) المُضْنَى: مَنْ أَضْناه المرضُ أي أَثْقَلَه. والمُكْرَثُ: مَنِ آشتدَّ عليه الغَمّ.
(٢) الأبيات في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ٢٤١) وفي الذخيرة (ق ١ ص ٧٠٧).
(٣) انظر Garnata al-Yahud, p. 19, 37, 47.
(٤) Ibidem (p. 69, 74).

آنحصر، إلى حدٍّ كبير، في تجارة العبيد والجواري والخِصْيان والحرير والفرو كما شاركوا في تقدّم ألمريّة من الناحيتين الاجتماعية والسياسيّة. نذكر بالمناسبة أنَّ الوزير اليهودي يوسف آبن نغرالّة، المستولي على دولة باديس بن حَبّوْس بخرناطة، أراد أنْ يُثِلَّ عرش باديس بعرش المعتصم، فسعى إلى الإطاحة بباديس وتمكين المعتصم من الاستيلاء على غرناطة[1]. وهذه الحادثة دليل على مدى العلاقة الوطيدة بين المعتصم واليهود. والمجتمع الذي هو خليط من عناصرَ عديدةٍ وهُوِيّات عُرْقِيّة، من شأنه أنْ يفتقر إلى العيش المشترك، إلاَّ أنَّ مجتمع ألمريّة عُرِفَ بعيشٍ مشترك تراءى من خلال التعايش الذي كان قائماً بين المسلمين العرب وسائر العناصر ولا سيما النصارى منهم.

ثانياً ـ صفات أهل ألمريّة:

تنحصر صفات أهل الأندلس بكثرة التدّين، والبعد عن التعصّب الديني، وكثرة النظافة، والبعد عن الإسراف والتبذير مع كرم النفس والجود، وحب الموسيقى والغناء واللهو والجد والهَزْل معاً.

وإذا كانت تلك هي صفات وطباع وعادات وتقاليد شعب الأندلس، فإن أهل ألمريّة جزء من هذا الشعب، وبالتالي فإن ما يقال في أهل الأندلس عامة يمكن أن يقال في أهل ألمرية، وإن ما يتصف به أهل الأندلس يمكن أن ينطبق على أهل ألمريّة.

والأغلب عند الأندلسيين إقامة الحدود وإنكار التهاون بتعطيلها؛ فالرجم بالحجر كان يجري كل يوم حتى بات المنفلتون في الأندلس قلة. وكان عالم الدين كثير الجلال والتقدير، وكانت قراءة القرآن ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، وسمة الفقيه عندهم جليلة، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغويّ «فقيه»؛ لأنّها عندهم أرفع السِّمَات. وعلم الأصول عندهم متوسط الحال[2]. أمّا مذهبهم الديني فكان مذهب مالك بن أنس، وقد آنتقل هذا المذهب إلى الأندلس

---

(١) ورد ذلك في الصحيفة ٣٧ عند الحديث عن سياسة المعتصم الخارجية.

(٢) انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١).

بسبب رحلة علمائها إلى المدينة وأخذهم الكثير من فضائل مالك، وذلك في دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، المعروف بالحكم الرَّبضي (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢١ م)، إذ كانوا من قَبْلُ على مذهب الأوزاعي الشامي، لتأثّرهم آنذاك بالشاميّين الداخلين مع الجُنْد أيام الفتح[١]. ورأى الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد عبدالله عنان أنّ هذا المذهب غلب على أهل الأندلس في فترة إمارة هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢ - ١٨٠ / ٧٨٩ - ٧٩٦)[٢]. تجدر الإشارة هنا إلى أنّ عبدالملك بن حبيب، المتوفى سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م، هو الذي درس الفقه على مذهب مالك في المدينة المنوّرة، وكان من أكبر العاملين على تحويل الأندلس إلى المالكيّة[٣].

وإذا كان أهل ألمريّة شديدي التعصّب لمدينتهم، فإنهم آبتعدوا عن التعصّب الديني، ويتجلّى ذلك في تسامحهم لأهل الكتاب مُسْتَعْرَبِيْنَ ويهوداً، في أنْ يُمارِسوا شعائرهم الدينيّة بحريّة تامّة.

وكان أهل ألمريّة، كغيرهم من شعوب الأندلس، أشدَّ خلق الله آعتناءً بنظافة ما يَلْبَسُوْن وما يفرشون، فآشتهر عنهم شدّة العناية بها. وكانوا أهل آحتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خَوْفَ ذُلِّ السؤال، فلذلك قد يُنْسَبُوْنَ إلى البخل[٤]. وكانوا يبتعدون عن الكِدْية بحيث لا تكاد تجد سائلاً إلاّ أنْ يكون صاحب عذر[٥]. كذلك كان فضلهم ظاهراً في اللَّهْوِ والحُبّ؛ فلهم دُعَابة وحلاوة في محاوراتهم، وحكايتهم في الجِدِّ والهَزْل مشهورة[٦].

وقد آجمل المقّري ما ذكره آبن غالب في كتابه «فرحة الأنفس» من صفات أهل الأندلس بقوله: لأهل الأندلس حُسْنُ الهِمّة في الملبس والمطعم، والنظافة والطهارة، والحبّ للهو والغناء، والحرص على طلب العلم. إنّهم عرب في الأنفة وعلوِّ الهمم وفصاحة الألسُن وقلّة آحتمال الذلّ، هنديّون في إفراط عنايتهم بالعلوم، بغداديّون في

(١) انظر نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٣٠).

(٢) في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٢٤ ونهاية الأندلس ص ٦٥.

(٣) انظر مجلة عالم الفكر (المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ص ٢٩٢).

(٤) انظر نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٣.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٠.

(٦) المصدر نفسه (ج ٣ ص ٣٨١).

ظرفهم ونظافتهم ورقّة أخلاقهم، يونانيّون في استنباطهم للمياه وآختيارهم لأجناس الفواكه وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، صينيّون في إتقان الصنائع العمليّة، تركيّون في معاناة الحروب[1].

وقول آبن حوقل: «ومن أعجب ما في هذه الجزيرة (الأندلس) بقاؤها على مَنْ هي في يده مع صغر أحلام أهلها، وضَعَة نفوسهم، ونَقْص عقولهم، وبُعْدهم من اليأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومِراس الأنجاد والأبطال»[2]، مردودٌ؛ لأنّه قول رجلٍ آنطلق من تعصّب للمغرب وكراهية للأندلس، خاصّةً إذا عَرَفْنا أنَّ الخليفة الفاطميَّ المُعِزّ لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م) أرسله جاسوساً له إلى الأندلس. وقد ردَّ عليه آبن سعيد الأندلسي بقوله: «ولَيْتٍ شِعْري إذ سَلَبَ أهلَ هذه الجزيرة العقولَ والآراءَ والهممَ والشجاعةَ فَمَنِ الذين دَبَّروها بآرائهم وعقولهم مع مُراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف»[3]؟.

وأخيراً نشير إلى أهمّ ما آمتاز به أهل ألمريّة بقول الشَّقُنْدي: «وأمّا ألمريّة، فإنّها البلدُ المشهورُ الذِّكْر، العظيمُ القَدْر، الذي خُصَّ أَهْلُهُ بآعتدال المزاج، وورنق الدِّيْباج ورِقّة البشرة، وحُسْنِ الوجوه والأخلاق، وكرم المعاشرة والصحبة»[4]، وقول آبن سعيد الأندلسي: «ومِمَّا تَفْضُلُ به (أي ألمريّة) آعتدالُ الهواء، وحُسْنُ مزاج أهلها، وطِيْبُ أخلاقهم، ولطفُ أذهانهم»[5].

ثالثاً: زي أهل ألمريّة:

غلب على أهل ألمريّة، كما غلب على أهل شرق الأندلس، ترك العمائم؛ إذ إنَّ أهل غرب الأندلس لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلاّ وهو بعِمَامَة. وقليل من الأجناد وسائر الناس مَنْ تراه بِعِمّة، سواءٌ في ألمريّة أو في غيرها من شرق الأندلس وغربها، ولا سبيل إلى يهوديّ أنْ يتعمّم آلبَتّة. وكان معظم عوامّهم

(١) نفح الطيب (ج ٣ ص ١٥٠ - ١٥١).

(٢) نفح الطيب (ج ١ ص ٢١١).

(٣) المصدر نفسه ص ٢١٢.

(٤) فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢١٩).

(٥) المغرب في حلى المغرب (ج ٢ ص ١٩٣).

يستعملون الطَّيْلَسان[1]، ولكن دون أنْ يُغَطُّوا به رؤوسهم، والذين كانوا يضعونه على رؤوسهم هم الأشياخ المعظّمون. وكثيراً ما كانوا يَلْبَسُوْنَ غفائر[2] الصوف الحمر والخضر، والصُّفْرُ مخصوصةٌ لليهود. وكان العالم فقط يُرْخي ذؤابةً ويُسْدِلُها من تحت الأذن اليسرى[3].

كذلك كان لبس البياض عادتهم في الحزن على موتاهم، مخالفين في ذلك أهل المشرق الذين كانوا يَلْبَسُوْنَ فيه السواد. وفي ذلك يقول أحد الشعراء (الوافر):

أَلاَ يـا أَهْلَ أنـدلسٍ فَـطِنْتُمْ ... بِـلُطْفِـكُمْ إلى أمـرٍ عـجيـبِ
لَبِسْتُمْ فـي مَـآتِمِكُـمْ بـيـاضـاً ... فـجئتـمْ منـه فـي زِيٍّ غـريبِ
صَـدَقْتُمْ فالبيـاضُ لبـاسُ حُـزْنٍ ... ولا حُـزْنٌ أَشَـدُّ من المَشِيبِ[4]

ولا ننسى أثر أبي الحسن علي بن نافع، الملّقب بزرياب[5]، في الزيّ الأندلسي، فقد علَّم الأندلسيين كيفيّة آرتداء الملابس في أوقاتها المناسبة، بحيث جعل لكلٍّ فصل من فصول السنة ملابس خاصّة به، فرأى أنْ يكون آبتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملوّن من يوم مهرجان أهل البلد، المُسَمَّى عندهم بالعنصرة[6]، الواقع في ستٍّ بَقِيْنَ من شهر حزيران من شهورهم الروميّة، وذلك مدة ثلاثة أشهر متوالية حتى أول شهر تشرين الأول. ورأى أنْ يلبسوا في فصل الربيع جباب الخزّ، وأنْ يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف الثياب الملوّنة ذوات البطائن الكثيفة. كما علّمهم طريقة تصفيف الشعر، وضرورة ترتيب الأطعمة، وسَنَّ لهم أكل الهِلْيون، ولم يكونوا يعرفونها قبله. كذلك أخذوا عنه تفضيله آنية الزجاج

---

(١) هو ثوب أخضر موصول به غطاء الرأس.
(٢) الغفائر: جمع غفيرة وهي لباس يغطّي العنق والقفا.
(٣) راجع نفح الطيب (ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣).
(٤) نفح الطيب (ج ٣ ص ٤٤٠ - ٤٤١).
(٥) عن شخصية زرياب انظر: زرياب أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس «للدكتور محمود أحمد الحِفْني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة. و«أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع «للدكتور عباس الجراري في مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، ص ٢١ وما بعدها.
(٦) هو عيد سان خوان San Juan عند الإسبان. راجع عالم الفكر (المجلد ١٠ العدد ١، ص ١٠٧)

الرفيع على آنية الذهب والفِضة، مُحْدِثاً بذلك آنقلاباً في حياة الأندلسيين الاجتماعية[1].

رابعاً ـ الموسيقى والغناء في ألمريّة:

نشطت حركة الموسيقى والغناء في عصر المعتصم ابن صمادح، وكان النخّاسون يقومون بتعليم الجواري الروميّات الغناء ليكسبوا في بيعهنّ الأموال الوفيرة، فآقتنى ملوكُ الطوائف المغنيّات المشهورات، وأقبل أهل الأندلس من مختلف طبقاتهم على الفن الغنائي، حتى إنّ الفقهاء كانوا يستحسنونه، وأصبحت الموسيقى العربيّة ذات أثر في أذواق غير العرب في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا[2].

وكان أهل ألمريّة، كغيرهم من شعوب الأندلس، مشغوفين بسماع الموسيقى والغناء. وكانت ألمريّة، كغيرها من مدن الأندلس، تعتمد إلى حدٍّ كبير على حركة الموسيقى والغناء التي شاعت في الأندلس منذ قدوم زرياب من المشرق إلى قرطبة. وكان المعتصم ابن صمادح كثير الاهتمام بالغناء؛ ذكر آبن عبد الملك أنّ آبن الحداد، شاعر المعتصم ابن صمادح ألّف كتاباً مشهوراً في العروض هو كتاب «الامتعاض للخليل»، مَزَجَ فيه بين الأنحاء الموسيقيّة والآراء الخليلية[3]. وأشار آبن بسّام إلى هذه الناحية، ولكن دون أنْ يُسَمِّي الكتاب[4]. وعن هذه الأنحاء الموسيقيّة لا يمكننا أنْ نتصوّر طبيعتها؛ لأنَّ كتاب آبن الحداد من الكتب التي لم تصلنا. ولكننا نقدِّر أنَّ الأصول التلحينيّة التي وضعها زرياب ظلّت أساساً للغناء الأندلسي، وربّما جَدَّتْ تفريعاتٌ في شؤون الألحان آقتضتها طبيعة الموّشحات والأزجال. كما إنَّ المصادر لم تُشِرْ بوضوح إلى ما كانت عليه الموسيقى في الأندلس في عصر آبن الحداد، وظلَّتِ

---

(١) راجع نفح الطيب (ج ٣ ص ١٢٧ ـ ١٢٨)، والمطرب ص ١٤٧، وشمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٩٠، وحضارة العرب في الأندلس ص ٥٠ ـ ٥١.

(٢) انظر أخبار الغناء والمغنين في الأندلس (١٣٨ ـ ٥٣٩ هـ) للدكتور إحسان عباس، مجلة الأبحاث، السنة ١٦، الجزء الأول، ص ١٢ ـ ١٨.

(٣) الذيل والتكملة (السفر السادس، ص ١٠).

(٤) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٢).

الناحيةُ الموسيقيّة قبل ظهور ٱبن باجة إمام الأندلس في الألحان في فترة المرابطين غير واضحة المعالم(١).

ولم تقتصرِ الموسيقى في الأندلس على طبقة خاصّة كما في المشرق، وإنّما عَمَّت الشعب كله(٢). وهكذا ٱهتمَّ مجتمع ألمريّة بالغناء والموسيقى؛ لأنَّ الغناء كما يقول ٱبن عبد ربِّه: «مراد السمع، ومرتع النفس، وربيع القلب، ومجال الهوى، ومسلاة الكئيب، وأُنْس الوحيد، وزاد الراكب؛ لعظم موقع الصوت الحسن من القلب، وأَخْذِهِ بمجامع النفس»(٣). وذهب الدكتور أحمد مختار العبادي إلى أنَّ الغناء والموسيقى كانا في الأندلس أكثر ٱنتشاراً ممَّا كانا عليه في المشرق؛ لأنَّ أهل الأندلس كانوا كثيري التعلّق بهما، بحيث ٱنتشرا في القصور والحقول، وفي الأسواق والحوانيت والبيوت والمنتزهات(٤). وذكر المستشرق الإسباني إميليو غرسيّة غومس أنَّ الفيض من الأنغام المشرقيّة، التي حملها معه زرياب إلى إسبانيا الإسلامية والتي ترجع في مناشئها البعيدة إلى أصول يونانيّة وفارسيّة، أصبح الأصلَ النغميَّ للموسيقى الإسبانية(٥). وذكر الدكتور إحسان عباس أنَّ الغناء كان وسيلة من وسائل نقل التلاحين العربيّة إلى ما وراء الحدود الإسلاميّة بالأندلس وطريقاً إلى التأثير العربي عامة(٦). وأشارت المستشرقة الألمانية زِيْغريد هونكه إلى ذلك بقولها: بدأت النظريّات الموسيقيّة العربيّة تظهر في الموسيقى اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين عن طريق المغنّين الدائمي الترحال، والسبايا من نساء الأندلس، وظلَّتْ أوروبا مدينة لعرب الأندلس بالكثير من الآلات الموسيقيّة(٧).

وأخيراً نقول: كان الغناء عاملاً مساعداً في رفع مستوى الحياة الاجتماعيّة في ألمريّة وفي غيرها من المدن الأندلسيّة.

---

(١) راجع المغرب في حلى المغرب (ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢٠) وتاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ص ٥٠ ـ ٥١.

(٢) انظر تاريخ الموسيقى العربية ص ٢٢١.

(٣) العقد الفريد (ج ٦ ص ٣).

(٤) انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ١١٠).

(٥) Poemas arábigoandaluces, p. 27.

(٦) تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ص ٥٣.

(٧) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٩٢.

خامساً: نساء ألمريّة:

أكثرُ نساء ألمريّة جَوَارٍ، مما يدلُّ على أنَّ الرقيق كان كثيراً. وكانت الجواري متفاوتاتٍ في المنزلة الاجتماعية؛ فمنهنَّ اللواتي يُتَّخَذْنَ للخدمة، ومنهنَّ اللواتي يُتَّخَذْنَ للذة والنسل، والفريق الثاني بطبيعة الحال أرفع منزلةً من الأول[1]. حكى المقري أنَّ المعتصم ابن صمادح كان ينتقي جارياتِهِ من بين اللّواتي كُنَّ يَقُلْنَ الشعر، فقال: «غاية المنى، وهي جارية أندلسيّة متأدّبة، قَدِمَتْ إلى المعتصم ابن صمادح، فأراد آختبارها فقال لها: ما آسمك؟ فقالت: غاية المنى، فقال لها: أجيزي (مجزوء الخفيف):

اسألوا غايةَ المُنَى

فقالت:

من كَسَا جِسْمي الضَّنَا

قال:

وأراني مولهاً

فقالت:

سَيقول الهَوَى أنا

وأضاف: اشتراها المعتصم لمّا علم أنّها تقول الشعر وتُحْسِنُ المحاضرة[3].

وكانت حرّيّة الحركة، يقول الدكتور إحسان عباس، مقصورة على هؤلاء الجواري، وإنَّ المرأة الحرّة كانت مقصورة تعيش خلف حجاب غليظ ولعلّها تُشْبه في ذلك أختها في المشرق[4].

والحقيقة أنَّ نساء ألمريّة كُنَّ، كغيرهنّ من نساء مدن الأندلس، أكثر تحرّراً من نساء المشرق. يذكر آبن الخطيب أنّهنَّ كُنَّ في المناسبات يَخْرُجْنَ في جماعات كبيرة ويختلطْنَ بالرجال، وقد وصف ذلك في مناسبة آستقبال سلطان غرناطة أبي الحجّاج يوسف بن نصر بقوله: «وآختلط النساءُ بالرجال، وآلتفّ أربابُ الحِجَا بربّات الحِجَال، فلم نُفَرِّقْ بين السِّلاح والعيون المِلَاح، ولا بَيْنَ حُمْرِ البُنُوْد وحُمْرِ الخدود»[5]. وعند حديثه عن مدينة رنده Ronda يُشير إلى زِيِّ نسائها: «يَلْبَسُ نساؤها

---

(١) راجع رسائل ابن حزم الأندلسي (ج ١ ص ٦٨ ـ ٦٩).
(٢) نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٨٦).
(٣) المصدر نفسه (ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧).
(٤) رسائل ابن حزم (ج ١ ص ٧٠).
(٥) مشاهدات لسان الدين ص ٥٠.

المُوق[1]، على الأملد المرموق، ويُسْفِرْنَ عن الخدِّ المعشوق، ويُنْعِشْنَ قلبَ المشوق،، بالطِّيْب المنشوق. . »[2]

وحرائر ألمريّة كان لهنَّ اليدُ الطُّوْلَى في البلاغة، فَنَظَمْنَ الشِّعْرَ والموشّحات، ومنهنَّ أمُّ الكرم أو الكرام بنت المعتصم ابن صمادح ملك ألمريّة، القائلة في فتًى من فِتْيان قصر أبيها، وكان من دانية Denia، وشهر بالجمال، وعُرِفَ بالسمسار (السريع):

يا مَعْشَرَ الناسِ، ألاَ فاْعْجَبُوا	مِمّا جَنَتْهُ لَوْعَةُ الحُبِّ
لولاه لم يَنْزِلْ بِبَدْرِ الدُّجَى	مِنْ أُفْقِهِ العُلْوِيِّ للتُّرْبِ
حَسْبِي بِمَنْ أَهْواهُ، لَوْ أنَّهُ	فارقَنِي تابَعَهُ قَلْبِي[3]

وعلَّق الدكتور مصطفى الشكعة على هذه الأبيات بقوله: «هذا غزل رقيق وشعر لطيف، لكنه جريءٌ مِنْ أُنْثى تقوله في فتى»[4].

وذكر الأستاذ لوبون أنَّ النِّسْوة الأندلسيّات آشتُهِرْنَ بالمعرفة العلميّة والأدبيّة، وأنَّهُنَّ مُحِبّاتٍ للدرس[5]. وذكر آبن حزم أنَّ الفرق بين النساء والرجال هو في العمل وأنواع النشاط؛ فالنساء متفرِّغاتُ البالِ من كلِّ شيء إلاَّ من الحبّ، والرجالُ مُقْتَسَمُوْنَ في صحبة السلطان، وطلب العلم، وحياطة العيال، وكسب المال، ومكابدة الأسفار، والصَّيْد، وضروب الصناعات، ومباشرة الحروب[6]. ثم عدَّد وظائف النساء بقوله: منهنَّ الطبيبة، والحَجّامة، والماشطة، والنائحة، والمغنّية، والكاهنة، والمعلّمة، والمستخدمة، والعاملة في المغزل والنسيج، وما أشبه ذلك[7].

سادساً: طبقات مجتمع ألمريّة:

كان مجتمع ألمريّة يعاني من تناقض رهيب؛ فالثروة فيه لم تكن تُوَزَّعُ توزيعاً عادلاً،

---

(١) المُوْقُ: خُفّ غليظ يلبس فوق خُفّ أدقّ منه، وجمعه أمواق، فارسي، معرّب

(٢) مشاهدات لسان الدين ص ٩٦.

(٣) نفح الطيب (ج ٤ ص ١٧٠) والمغرب في حلى المغرب (ج ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٤) صور من الأدب الأندلسي ص ١١٩.

(٥) حضارة العرب ص ٤٨٩.

(٦) رسائل ابن حزم (ج ١ ص ١٦٥).

(٧) المصدر نفسه ص ١٤٢

مّما أتاح وجود ثلاث طبقات؛ طبقة فقيرة تعيش في بؤس دائم، وأخرى ارستقراطيّة تعيش حياة ترف ونعيم، وثالثة تعيش وسطاً بين الاثنتين.

أ ـ طبقة الخاصّة الأرستقراطية: تعتبر هذه الطبقة أغنى طبقات مجتمع ألمريّة وأكثرها ثراء. وتتكوّن من أفراد الأسرة الحاكمة، وكبار الملاكين، وكبار الأغنياء، وتكاد تنحصر بالعنصر العربي وحده. وهكذا آنفردت الأرستقراطيّة العربيّة بآقتسام أرض ألمريّة، وسيطرت على معظمها عن طريق السلطة؛ فالمعتصم ابن صمادح مثلاً، كان يمثّل قِمّة الثراء والملكيّة بحيث لم يكن يوجد حدود فاصلة بين خزانته الخاصّة، وبين بيت المال العام أي خزانة الدولة.

وكان معظم أفراد هذه الطبقة يميلون إلى الترف والاسترخاء والعبث وينغمسون في حياة اللهو والغناء والصَّيْد، ولم يكن أمامهم سوى التمتّع والاستئناس بالحياة الدنيا على حساب السواد الأعظم من شعب ألمريّة. ولقد عمل المعتصم على تقوية تلك الطبقة، كونه منها، وذلك بهدف إشغالها بالأمور المادّيّة وإبعادها عن المشاركة في شؤون الحكم حتى لا تصبح خطراً على سلطانه السياسي.

وإذا كان المعتصم أقلّ ظلماً وتعسُّفاً من نظرائه الملوك، فإنّه أثْقَلَ كاهل الرَّعِيَّة بالضرائب الباهظة[1]. وقد ذكر الدكتور إحسان عباس أنّ ملوك الطوائف كانوا يفرضون هذه الضرائب على رعاياهم لحاجتهم إليها في ثلاثة أمور؛ الضريبة التي كانوا يؤدُّونها إلى الأذفونش ملك الفرنج كل سنة، والضريبة المفروضة لدفع مُرَتَّبات الجُنْد والتي كانت ترتفع كلّما دارت فيما بينهم الحروب والفتن، والإنفاق على بناء القصور[2] والدّوْر وآقتناء الأثاث وسائر صنوف الترف[3]. وأضاف: من الطبيعي أنْ

---

(١) إنّ الذين ترجموا للمعتصم لم يحدّدوا مقدار هذه الضرائب التي كان يفرضها المعتصم على الناس، وهي ضرائب تكاد تكون قريبة من التي كان يفرضها الملوك الآخرون على رعاياهم. وقد حدّد الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة الضريبة التي أدّاها لألفونس السادس عن ثلاثة أعوام بثلاثين ألف دينار. مذكرات الأمير عبدالله ص ١٢٤ ـ ١٢٥ كذلك لم تذكر المصادر شيئاً عن خراج المملكة، وآكتفى أبن حاقان بوصف قلّة جباية ألمريّة في عهد المعتصم بقوله: «هذا على آنكماش ولايته، وقلّة جبايته..» قلائد العقيان ص ٤٧.

(٢) إنّ قصور الصُّمَادحِيَّة التي بناها المعتصمُ في ألمريّة تجسيدٌ لبذخ الأسرة الحاكمة وترفها.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ص ٣٩ ـ ٤١

يَصْحَبَ ذلك حِرْمانٌ عسيرٌ لطوائفَ كثيرةٍ من الناس، وأنْ تنتشرَ الكِذْبة على نطاق واسع[1].

وفيما يتعلّق بالمرأة الأرستقراطية فإنَّ المؤرخّين لم يُغْفِلْوا ذكرها آلبتّة، فقد تحدّثوا عن قدرتها الثقافيّة والفنيّة والاجتماعيّة، وآستعرضوا محاسنها وصفاتها الحسنة ليرفعوا من مكانتهم لدى الحاكم ويحصلوا بالتالي على ما يريدون من صلات. وكانت علاقتها بزوجها الأرستقراطي بغير المستوى الذي كانت عليه المرأة المنتمية إلى طبقات أخرى؛ فهي غير مضطرّة بشكلٍ عام للقيام بأي عمل داخل البيت أو خارجه؛ لأنَّ أطفالها يقوم بتربيتهم الجواري والأُمَوات الحاضنات. ويظل همُّها محصوراً في أنْ تحْظَى بحب زوجها رغم معرفتها بعلاقاته مع غيرها. وإذا كانت عزباء فإنَّ مشاغلها تنحصر غالباً في البحث عن الزوج الذي يملأ قلبها حُبّاً وسواء كانت متزوجة أو عزباء فإنَّ شغلها الشاغل هوالحبّ، يذكر آبن حزم أنَّهُنَّ كُنَّ متفرّغات البال من كل شيء، إلاَّ من الجِماعَ ودواعيه، والغزل وأسبابه، ولا شعل لَهُنَّ غيره، ولا خُلِقْنَ لسواه[2].

وكون الرجل الأرستقراطيّ مسلماً، فله الحقُّ في أنْ يتزوَّج أربع نساء من الحرائر، وما شاءَ من الإمَاء، وأولادُ الإماء شرعيّون كأولاد الحرائر، وله أنْ يطلِّق زوجته، ولكن عليه بالمقابل أنْ يصنع ما يَكْفَلُ به مصيرها[3]. وهكذا كان له الحريّة المطلقة لإشباع رغباته الجنسيّة مع غير زوجته، مفضِّلاً زوجةً على أخرى أو جاريةً على غيرها دون رادع يردعه. لذلك قليلاً ما نجد في الوسط الأرستقراطي الحبَّ العميق الذي نراه في أوساط طبقيّة أخرى. وقد يخلص هذا الرجل لزوجته ولكن مع عدم الاقتصار على واحدة؛ فحبُّه لها هو الذي يَعَوَّلُ عليه وليس حبّ زوجته له؛ لأنَّ المرأةَ فُرِضَ عليها طاعة زوجها وتنفيذ رغباته الجنسيّة متى شاء.

ورغم إهمال المرأة الحرّة في المجتمع العربي من قبل الرجل، وفرض القيود عليها كمراقبتها في القصر بحيث لم يكن يسمح لها بالخروج إلاَّ في حالات خاصّة، وإعطاء الرجل النصيب الأكبر من الحرّيّة، فقد عَرَفَ مجتمعُ المريّة حرائرَ

---

(١) المرجع نفسه ص ٤١.

(٢) رسائل ابن حزم (ج ١ ص ١٦٥) وطوق الحمامة ص ١٤٠.

(٣) راجع حضارة العرب ص ٤٩٥.

أرستقراطيّاتٍ مَثَّلْنَ بقوّة الحياة العاطفيّة في الشعر[1]. وليس كلُّ ما قالتْهُ الشواعرُ الحرائرُ موجوداً، فقد ضاعَ أكثره، وكثيرٌ من شعرهنَ كان مُهْمَلاً من قبل المؤرّخين لسبب أو لآخر.

ب ـ **الطبقة الوسطى**: تضمُّ هذه الطبقة التّجار الكبار والمتوسّطين، وأصحاب الأعمال والمشاريع الصناعيّة، وموظّفي الدولة التابعين، والملاّكين الصغار بمن فيهم المزارعون الكبار والمتوسّطون، وآنضوى إليها كافّة عناصر المجتمع. وقد عاش معظم أفرادها في ألمريّة كونها مقرّ الحكم وعاصمة المملكة آنذاك، ممّا زاد من سكّانها وجعلها مركزاً للتقدّم والتطوّر في جميع الميادين.

ولقد آهتمَّت هذه الطبقة بالعمل الصناعي والتجاري، فتطوّرت بذلك الحركة الحرفيّة ووصلت إلى مستوى عال. وظلَّت شديدة الارتباط بالطبقة الأرستقراطيّة الحاكمة من أجل الحفاظ على مصالحها؛ إذ كان التُّجّار الكبار والمتوسّطون يقفون بجانب طبقة الحكم حرصاً منهم على جمع المادّة والعمل على آزديادها، وكانوا يطالبون السلطة بآستمرار بحماية تجارتهم، وإذا ما تمَّ لهم ذلك أسرعوا إلى تأييدها. يذكر الأمير عبدالله، آخر ملوك بني زيري، أنَّ التّجّار كانوا «مع من سبق، لا طاقة لهم بالحرب، ولا هُمْ أهله»[2].

وهكذا نشطت حركة التّجّار في مملكة ألمريّة في ظلّ بذخ بني صمادح، إلاّ أنّهم ظلّوا مقصّرين عن اللحاق بالملاّكين الكبار في مسألة الغنى والنفوذ الاقتصادي.

كذلك لم يصل أصحاب الأعمال والمشاريع الصناعيّة إلى ما وصل إليه هؤلاء التّجّار والملاّكون الكبار في شأن آمتلاك الثروات الضخمة. أمّا علاقتهم بالطبقة الحاكمة فإنّها لا تختلف عن عَلاَقَة إخوانهم التّجّار بها؛ فهي علاقة مادّيّة تتراوح وفق تنفيذ أغراضهم من قبل الدولة.

أما موظّفو الدولة التابعون فهم الوزير، والقاضي، وصاحب المدينة، وصاحب الشرطة، إضافة إلى أصحاب الوظائف التي لا تقلُّ أهمّيَّة عن الوظائف المذكورة. وبمعنى آخر، إنّهم ذوو المستوى المعاشي المتوسط. وقد سُمُّوا بالتابعين لارتباطهم

---

(١) سبق وذكرنا ثلاثة أبيات لأمّ الكرام بنت المعتصم ص١٨، فآنظرها

(٢) مذكرات الأمير عبدالله ص ١٥٠.

بالأرستقراطية الحاكمة آرتباطاً وثيقاً، ولأنّ ولاءهم لها متّجه إلى الهدوء والمسالمة.
و~ نبية هؤلاء أبناء أُسَرٍ كبيرة، يَتَقَاضَوْنَ مرتّبات عالية.

وكان الملاكون الصغار والمزارعون الكبار والمتوسّطون يلاقون مصاعب من قبل الطبقة الحاكمة، وذلك خلافاً لغيرهم من أفراد تلك الطبقة.

وفيما يتعلّق بالمرأة المنتمية إلى هذه الطبقة فإنّها لم تكن تختلف كثيراً عن المرأة الأرستقراطيّة.

ويُستَخْلَصُ ممّا وَرَدَ معنا أنّ أفراد الطبقة الوسطى لم تسمح لهم الظروف بالحصول على ثروات ضخمة كما هي حال طبقة الخاصّة، وكانوا بالتالي يعملون على حماية ما يملكون، وَيسْعَوْنَ إلى توسيع ثرانهم على حساب غيرهم من العامّة، وذلك من أجل الوصول إلى مستوى الطبقة الأولى.

ج ـ الطبقة الدنيا: اتّجهت غالبيّة المؤرّخين الأندلسيّين إلى كتابة تاريخ الطبقة الحاكمة وعدم الاكتراث بغيرها من الطبقات؛ فحديثهم عن الطبقة الدنيا إنّما يندرج تحت باب الحديث عن طبقة الحكم. ورغم المعلومات القليلة المتعلّقة بالطبقة الدنيا والمتناثرة في صفحات الكتب هنا وهناك، فقد آستطعْنا أنْ نكوِّن صورة مقبولة عنها؛ فهي تضمّ كافّة عناصر مجتمع ألمريّة، وينضوي إليها العامل، والحرفيّ، والتاجر الصغير، والأجير، والمزارع الصغير، والقصّاب، وحتى العاطل عن العمل. ومعنى ذلك هي الأكثرية الساحقة من أهل ألمريّة، والسواد الأعظم من السكان الذين كانوا يفتقرون حتى إلى قُوْتهم اليومي. ويقدّم لنا آبن عذاري صورة تعكس حياة أناس كانوا يَلْبَسُوْن الجلود والحُصْر، ويأكلون البَقْل والحشيش، وذلك في أيام مبارك ومظفر العامريّين ببلنسية[1].

وهكذا فإنّ هذه الطبقة أكثر تهيّوءاً للثورة من غيرها، وأكثرها تأثّراً بالأزمات والحروب والقَحْط والجفاف؛ فمستوى حياتها مُتَدَنٍّ، والبَوْنُ شاسع بين مستوى حياتها ومستوى حياة الأرستقراطيّين والأغنياء.

وإذا كانت هذه الطبقة راضية بوضعها المُزْري، فقد رضيتْ به، منطلقةً من إيمانها بما كتب الله تعالى عليها وبشرعيّة الحكم ووجوب طاعته. ورغم إيمانها

(١) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٢).

بالقضاء والقدر، فإنها لم تكن تابعةً كليّاً للطبقة الحاكمة كما كان شأن الطبقة الوسطى.

وكانت هذه الطبقة أكثر الطبقات آستياء من زيادة الضرائب التي كان المعتصم يثقل كواهل أفرادها بها.

وعن وضع المرأة العاميّة الاجتماعي فإنَّ مؤرّخي الأندلس لم يقدّموا لنا صورة عنه؛ كونهم أغفلوا طبقة العامّة، وكون المرأة العاميّة لم تكن تشكِّلُ عندهم باب رزق كما كانت الحال عند المرأة الأرستقراطية. وبرغم ذلك فقد كونّا فكرة عنها، بحيث كانت علاقتها بزوجها تقوم على أساس التعاون والتعاضد لتأمين الحاجات الماديّة اليوميّة إلى جانب تربية أطفالها وتدبر شؤون منزلها.

وعن الرجل العاميّ نقول: بسبب ضِيْقِ وضعه الماديّ كان يتعذّر عليه آقتناء النساء المملوكات؛ لأنَّ أسعارهنَّ كانت مرتفعة جداً، بحيث لم يكن بمقدوره شراء جارية أو أمَة، وليس بآستطاعته تحمّل مثل هذا العبء المادي الكبير. وإذا ما حصل على جارية، وهذا نادرٌ جداً، يكون ذلك في فترات الغزو التي فيها ينخفض سعر الجارية.

سابعاً ـ التقسيم الاجتماعي بمفهوم آبن الخطيب:

يستحسن بنا أخيراً أنْ نستأنس بالتقسيم الاجتماعي الذي يقدّمه لنا آبن الخطيب، والذي ينطبق على المجتمع الأندلسي في جميع مدن الأندلس وفي كل العصور الأندلسية: «وكان الناس يومئذٍ (أي في عهد هشام المؤيّد) ـ لا بَلْ وفي كل زمان ـ أربعة: فَصِنْفٌ[1] هَمُّهُ الدُّنْيا التي ينالُها بسبب الولد، هِبْهُ بالغا، أو مراهقاً، أو طِفْلاً في المَهْد، أو جنيناً في المَشِيْمَة. وهُمْ صنائعُ الحَكَم (أي الحاكم)، وخُدّامُهُ، وعُمّالُهُ، وفِتْيانُهُ ورجالُهُ... وصِنْفٌ[2] مُرْتَقٍ من الديوان، مشهورُ العناية والمكان، أو مجهول الشّان، راضٍ بحظّه من الزمان، لا يتشوّق إلى المزيد ولا يحذِرُ من النقصان، قد تساوتْ في الدُّول أحوالُهُ، وسكنتْ إلى الرِّزْق والمفروض آماله... فهو هادِن ساكن، وإلى فئة العافية راكن. وصِنْفٌ[3] يُؤَمِّلُ أَمْراً، ويشبُّ إنْ قَدَرَ جَمْرا...

(١) هذا الصِّنْف هو ما أُلحِقَ بالطبقة الحاكمة.

(٢) هذا الصِّنْفُ هو الطبقة الوسطى الراضية بوضعها آلاجتماعي.

(٣) هذا الصِّنْفُ هو الطبقة الدنيا المهيّأة للثورة أكثر من غيرها، وهو أضعف الأصناف وأتعسها.

مُسْتَوْحِشٌ بِبَخْسِ حقِّه، وجَحْدِ سَبْقِه. . . وهذا الصِّنْفُ المُنازِعُ المُنَافِسُ بين أنْ يَصْمُتَ فيموتَ بِدَائِه، أو يَجْهَرَ بالمُنَازَعَةِ فينتهي إلى قَدَرِ الله وقضائه. وكان في ذلك الوقت أضعف الأصناف. . . وصِنْفٌ[1] من أهل الدنيا والآخرة، قلَّدوا أهل الحَلِّ والعَقْد، والقَبُوْلُ والرَّدُّ آجتهادُهُمْ، وسألوا الله تَوْفِيقَهُمْ وسَدَادَهُمْ. . . وهُمْ أَشْرَفُ أوطاناً. وأَعْظَمُ سلطاناً. . . وهُمْ جُمْهُورُ الناس من الفقهاء والعلماء، والخاصّة والدَّهْماء. . . وصِنْفٌ[2] غارِمٌ، لا هَمَّ له إلاَّ فِيْمَنْ يُخَفِّفُ أَصْرَه، أو يُبْدِلُ باليُسْرِ عُسْرَه. وأمّا هؤلاء، فأوباشُ أسواق، وحَمْقَى ما لهم من أخلاق. . . وصنف[3] هَمُّهُ الآخرة، بعيدٌ من تعريجٍ على شيء من الدنيا. . . إنّما هو مشغولٌ بربِّه خاصّة. وهذا جِيْلٌ قليلٌ، وإنّما ذُكِرَ مراعاةً للتقسيم. ولا تخلو الأقطارُ منهم، فَهُمْ بركاتُ الله بين عِبَاده، وأولياؤه منهم»[4].

(١) هذا الصنف هو العلماء والفقهاء ورجال الدين.

(٢) هذا الصِّنْفُ هو الذي كان يُؤدِّي ما عليه من ديون وضرائب؛ يقال: غَرِمَ الرجلُ الدَّيْنَ وغير ذلك إذا أدّاها، فهو غارم، والأَصْرُ، بفتح الهمزة وكسرها وضمِّها: العِبء الثقيل.

(٣) هو صِنْفُ الزّهّاد والنُّسّاك.

(٤) أعمال الأعلام القسم الثاني (ص ٤٤ ـ ٤٨).

الحياة الاقتصاديّة في مملكة ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح

تتناول الحياة الاقتصادية في ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح ثلاثة جوانب؛ الزراعة، والصناعة، والتجارة.

أولاً: الزراعة.

١ ـ الإنتاج الزراعي في ألمريّة: ذهب معظم المؤرّخين والجغرافيّين القدامى إلى أنّ أرض ألمريّة صخريّة جرداء، وأنّ مناخها جافٌّ، وأنّها قليلة الأمطار. وبرغم ذلك فإنّها كانت في وضع زراعي جيِّد، ويعود ذلك إلى بستانها العظيم الاتّساع وإلى واديها الخصيب.

وقبل أنْ نتحدّث عن خيرات بستان ألمريّة وواديها نُشير إلى ما ذكره بعض المؤرّخين؛ فقد وصف المقّري طبيعة أرضها بقوله: «وقد آستدار بها من كل جهة حصون مرتفعة، وأحجار أوّليّة، وكأنّما غُرْبِلَتْ أرضها من التراب»[1]. ووصف آبن الخطيب طبيعة مناخها بقوله: «حَرُّها شديد، وذِكْرُها طويل مديد، وأثرها على البلاد جديد، إلاَّ أنَّ مغارمها ثقيلة، وصفحة جَوِّها في المحول صقيلة، وسماؤها بخيلة، وبُرُوْقُها لا تصدق منها مَخِيْلَة، وبُلاَلَةُ النِّطِيَّة[2] منزورة العطيّة، وسِعْرُها ليس من الأسعار غير الوطيّة، ومعشوق البُرِّ بها قليل الوصال»[3]. وشاركه آبن فضل الله

(١) نفح الطيب (ح ١ ص ١٦٣). وانظر أيضاً الحلل السندسية (ج ١ ص ١١٩، ٢٠٣).

(٢) النِّطِيَّةُ عَيْنُ ماءٍ بألمريّة ذكرها آبن سعيد في كتابه المعرب (ح ١ ص ١٩٤) وقد تكون هي نفسها التي أوصل خيرانُ العـامريّ ماءها إلى الربض الشرقي. الروض المعطار ص ٥٣٨.

(٣) مشاهدات لسان الدين ص ٨٤. وقول آبن الخطيب: «حَرُّها شديد» يناقض ما ذهب إليه آبن سعيد وأبو الفداء من أنّ ألمريّة تَفْضُلُ بآعتدال هوائها. المغرب (ج ٢ ص ١٩٣) وتقويم البلدان ص ١٧٧

العمري الرأى فقال: «وأمّا الحنطة، فحسب السنين الممطرة، لأنّ أكثر زرعها بالمطر، وترتفق بما يُجْلَبُ إليها من الحنطة من بَرّ العُدْوَة»[1]. وتحدّث آبن خاقان عن قلّة جباية ألمريّة في عهد المعتصم، فقال: «هذا على آنكماش ولايته، وقِلّة جبايته، فإنّ نظره لم يزد على آمتداد ناظر، ولم يَجُدِ الغَمَامُ منه على يانع ولا ناضر؛ لأنّ أكثره شِيْح[2]، ومَهَامَهُ[3] فِيْح... أستغفرُ الله، إلّا ضَفَّتَيْ نهر بجاية[4] الممتدّ كالحبل».[5] وآعتمد الدكتور عبد العزيز سالم في وصف مناخ ألمريّة على هذه النصوص، فذهب إلى القول: «ومناخ ألمريّة يسوده الجفاف، فالمطر يسقط نادراً في هذه المنطقة القاحلة الجرداء، وقد تمضي أعوام لا يسقط فيها»[6]. كذلك شارك الشعراء هؤلاء المُؤرّخين آراءهم فقال أحدهم (المجتثّ):

قالوا: ألمريّةُ صِفْها ... فقلْتُ: مَظٌّ وشِيحُ
فقيل: فيها مَعَاشٌ ... فقلْتُ: إنْ هَبَّ رِيْحُ[7]

وقال السُّمَيْسِر (المجتثّ):

بِئْسَ دارُ ألمريّة اليومَ داراً ... ليس فيها لساكنٍ ما يُحَبُّ
بَلْدَةٌ لا تُمَارُ إلّا بِريحٍ ... رُبَّما قد تَهُبُّ أو لا تَهُبُّ[8]

وقد علّق المقّري على هذين البيتين بقوله: «يشير إلى أنّ مرافقها (أي مرافق ألمريّة) مجلوبةٌ، وأنّ المِيرة تأتيها في البحر من بَرِّ العُدْوَة»[9].

---

(١) وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦. والمقصود بالعُدْوَة هنا العُدْوَة المغربيّة.

(٢) الشِّيْحُ: نبات يُتَّخَذُ من بعضه المكانس، له رائحة طيبة، وطعمٌ مُرٌّ، وهو مَرْعًى للخيل، ومنابته القِيْعان والرياض، وجمعه شِيْحان. لسان العرب (شيح).

(٣) المَهَامُ: جمع مَهْمَه ومَهْمَهَة وهي المفازة البعيدة، والمَهَامُ الفِيْحُ: الواسعة، مفردها فَيْحَاء.

(٤) الصواب: بَجَانة؛ لأنّ بجاية مدينة بالجزائر من عمل قسنطينة. وأغلب الظنّ أنّ الناسخ وقع في خطإ النقل، وكان على محقّق قلائد العقيان ألّا يشارك في تحريف الاسم، أو على الأقلّ أنْ يشير إلى ذلك في تعليقاته.

(٥) قلائد العقيان ص ٤٧.

(٦) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٤.

(٧) الروض المعطار ص ٥٣٧. والمَظّ: رُمّان بَرّيّ لا يُنْتَفَعُ بحمله، ومنابته الجبال، تأكله النحل فيجود عسلها عليه. لسان العرب (مظظ).

(٨) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٨٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٠).

(٩) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٠).

والبستان العظيم الاتّساع الذي ذكرنْاه هو الذي أقامه المعتصم بالقرب من ألمريّة في الجهة القِبْلِيَّة مِنْ قصره الكبير، وكان يُغْني مملكة ألمريّة بجميع الثمار الغريبة[1]. أما وادي ألمريّة المعروف بوادي بَجّانة فإنّه كان يُغْني ألمريّة أيضاً بفواكهه، وقد وصفه الشُّقُنْدي عند حديثه عن ألمريّة بقوله: «وواديها المعروف بوادي بَجّانة من أفرج الأودية، ضَفَّتاهُ بالرياض كالعِذَارَيْنِ حول الثَّغْر»[2]. وفي إحدى مشاهداته لمدينة ألمريّة يزوِّدُنا ابن الخطيب بوصف دقيق لواديها فيقول: «وٱستقْبَلْنا وادي بجّانة، وما أدراك ما هوا النهر السَّيّال، والغصن المَيّاد المَيّال، والأَفْيَاءُ والظِّلال، المِسْكُ مَا فُتَّ في جَنَبَاته، والسندس ما حَاكَتْه يَدُ جنّاته، نعمه واسعة، ومساجده جامعة، أَزْرَتْ بالغوطتين زياتينه وأعنابه»..[3]. ومرّة أخرى يصفه قائلاً: «عذب فرات، وأدواح مثمرات، وميدان آرتكاض، بين بحر ورياض»[4]. ويضيف: «وألمريّة كثيرة الأعناب والزيتون.. ولواديها المَزِيَّة على الأودية، حُجَّةُ الناظر المفتون، المكسو الخصور والمتون، بالأعناب والزيتون»[5]. وبدوره يصف الحِمْيري هذا الوادي فيقول: «وادي بَجّانة يعمُّ بالسَّقي بساتين ألمريّة... وكان بها (أي بألمريّة) من فواكه واديها الكثير الرخيص»[6]. وإضافة إلى هذه النصوص، أَرَدْنا أنْ نستأنس بنصِّ المقَّري نظراً لأهمِّيته: «وفاكهة ألمريّة يقصر عنها الوصف حُسْنا... ووادي ألمريّة طوله أربعون ميلاً، في مثلها كلها بساتين بهجة، وجنّات نضرة، وأنهار مُطَّردة، وطيور مغرّدة»[7].

ولقد كان أعيان ألمريّة يمتلكون البساتين والمتنزّهات في ذلك الوادي، وكانوا يقصدونها للنزهة وطلب الراحة والهدوء، بعيداً عن ضوضاء المدينة[8]. وتغنّى آبن سعيد بنهر ألمريّة ومنتزّهاته، فقال: «وأمّا ألمريّة، فلها على غيرها من نظرائها أظهر

---

(١) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ٧٧.

(٢) فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠).

(٣) مشاهدات لسان الدين ص ٤٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٥) المصدر نفسه ص ٨٣.

(٦) الروض المعطار ص ٥٣٨.

(٧) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣).

(٨) انظر .Los Palacios del Taifa almeriense al-Mu'tasim, en Cuadernos de la Alhambra, Vol. III. p.20

مزيّة؛ بنهرها الفِضّي . . . ومنظرها المُرَصّع . . ومِنْ مُتَفَرَّجاتها مُنَى عبدوس، ومنى غسّان، والنّجاد، وبِرْكة الصُّفْر[١]، وعين النُّطيَّة. ونهرها مِنْ أحسن الأنهار»[٢].

٢ ـ محاصيل أعمال مملكة ألمريّة الزراعيّة: كان لمدينة ألمريّة مدن وضياع عامرة متّصلة الأنهار[٣]. ولقد آشتهرت مدينة بجّانة بالزيتون، والأعناب، والفواكه المختلفة، والبساتين الضخمة الكثيرة الثمار[٤]. وكانت بَرْجَة غنيّة بالفواكه، كونها على نهرٍ تُحْدِقُ بها الجنّات، على حدِّ قول آبن سعيد: «كان والدي متولّعاً بالفُرْجَة فيها (أيْ في بَرْجَة)؛ لِمَا خَصَّها الله به من حسن المنظر. أخبرني أنَّ الجَنَّاتِ مُحْدِقَةٌ بها، وهي على نهر بهيج يُعْرَفُ بوادي عذراء، وفيها الفواكه الجليلة»[٥]، وقول المقّري: «وهي على وادٍ مبهج يعرف بوادي عذراء، وهو محدق بالأزهار والأشجار وتُسَمَّى برجة: بهجة؛ لبهجة منظرها، وفيها يقول أبو الفضل آبن شرف[٦] القيرواني، رحمه الله تعالى (المتقارب):

رياضٌ تَعَشَّقَها سُنْدُسٌ ... تَوَشَّتْ معاطِفُها بالزَّهَرْ
مَدَامِعُها فوق خَدَّيْ رُبًى ... لها نَضْرَةٌ فَتَنَتْ مَنْ نَظَرْ
وكلُّ مكانٍ بها جَنَّةٌ ... وكلُّ طريقٍ إليها سَقَرْ»[٧]

وذكرها آبن الخطيب بقوله: «بهجة ناظر. . عقودُ أعنابها قد قَرَّطَتْ آذان المَيْس[٨] والحَوْر، مياهٌ وظلال، وسحر حلال»[٩].

أمّا دَلاَيَة Dalias فكانت تصلح للمواشي، وكانت أرضها كثيرة الأجبان

---

(١) الصُّفْر معدن يكاد يشبه الذهب نفح الطيب (ج ١ ص ٢٠٠).

(٢) المغرب (ج ٢ ص ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٣) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣).

(٤) نصوص عنْ الأندلس ص ٨٦، ووصف إفريقية والمغرب والأندلس، ص ٤٦، ومشاهدات لسان الدين ص ٤٧.

(٥) المغرب (ج ٢ ص ٢٢٨)

(٦) سيرد الحديث عنه بالتفصيل في باب الحديث عن شعراء ألمرية في عهد المعتصم، ص ١١١.

(٧) نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠ ـ ١٥١). وسَقَرُ: اسمٌ من أسماء جَهَنّم. لسان العرب (سقر).

(٨) المَيْسُ: شجر عظيم يغلظ حتى تُتَّخَذُ منه الموائد الواسعة ورِحال الإبل. لسان العرب (ميس).

(٩) مشاهدات لسان الدين ص ٨١ ـ ٨٢.

والخرفان على حدٍّ قول آبن الخطيب: قُلْتُ: فَدَلاَيَة خير رعاية وولاية. . وأرض ينبت بها جبن وخروف»[1]. كما آشتهرت بعود الألَنْجُوْج[2] حسبما يذكر آبن الخطيب نفسه: «وبناحية دَلاَيَة من عملها (أي من عمل ألمريّة) عُوْدُ اليَلَنْجُوْج، لا يفوقه العودُ النديُّ ذَكاءً وعِطْرَ رائحة. وقد سِيْقَ منه لخيران صاحب ألمريّة، أصْلٌ كان مَنْبَتُهُ بين أحجار هناك»[3]. وأشار أبو عبيد الله البكري إلى هذا العود وأسماه عود النَّضُوح[4]: «يوجد في ناحية دَلاَيَه من إقليم البُشْرَّة[5] عُوْدُ النَّضُوْح، لا يقارنه العود الهِنْدِيُّ ذكاء وعِطْراً، وقد سِيْقَ منه إلى خيران صاحب ألمريّة، أَصْلٌ كان مَنْبَتُه بين أحجار هنالك»[6]. وبدوره يشير آبن غالب إلى هذا العود، ويسمِّيْه عود التجوج: «يوجد في ناحية دَلاَيَة العود، وهو عود التجوج، لا يفوقه العود الهنديُّ ذكاء وعطر رائحة»[7].

ويكثر في حِصْنَ شَنَش شجر التوت اللازم لتربية دود الحرير، ولأهله فيه غِلَلٌ عظيمة[8].

وفي طَبَرْنَش يكثر الزيتون، وكانوا يعصرونه ويستخرجون منه الزيوت[9]. وآشتهرت مدينة أَنْدَرَش بالكَتَّان الفائق[10]. وقد تغنَّى به أبو الحجّاج بن عتبة الإشبيلي، الطبيب الأديب الشاعر، وقد مَرَّ عليها، فقال (الكامل):

لله أَنْدَرَشٍ! لقد حازتْ على ... حُسْنٍ تتيهُ به على البلدانِ
النهرُ منْسَابٌ سَرَتْ خُلْجَانُهُ ... في الروضِ بَيْنَ أزاهِرِ الكَتَّانِ[11]

---

(1) المصدر نفسه ص ٨٢.

(٢) الأَلَنْجُوْج واليَلَنْجُوْج عود جيّد، طيب الريح، يُتَبَخَّرُ به. لسان العرب (لنج).

(٣) الإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٩٨). وورد هذا النص في نفح الطيب (ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١) بآختلاف يسير عمّا هنا.

(٤) النَّضُوحُ ضرب من الطيب لسان العرب (نضح)

(٥) البُشْرَّة أو البُشْرَات Alpujarras منطقة جبال سيرا نفادا Sierra Nevada في إقليمَيْ غرناطة وألمريّة. نفح الطيب (ج ١ ص ١٤١ حاشية ١)، والمطرب ص ١٠ حاشية ٥.

(٦) جغرافية الأندلس ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٧) قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٣٠٨.

(٨) انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٢٥) ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٤)

(٩) انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٤ واللمحة البدرية ص ١٩.

(١٠) معجم البلدان (ج ١ ص ٢٦٠).

(١١) الروض المعطار ص ٤٢ (مادة أندرش)

أمّا مرشانة ودوجر، فإنَّ المصادر لم تَمُدَّنا بشيء عن منتوجاتهما الزراعيّة[1]. كذلك آشتهرت قرى ألمريّة بفواكهها على حَدِّ قول آبن فضل الله العمري: «وحولها (أي حول ألمريّة) حصون وقرى كثيرة الفواكه»[2].

ثانياً ـ الصناعة:

في مجال الصناعة شهدت ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح تقدّماً آمتازت به على غيرها من مدن الأندلس، وبلغتْ شهرة تجاوزتْ بها الآفاق. وأهمُّ الصناعات التي شهدتْها آنذاك صناعة النسيج، وصناعة الرخام، وصناعة المعادن، وصناعة الزجاج، وصناعة السفن، وصناعة الفخار، وصناعة الزيوت.

١ ـ **صناعة النسيج**: كانت تُحَاكُ في ألمريّة أنسجة من الصوف والكَتّان[3]. ولكنَّ المنسوجات الحريريّة كانت تُعَدُّ أكثر منتجات ألمريّة الصناعيّة شهرة. ولقد آنتقلتْ صناعة الحرير إلى هذه الحاضرة في بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عن طريق الوفود القادمة إليها من قرطبة التي طَحَنَتْها الفتنةُ البربريّة، ومن بَجّانة التي بدأت تخرب بعمارة ألمريّة. ذكر آبن الخطيب أنّه كان بقرطبة دار طراز كان قد آتّخِذَ في أيام عبد الرحمن الثاني[4]. وكانت قرطبة تعتمد آنذاك في صناعة الحرير على مدينة جَيّان التي كان لها، استناداً إلى قول الحميري، ما يزيد على ثلاثة آلف قرية يُرَبَّى بها كلِّها دودُ الحرير[5].

ولقد آنتقلت صناعة المنسوجات الحريريّة من بَجّانة إلى ألمريّة على أيدي البَجّانيّين بعد آنتقالهم إلى ألمريّة في سنة آثنتين وأربعمائة / ١٠١١ م[6]. وقد أشار الحِمّيري إلى تكاثر طُرُزِ الحرير والمتاجر الرائجة ببجّانة[7].

---

(١) في وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٥ حاشية ١: مرشانة Purchena بليدة ذات بساتين وزراعات وفي معجم البلدان (ج ١ ص ٣٨٤): بَرْشانة، بالباء، هي من قرى إشبيلية بالأندلس.

(٢) وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦.

(٣) انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٣، وتاريخ العرب ص ٦٠٧.

(٤) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٠).

(٥) الروض المعطار ص ١٨٣.

(٦) انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٢.

(٧) الروض المعطار ص ٧٩.

وجدير بالذكر أنَّ أهل الصين[1] هم أول الذين آختصوا بصناعة الحرير، وظلّوا يحتكرونها إلى أنْ أدخلها المسلمون إلى الأندلس حيث زَهَتْ وتقدَّمَتْ تقدّماً كبيراً، وكان رواجها في عصر الدولة الأمويّة، حيث شغلتْ قرطبةُ المركزَ الأول[2].

وفي عهد المعتصم ابن صمادح غلبت ألمريّة على هذه الصناعة على حدِّ قول ياقوت: «ويُعْمَلُ بها الوَشْيُ والدِّيباج[3] فَيُجَادُ عملُه،وكانت أولاً تعمل بقرطبة ثم غلبت عليها ألمريّة فلم يُثْقَفْ في الأندلس مَنْ يُجِيْدُ عَمَلَ الدِّيْباج إجادة أهل ألمريّة[4]». ويشير آبن غالب إلى ما كان يُصْنَعُ بألمريّة من منسوجات حريريّة فاخرة، فيقول: «وكان يُعْمَلُ فيها من الوَشْيِ والسُّقْلاطُوني[5]والبغدادي وسائر أجناس الدِّيْباج وجميع

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الصين ظلَّتْ تحتفظ بصناعة الحرير سرّاً إلى أنْ تمكّن الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول من الاهتداء إلى سرِّ صنعتها عن طريق تهريب بويضات من دود القزِّ من مدينة سرندا في الصين إلى بيزنطة، وعندها عمَّم جستنيان زراعة أشجار التوت التي تعتاش عليها ديدان الحرير، وأمر بتأسيس المصانع لتخليص الحرير من شرانقه ثم نسجه، فآنتشرت صناعة الحرير في الإمبراطورية البيزنطيّة وبسرعة مذهلة. وقيل: انتقلت هذه الصناعة من الصين إلى بلاد فارس، ومن بلاد فارس إلى بيزنطة، ومن بيزنطة إلى الأندلس عن طريق جماعات من اللاجئين الإغريق. انظر علاقات بين الشرق والغرب ص ٢٦٠ وتاريخ مدينة ألمريّة الأندلسية ص ٢١٠.

(٢) انظر تاريخ العرب ص ٦٠٧ وتاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) الدِّيباج نوع من الأقمشة الحريريّة السميكة، كان معروفاً في المشرق قبل الإسلام، ثم آستمرَّ نَسْجُهُ بعد ظهور الإسلام، وكان يصنع من خيوط الحرير، وتدخل في نسجه خيوط الذهب أو الفِضّة، ويعرف بالإسبانية بآسم Brocado. راجع الفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٢٤، وتاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٧.

(٤) معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩).

(٥) السُّقْلاطون أو الأسقلاطون نوع من المنسوجات الحريريّة، اشتهرت به في الأصل بلاد اليونان فنسبت إلى سقلاطونَ بلدٍ من بلاد الروم. ومن اليونان انتقل إلى البلاد الإسلاميّة فَعَرَفَتْهُ مصر في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ/ ٩٧٥ ـ ٩٩٦ م)، وَعَرَفَتْهُ بغداد في عصرها العباسي فآشتهرت به وكان يعرف بالسقلاطون البغدادي. والسقلاطون رقيق الملمس، سميك الصنعة، وردي اللون، مزركش بالذهب. راجع نهاية الأرب (ج ١ ص ٣٦٩)، وصبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٦)، وتكملة المعاجم العربية (ج ١ ص ١٣٦)، وتاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ص ١٠١، والزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ص ٥٣ ـ ٥٤، والفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٢٤، وتاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٧، وتاريخ مدينة ألمريّة الأندلسية ص ٢١٤.

ما يعمل من الحرير ما لم يُعْمَلُ مِثْلُهُ بصنعاءَ وعَدَنَ، ومنها كان يُسْفَنُ إلى جميع الآفاق، وكان يُعَمْلُ فيها الحُلَلُ الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان»[1]. ويشاركهما آبن سعيد الرأي، فيقول نقلاً عن آبن فرج: «حدث فيها من صنعة الوَشْي والدِّيْباج على آختلاف أنواعه، ومن صنعة الخَزِّ، وجميع ما يُعْمَلُ من الحرير، ما لم يِبْصَرْ مِثْلُهُ في المشرق ولا في بلاد النصارى»[2]، ويقول في مكان آخر: «ويُصْنَعُ فيها وفي مالقة وفي مرسية ثياب الحرير الموشّاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة»[3]. وذهب الشَّقُنْدي مذهبهم بقوله: «وهي أيضاً مصنعٌ للحُلَل المَوْشِيّة النفيسة. وأمّا مرسية، فإنّها حاضرة شرق الأندلس... وهي لألمريّة ومالقة في صنعة الوَشْي ثالثة»[4]. ويفهم من كلام الشَّقُنْدي أنَّ مالقة تأتي في صناعة الحُلَل المَوْشِيّة في المرتبة الثانية بعد ألمريّة، وأنَّ هذا النوع من المنسوجات الحريريّة كان بألمريّة أغلى ثمناً منه في مالقة. وقد وصف الشقندي أيضاً صناعة الحُلَل المَوْشِيَّة بمالقة بقوله: «وفيها تُنْسَجُ الحُلَل المَوْشِيَّة التي تُجاوِزُ أثمانُها الآلاف، ذاتُ الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء، فَمَنْ دونهم»[5].

وأشار أبو الفداء إلى غزارة إنتاج الحرير في ألمريّة فقال: «ويُعْمَلُ بها من الحرير ما يفوق معمول غيرها»[6]. وبدوره يقول المقري: «وبها من صنعة الدِّيْباج ما تفوق به على سائر البلاد»[7]. ويقول مرة أخرى نقلاً عن آبن سعيد: «فقد آختصّتِ ألمريّة ومالقة ومرسية بالوَشْي المذهب الذي يَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِ صنعته أهلُ المشرق إذا رَأَوْا منه شيئاً»[8]. ويقول أيضاً: «وهي أيضاً مصنعٌ للحلل المَوْشِيَّة النفيسة»[9].

وهكذا أتقن أهل ألمريّة في عهد مليكهم المعتصم ابن صمادح طريقة آستخراج

---

(١) قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) المغرب (ج ٢ ص ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٣) كتاب الجغرافيا ص ١٤٠.

(٤) نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٥) المصدر نفسه ص ٢١٩.

(٦) تقويم البلدان ص ١٧٧.

(٧) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢).

(٨) المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٩) نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠). والحُلَلُ نسيج من الحرير يُحَلّى بخيوط ذهبيّة، لذلك سُمّي بالحُلَلِ المَوْشِيّة. تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٧.

الحرير، فراجتْ صناعتهم في مدينتهم، وأصبح بها في فترة المرابطين ـ وهي فترة آمتداد لعصر ملوك الطوائف ـ ثمانمائة نَوْلٍ لنسج طُرُز الحرير على حَدِّ قول الحِمْيري: «وكانت ألمريّة في أيام الملثّمين مدينة الإسلام، وبها مِنْ كلِّ الصناعات كلُّ غريبة، وكان بها من طُرُز الحرير ثمانمائة طراز، وتُعْمَلُ بها الحُلَل، والدِّيْباج، والسلاقطون، والأصبهاني[1]. والجُرْجاني[2]، والستور المكلَّلة[3]، والثياب المُعَيَّنة[4]، والعَتّابي[5]،

---

(١) نسبة إلى مدينة أصبهان الفارسيّة لاشتهارها بهذا النوع من المنسوجات الحريريّة، راجع الفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٢٤، وتاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٨. وقد ذكر البكري وياقوت هذه المدينة دون أن يشيرا إلى ذلك مكتفيَيْن بالقول: أصبهان مدينة معروفة من بلاد فارس. معجم ما استعجم (ج ١ ص ١٦٣)، ومعجم البلدان (ج ١ ص ٢٠٦).

(٢) نسبة إلى مدينة جُرْجان الفارسيّة لاشتهارها بهذا النوع من الحرير. الفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٢٤، وتاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٨، وقد ذكرها ياقوت بقوله: جُرْجان مدينة مشهورة عظيمة من بلاد فارس، بها إبْرِيسَمٌ جَيِّدٌ لا يستحيل صبغه، وكان يُحْمَلُ إلى جميع الآفاق. معجم البلدان (ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢٠). والإبريسم هو الحرير قبل أن يخرقه الدود، وبعد الخرق يسمَّى قزّاً، مُعَرَّب إبريشم بالفارسيّة.

(٣) هي نوع من المنسوجات الحريريّة، خفيفة رقيقة تزدان بالزخارف النباتيّة والأزهار التي تشبه الأكاليل. تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٨.

(٤) هي نسيج من الكتّان أو القطن يزدان بزخرفة هندسيّة على شكل مُعَيَّنات، وقيل. سُمِّي كذلك لأنّه يشبه عيون الوحش، ويُرَجِّحُ التفسير الأول. تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٨، والفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٢٤ حاشية ٢.

(٥) نسبة إلى العَتّابيّة إحدى محلّات بغداد، التي كانت الثياب العَتّابيَّةُ تُصْنَعُ فيها، وهي ثياب من حرير وقطن مختلفة الألوان. رحلة ابن جبير ص ٢٠١. وذكر الدكتور مرزوق هذا النوع من الحرير فقال: «والعَتّابي التي آستمدَّتِ آسْمَها في الأصل مِنْ حَيِّ العَتّابيّة ببغداد، وقد أحْسَنَ الأندلسيون تقليد هذا النوع حتى آشتهرت به ألمريّة». الفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٢٤ ـ ١٢٥. وأضاف: عن طريق الأندلس عرف الإيطاليون هذا النوع من النسيج. كما عرفه الفرنسيّون أيضاً، ومن هذين القطريّن آنتشر في أوروبا في العصور الوسطى بآسم Tapis، وأغلب الظنّ أنّها كلمة محرّفة عن كلمة «عتابي». المصدر نفسه ص ١٢٥ حاشية ١. ويشير في كتاب آخر إلى هذا النوع من الثياب الحريريّة بقوله: «العتابي من المنسوجات التي آشتهرت بها بغداد، وآشتغلت بها مصر في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله، وهي نوع من الحرير المموَّج، والعتابي الغربي تقليد للعتابي الشرقي» الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطميّة ص ٥٣ ـ ٥٤ وحاشية ١. وأشار الدكتور عبدالعزيز سالم إلى العتابي بقوله: انتقل هذا النوع من المنسوجات الحريريّة إلى إيطاليا وفرنسا عن طريق الأندلس تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية=

والمعاجر[١]، وصنوف أنواع الحرير»[٢].

ويذكر المقّري هذه الأنواع من النسيج مستثنياً منها الثياب المعيّنة، ومخصّصاً لكل نوع عدد أنواله: «وقال بعضهم: كان بألمريّة لنسج طُرُزِ[٣] الحرير ثمانمائة نَوْل، وللحُلَلِ النفيسة والدِّيباج الفاخر ألف نَوْل، وللأسقلاطون كذلك، وللثياب الجُرْجانيّة كذلك. وللأصْفَهانِيّة مثل ذلك، وللعنابي[٤]، والمعاجر المدهشة، والستور المكللة»[٥].

وقد علّق الدكتور سالم على هذه الأعداد بقوله: «وفي هذه الأعداد الهائلة

= ص ١٥٨. وعرَّفه الدكتور أبو الفضل بأنه نوع من النسيج، رقيق الملمس، بديع الصنعة، سريع التلف، لذا كان يُبَطَّن غالباً ببطانة من نسيج آخر كالقطن، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية ص ٢١٦.

(١) المعاجر جمع مِعْجَر وهو ثوب تَلُفُّهُ المرأة على آستدارة رأسها ثم تَجَلْبَبُ فوقه بِجِلْبَابها، وقيل: ضَرْبٌ من ثياب اليمن. لسان العرب (عجر). ويرى الدكتور سالم أنّها قماش من الحرير شفّاف كانت تتّخذه النساء لتغطية وجوههنّ أو لشدّ رؤوسهنّ. تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥٨، ويشير السميسر إلى المعاجر بقوله (مجزوء الكامل):

وإذا تَأمَّلْتَ المعَا ... جِرَ تَحْتَها دُعْجُ المحاجِرْ
خِلْتَ آلمنيَّةَ أقْبَلَتْ ... مِنْ جيشِ صَقْلَبَ والبرابِرْ

الذخيرة (ق ٢١ ص ٨٩٨).

(٢) الروض المعطار ص ٥٣٨.

(٣) الطِّرَازُ من أُبَّهة الملك والسلطان، وهو أنْ تُرْسَمَ أسماءُ الملوك أو علاماتٌ تختصُّ بهم في طراز أثوابهم المُعَدَّة للباسهم، من الحرير أو الدِّيباج أو الإِبْرِيسَم، بخيط الذهب أو ما يخالف الثوبَ من الخيوط الملوّنة من غير الذهب، فتصير الثياب الملوكيّة مُعْلَمَةً بذلك الطراز قَصْدَ التنويه بلباسها من السلطان فمن دونه. وكان ملوك العجم قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم، ثم آعتاض ملوك الإسلام عن ذلك بِكَتْبِ أسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى الفأل أو السِّجلّات. وكانت الدُّوْرُ المُعَدَّة لنَسج أثوابهم في قصورهم تُسَمَّى دُوْرَ الطراز، وكان القائم على النظر فيها يسمّى صاحب الطراز، ينظر في أمور الصُّباغ والآلة والحاكة فيها، وإجراء أرزاقهم ومشارفة أعمالهم. وكذلك كان الحال في دولة بني أميّة بالأندلس، وفي عصر ملوك الطوائف مِنْ بعدهم. ثمَّ لمّا ضاق نطاق الدول عن الترف تعطّلت هذه الوظيفة من أكثر الدول بالجملة، بحيث لم يأخذ بها الموحّدون أول دولتهم؛ لِمَا كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لُقِّنُوها عن إمامهم محمد بن تُوْمَرْت المهدي، وكانوا يتورّعون عن لباس الحرير والذهب، فسقطتْ وظيفة صاحب الطراز، ثم آستَدْرَكَ منها أعقابُهُم آخرَ الدولةِ طَرَفاً لم يكن بتلك النباهة، تاريخ ابن خلدون (م ١ ص ٤٧١ - ٤٧٣).

(٤) الصواب: «العتابي» بالتاء.

(٥) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣).

مبالغةٌ كبيرة، وعلى هذا الأساس نعتقد أنَّ المقَّري نقل هذا النصَّ مُحَرَّفاً عن أحد المؤرِّخين»[1]. وذكر الدكتور مرزوق أنَّ دُوْرِ طِرَازِ الحرير آنتشرت في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الأول، ممّا ساهم في تقدّم صناعة النسيج في العالم الإسلامي مساهمة كبيرة، وأنَّ الأبحاث الأثريّة كشفتْ عن وجود نوعين من دُوْر الطّرَاز؛ طِرَاز العامّة، وأغلب الظنّ أنَّ المقصود به المصانع الأهليّة للنسيج التي كانت تشرف عليها الحكومة، وطراز الخاصّة وكان مُلْحَقاً بقصر السلطان وعلى رأسه موظّف كبير يختصّ عادة بنسج ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته[2].

ولم تكن المدن التابعة لألمريّة بمنأى عن هذه الصناعة؛ فَشَنَش مثلاً كانت تغلُّ الكثير من الحرير الخام؛ وذلك لكثرة شجر التوت فيها. وقد أشار آبن سعيد إلى ذلك بقوله: «وفيه (أي في حِصْن شَنَش) شجر التوت كثير، بسبب الحرير، ولهم فيه غَلَلٌ عظيمة»،[3] وقال المقّري: «وفيها (أي في مدينة شَنَش) الحرير والقرمز»[4].

كذلك كانت غلّة بَرْجة من الحرير كبيرة[5].

٢ ـ صناعة الرخام: انتشرت هذه الصناعة في ألمريّة أيّام المعتصم ابن صمادح؛ وذلك لتوافر مادّة الرخام فيها، حيث كان يكثر في جبل سيرا دي لوس فِلاَبريس Sierra de los Filabres الواقع إلى الشمال منها، وكان يصلح لصناعة الأحواض، والتوابيت، واللوحات المنشوريّة الشكل، والفوّارات، والشواهد اللاّزمة للمقابر[6]. وقد وصف آبن الخطيب ألمريّة ببلد الرخام[7]. وأشار الشَّقُنْدي إلى رخام ألمريّة فَوَصَفَهُ بالصقيل الملوكي[8]. وذكر العُذْري أنَّ المعتصم بنى بخارج مدينة ألمريّة بستاناً سمِّي بالصُّمَادِحِيّة، وكان في وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة

(١) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٥٧ حاشية ١.
(٢) الفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٢٢ ـ ١٢٣.
(٣) المغرب (ج ٢ ص ٢٢٥).
(٤) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٤).
(٥) انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٢.
(٦) انظر تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٦٣، ١٦٥.
(٧) مشاهدات لسان الدين ص ٨٣.
(٨) فضائل الأندلس ص ٥٨، ونفح الطيب (ج ١ ص ٢٢٠).

مفروشة بالرخام الأبيض[1]. وحكى المقّري في كلامه عن مدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر أنَّ هذا الأخير جلب إلى الزهراء الرخام الأبيض من ألمريَّة[2]. وأضاف: «وبالأندلس عدّة مقاطع للرخام... وفي ناشرة مقطع عجيب للعُمُد[3]. وذكر مورنيو أنّه عُثِرَ بين أطلال قصر قصبة ألمريّة على أجزاء من أحواض من الرخام مزيّنة بزخارف بارزة، منها حوض من الرخام ناقص القاع، بقيت فيه أقدام بشريّة تلبس أَخْفافاً، وخَلْفَ ذلك شجرةٌ وأَرْجُلُ حيوان[4].

٣ ـ صناعة المعادن: تفنَّن أهل ألمريّة بهذه الصناعة، وكان يصنع بمدينتهم من صنوف آلات الحديد والنحاس ما لا يوصف ولا يُحَدُّ[5]. ذكر الدكتور مرزوق أنّ الحفائر الأثريّة كشفت في منطقة ألمريّة عن ثُرَيّات معدنيّة، بعضها كامل، وبعضها ناقص، ويتجلّى فيها جميعاً دِقّة الصناعة وجمال الزخرفة، وهي شبيهة بنظائرها في الفن القبطي والفن الفاطمي[6]. وأشار آبن سعيد إلى وفرة الرصاص في مدينة بَرْجَة من أعمال ألمريّة[7]. وذهب المقرّي مذهبه فقال: «وبمدينة بَرْجَة ـ وهي من أعمال ألمريّة ـ معدن الرصاص»[8]. وبدوره يشير المرّاكشي إلى وفرة هذا المعدن في دَلاَيَة من أعمال ألمريّة، فيقول: «وفي أعمال ألمريّة وعلى يوم ونصفٍ منها موضع يعرف بدلاية، فيه معدن رصاص. وفي أعمال ألمريّة أيضاً على يوم ونصف موضع يسمّى بكارش، فيه معدنِ حديد أيضاً»[9]. كما انّ معادن الفِضّة كثيرة في جبال حَمّة بَجّانة[10]. إضافة إلى وجود المرجان بساحل بيرة من عمل ألمريّة[11]. وقد أشار

---

(١) نصوص عن الأندلس ص ٨٥

(٢) نفح الطيب (ج ١ ص ٥٢٦).

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠١ وناشرة قرية بناحية بجّانة. المصدر نفسه ص ١٤٢ وبجّانة، كما أشرْنا سابقاً، مدينة أندلسية قريبة من ألمريّة. راجع ص ٢٠ حاشية ٦

(٤) الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٩، ٣٢٤.

(٥) انظر الروض المعطار ص ٥٣٨، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣)

(٦) الفنون الزخرفية الإسلامية ص ١٧٤

(٧) المغرب (ج ٢ ص ٢٢٨).

(٨) نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠)

(٩) المعجب ص ٢٤٢.

(١٠) انظر نفح الطيب (ج ١ ص ١٤٣).

(١١) المصدر نفسه ص ١٤٢.

أبو عبيد البَكْري إلى بعض المعادن والأحجار التي خُصَّتْ بها مدينة ألمريّة وأعمالها، فقال: وحَجَرٌ يشْبِهُ الياقوتَ الأحمرَ في ناحية مريّة بَجّانة، وفي خندق بعرب قرية ناشر يُوْجِدُ (أي الحَجَرُ) أشكالاً مختلفة كأنّه مصنوع، حَسَنَ اللون، صَبُوراً على النار. . . والمَرْجانُ يُخْرَجُ من بحر الأندلس، وقد خرج منه في ساحل بحر بِيْرَة مِنْ عمل ألمريّة ما لُقِطَ منه في أقلَّ من شهر نحو ثمانين قنطاراً. . . ومعادن الفِضّة بالأندلس كثيرة في كورة تُدْمير وجبال حَمَّة بَجّانة»[1]. وآكتفى آبن غالب بالقول: «والياقوت الأحمر. . . وقد يُوْجِدُ في ناحية مدينة بجّانة أشكالاً مختلفة كأنّه مصنوع، حسن اللون، صَبُوْرٌ على النار»[2].

٤ ـ **صناعة الزجاج**: يذكر المقّري أنّه كان يصنع بألمريّة زجاج غريب عجيب لا يوصف[3]. ولعل المقّري أراد أنْ يشير إلى إعجاب الناس بهذا النوع من الزجاج لدقّة صنعه وجمال ألوانه، بحيث لم يكن له في المشرق نظير، وقد أشار الدكتور مرزوق إلى ذلك بقوله: كشفت الحفائرُ الأثريّة عن قطع من الزجاج يتجلّى فيها جمال التلوين، بعضها من لون واحـد، وبعضها من لَوْنَيْنِ متداخليْن في بعضهما تداخلاً ينتزع الإعجاب من كل من يراه[4]. وأضاف: «وهذا الأخير يستحقُّ منّا أن نقف عنده قليلاً، إذ تقوم زخرفته على إضافة خيـوط زجاجيّـة، لونهـا يختلف عن لون الإنـاء نفسه»[5]. وأوضح أيضاً كيفيّة تلوين الزجاج بقوله: يقوم تلوين الزجاج على إضافة أكاسيد مختلفة إلى الزجاج الذائب فتكسبه اللون المطلوب؛ فأكسيد النحاس يُعْطي الأخضر الفيروزي، وأكسـيد الكوبلت يعطي الأزرق الفاتح، وأكسيد المنجنيز يعطي الأرجواني والبنفسجي، وأكسيد القصدير يعطي اللون الأبيض، وأكسيد الحديد يعطي الأحمر، وحجر اللاَّزَوَرْد يعطي الأزرق، والأنيمون (الإِثْمِدُ وهـو حجر يُكْتَحَـلُ به، سريع التفتّت، وإذا تفتّت كان لفتاته بريق ولمعان) يعطي اللون الأصفر[6].

٥ ـ **صناعة السفن**: رغم الأهميّة البحريّة التي آنفردتْ بها مدينة ألمريّة من بين مدن الأندلس، والتي أَشَرْنا إليها سابقاً عند الحديث عن موقعهـا الجغرافي، فـإنَّ المصادر لم تذكر لنا شيئاً عن عدد سفن أسطول المعتصم ابن صمادح ولا عن نوع

(١) جغرافية الأندلس وأوروبا ص ١٢٨ ـ ١٢٩.
(٢) قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.
(٣) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣، ٢٠٢).
(٤) الفنون الزخرفية الإسلامية ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
(٥) المرجع نفسه ص ٢٠٩.
(٦) المرجع نفسه ص ٢٠٨ حاشية ٣.

هذه السفن وصناعتها، مكتفية بالإشارة إلى توافر الموادّ الخام اللازمة لصناعة السفن، وإلى وجود دار مخصصةٍ لهذه الصناعة سمِّيَتْ دار الصنعة أو دار الصناعة[1].

٦ ـ **صناعة الخزف**: كانت هذه الصناعة مزدهرة في ألمريّة، وقد أشار المقَّري إلى ذلك بقوله: كان يصنع بألمريّة فخّار مزجّج مذهب[2]. وذكر الدكتور مرزوق أنّ الحفائر الأثريّة في ألمريّة كشفت عن أمثلة مختلفة من الخزف[3].

٧ ـ **صناعة الزيوت**: عن صناعة الزيوت ذكر آبن الخطيب أنّه قامت في وادي طَبَرْنَش من أعمال ألمريّة صناعة آستخراج الزيت من الزيتون[4].

ثالثاً ـ التجارة:

١ ـ **العوامل التي ساعدت على آزدهار التجارة**: شهدت ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح نشاطاً تجارياً على المستويين الداخلي والخارجي. وممّا ساعد على قيامها بهذا الدور التجاري الهامّ ثلاثة أمور؛ أهمية موقعها على البحر الأبيض المتوسط، ووجود قَيْسَارِيَّةٍ في دار الصنعة، وكثرة خيراتها.

بالنسبة إلى موقعها فإنّها تنفرد عن غيرها من مدن الأندلس بخليج شديد الاتّساع والعمق، يتسع لعدد كبير من السفن ويتميّز بهدوء مياهه وقلّة أمواجه[5].

أما القيسارية، فإنَّ التّجّار كانوا يقصدونها ليؤمِّنوا فيها على أموالهم[6]. وعن خيرات ألمريّة، ذكر المقّري أنّها كانت متوافرة بكثرة إلى حَدِّ أنّه لم يكن بالأندلس أكثر من أهل ألمريّة مالاً ولا أعظم متاجرَ وذخائر[7]. وذهب آبن حوقل إلى أنَّ ألمريّة كانت مشهورة بالغلّات، والتجارات، والكروم، والعمارات، والأسواق، والبيوع، والحمّامات، والخانات»[8].

---

(١) راجع أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢)، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٣).

(٢) نفح الطيب (ج ١ ص ٢٠٢).

(٣) الفنون الزخرفية الإسلامية ص ١١٦.

(٤) مشاهدات لسان الدين ص ٨٤.

(٥) انظر تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ٤٢.

(٦) سنتحدّث عنها بإسهاب في فصل «منشآت ألمرية المعمارية» ص ١٣١

(٧) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣). وانظر أيضاً الروض المعطار ص ٥٣٨.

(٨) صورة الأرض ص ١١١.

٢ ـ **نشاط حركة التصدير والاستيراد:** نشطت ألمريّة في ميدان التجارة، فكانت تصدِّر عبر ميناثها الشهير الكثير من محاصيلها الزراعيّة ومنتجاتها الصناعيّة. وكانت، بالمقابل، تستورد جميع البضائع التي تحتاجها. ولقد أشار ياقوت إلى ذلك بقوله: «منها يركب التجار، وفيها تحلّ مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب»[1]. وذهب آبن الخطيب مذهبه، فقال: بَحْرُها مرفأ السفن الكبار[2]. ونوّه الحميري بغنى أهل ألمريّة ونشاطهم التجاري، محدّداً في الوقت ذاته وِجْهة قدوم التّجار إلى حاضرتهم، فقال: «وكانت ألمريّة تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالاً»[3]. ولم يَغِبْ نشاط ألمريّة التجاريّ عن الشَّقُنْدي، فوصفه بقوله: «وبها كان محطّ مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تُسَفَّرُ لسائر البلاد بضائِعُهم، ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم»[4]. ويقول شيخ الربوة: «وقصدها التجار لشراء الحرير، وما يُعْمَلُ فيها من الستور وغيرها»[5]. وهكذا كانت ألمريّة سُوْقاً نافقة لمنسوجاتها التي كانت تُحاكُ من الحرير والكَتّان والصوف[6].

ذكر المقّري أنَّ أهل ألمريَّة كانوا يصدِّرون الفائض من حَصَى مدينتهم إلى خارج البلاد، فقال: «وحصى ألمريّة يُحْمَل إلى البلاد، فإنّه كالدُّرِّ في رَوْنَقِهِ، وله ألوان عجيبة، ومن عاداتهم أنْ يضعوه في كِيْزان الماء»[7]. وتغنّى الشَّقُنْدي بهذا الحصى العجيب: «وفيها (أي في ألمريّة) الحصى المُلَوَّن العجيب الذي يجعله رؤساء مراكش في البراريد»[8]. كما أشاد آبن سعيد بحصى ألمريّة المُجَزَّع بقوله: «وأمّا ألمريّة، فلها على غيرها من نظرائها أظهر مَزِيّة، بنهرها الفِضّيِّ، وبحرها الزَّبَرْجَديِّ، وساحلها التِّبْرِيِّ، وحَصَاها المُجَزَّع»[9]. وأورد لنا المقّري، نقلاً عن الحِجَاري في

---

(١) معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩).

(٢) مشاهدات لسان الدين ص ٨٣.

(٣) الروض المعطار ص ٥٣٨.

(٤) فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨ ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠).

(٥) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٤٣.

(٦) انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٣، وتاريخ العرب ص ٦٠٧.

(٧) نفح الطيب (ج ١ ص ٢٠١).

(٨) فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠).

(٩) المغرب (ج ٢ ص ١٩٣).

المُسْهِب، رواية تدلُّ على قوة مركز ألمريّة التجاري في عهد مليكها المعتصم ابن صمادح، ومُفَادُها أنَّ المعتمد ابن عباد ملك إشبيلية أمر خادمه بإعطاء الأديب أبي محمد[1] عبدالله بن إبراهيم مبلغاً من المال يعيش في فائدته، فآنصرف أبو محمد بهذا المال إلى ألمريّة، وكان يعجبه سكناها والتجارة بها؛ لكونها ميناء لمراكب التجار من مسلم وكافر فَتَجَرَ فيها[2].

وخلال حديثه عن الأندلس يُعْطينا آبن حوقل صورة واضحة عن تجارتها، ولكن دون أنْ يخصّ ألمريّة بالذكر، فيقول: «وبالأندلس غيرُ طِرَازٍ يَرِدُ إلى مصر مَتَاعُهُ، ورُبَّما حُمِلَ منه شيء إلى أقاصي خراسان وغيرها»[3]. ويضيف: «ويُعْمَلُ في أقطار بلدهم من الكَتّان الذي للكُسْوَة، ويُجْلَبُ إلى غير مكان، حتى رُبَّما وصل إلى مصر منها الكثير. فأمّا أَرْدِيَتُهُم المعمولةُ ببجّانة فَتُحْمَلُ إلى مصر ومكة واليمن وغيرها»[4].

وبدوره يتحدّث الأستاذ ليڤي بروڤنسال عن نشاط مدينة ألمريّة التجاري، فيقول: أمّا من جهة العلاقات الاقتصاديّة في القرن الحادي عشر الميلادي، أي القرن الخامس الهجري، فإنّها أخذت ترتقي آرتقاءً مُدْهِشاً؛ ذلك أنَّ أساطيل الموانىء الأندلسيّة التجاريّة في إشبيلية ومالقة ودانية وبلنسية وألمريّة خاصّة كانت في جميع طرق البحر المتوسط تنقل المنتجات القادمة من مختلف أنحاء إسباني أو من المعامل الصناعيّة في المدن الإسلامية الأندلسية، وكانت تلك العلاقات دائمةً على وجه الخصوص مع مصر التي أَخَذَ تأثيرُها على إسبانيا يزداد منذ القرن المذكور[5].

---

(١) وهو صاحب كتاب «الحديقة في البديع» وَعَمُّ الحِجَاريّ صاحب كتاب «المُسْهَب»، قَصَدَ إقبال الدولة ملك دانية، ومَدَحَ أبا بكر بن عبد العزيز مُدَبِّر أمر بلنسية انظر المغرب (ج ٢ ص ٣٤) وصفحات متفرقة من نفح الطيب.

(٢) نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٧٠ ـ ٥٧١).

(٣) صورة الأرض ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٩.

(٥) حضارة العرب في الأندلس ص ٥٣ ـ ٥٤.

الحياة الأدبية واللغوية والعلمية في مملكة ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح

لمحة عامّة:

رغم آلانحلال السياسي الذي عَرَفَتْهُ الأندلس في عصر ملوك الطوائف، فإنَّ نهضة ثقافيّة هائلة سادت البلاد؛ وذلك بفضل تنافس هؤلاء الملوك في آجتذاب فحول الشعراء والكُتّاب والعلماء إلى حواضرهم التي حَوَّلُوْها، على حَدِّ قول المستشرق الإسباني إميليو غرسيّة غومس، إلى «بغدادات صغيرة»[1]. فهؤلاء الملوك كانوا يتنافسون في فخامة الشأن، حتى عُرِفَ عهدهم بالرخاء، وغَدَتْ بَلَاطَاتُهُم أماكنَ لاجتماعات فكريّة يتحلّق فيها الشعراء والأدباء والعلماء والفنّانون[2].

ولقد كان شعب ألمريّة، كغيره من شعوب الأندلس، كثير الإقبال على العلم، سبّاقاً في ميدان الآداب والعلوم، متوقّد الذهن، مكتسب المعارف، يذكر المقّري، نقلاً عن آبن سعيد، أنَّ أهل الأندلس كانوا كثيري الرغبة في العلم، وكان العالِمُ عندهم معظّماً من الخاصّة والعامّة. ولعدم وجود مدارِسَ تُعِيْنُهُم على طلب العلم، كانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة، أي كانوا يطلبون العلم بباعث ذاتي، ويُنْفِقُوْنَ من عندهم حتى يعلموا، وكلُّ العلوم لها عندهم حظٌّ وآعتناء إلاّ الفلسفة والتنجيم؛ فإنَّ لهما حظّاً عظيماً عند خواصّهم، ولا يُتَظاهَرُ بهما خوف العامّة. ومَنْ كان يشتغل بهما أَطْلَقَتْ عليه العامّة آسم زنديق، وقَيَّدَتْ عليه أنفاسه، فإنْ زَلَّ في شبهة رجموه بالحجارة، أو أحرقوه قبل أنْ يصل أمره للسلطان، أو قتله السلطان تقرّباً

(١) Poemas Arábigoandaluces, p 32.

(٢) انظر تاريخ آداب العرب (ج ٣ ص ٢٩٢) وحضارة العرب في الأندلس ص ٢٠.

لقلوب العامّة. وكثيراً ما كان ملوكهم يأمرون بإحراق كتب الفلسفة[1]. ويضيف: كان للفقه عندهم رونق ووجاهة، فكانت سِمَةُ الفقيه عندهم جليلة بل أرفع السمات. وكان النَّحْوُ عندهم في نهاية من علوِّ الطبقة، فكانوا كثيري البحث فيه، وكلُّ عالِمٍ لا يكون مُتَمَكِّناً منه فليس عندهم بمستحقٍّ للتمييز. وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر أنبل علم عندهم، والشعر عندهم له حَظٌّ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، والمجيدون منهم يُنْشِدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويُوَقَّعُ لهم بالصِّلاَت على أقدارهم[2].

وهكذا حفل عهد ملوك الطوائف بالشعراء والأدباء، وساد البلادَ نهضةٌ أدبيّةٌ رائعة، وصفها غرسية غومس بقوله: «كان هذا العصر عظيماً للشعر. . . وكان الشعر قد أينع ثمرُهُ أكثر من غيره من الفنون ولا سيّما في إشبيلية عاصمة بني عباد»[3]. وشاركه الرأي الأستاذُ ألبير مطلق، فقال: «كانت الصِّبغة الأدبيّة أغلبَ على هذا العصر من سواها؛ لحاجة كلِّ أميرٍ إلى بِطانةٍ من الشعراء تُشِيْدُ بمناقبه وتنتحل له مناقب أخرى ليست فيه»[4]. ويقدِّم لنا الشَّقُنْدي صورة شاملة عن حال الأدب في عواصم الأندلس فيقول: «ولمَّا ثار بعد آنتشار هذا النِّظام ملوكُ الطوائف وتفرّقوا في البلاد، كان في تفرّقهم آجتماع على النعم لِفُضَلاَء العِباد، إذ نَفَّقُوا سوق العلوم، وتَبَارَوْا في المَثْوبَةِ على المنثور والمنظوم، فما كان أعظمَ مباهاتهم إلاَّ قَوْل: «العالِمُ الفلانيُّ عند الملك الفلاني، والشاعر الفلاني مختصٌّ بالملك الفلاني. . وقد سَمِعْتَ ما كان من الفِتْيان العامريّة مجاهد ومنذر وخيران، وسَمِعْتَ عند الملوك العربيّة: بنو عبّاد، وبنو صُمَادح، وبنو الأفطس، وبنو ذي النُّوْن، وبنو هُوْد، كلٌّ منهم قد خُلِّدَ فيه مِنَ الأمداح ما لو مُدِحَ به الليلُ لَصَارَ أَضْوَأَ من الصباح، ولم تزلِ الشعراءُ تَتَهَادَى بينهم تَهَادِيَ النَّوَاسِم بين الرياض، وتفتك في أموالهم فَتكةَ البَرّاض»[5].

---

(١) نفح الطيب (ج ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) Poemas Arábigoandaluces, p. 32.

(٤) الحركة اللغوية في الأندلس ص ٢٥٧.

(٥) نفح الطيب (ج ٣ ص ١٨٩ ـ ١٩٠) والبَرّاض هو الذي يأكل كلَّ شيء من ماله ويُفْسِدُه. لسان العرب والقاموس المحيط، مادة (برص)

أولاً ـ النشاط الأدبي:

حَظِيَتِ ألمريَّةُ بقسط كبير من النشاط الأدبي، فبلغت أَوْجَها الأدبي في عهد بني صمادح الذين نعتهم آبن دِحْية بقوله: «وبنو صمادح بيت العلوم الفائقة والآداب الرائعة». (1) ورسم لنا المستشرق الإسباني غونثالث بالنثيا الصورة التي آنعكس عليها الأدب في ألمريّة بقوله: «بلغت الحركة الأدبيّة شأْوَها في بلاط ألمريّة أيّام المعتصم ابن صمادح.. إذ أحاط نفسه بكوكبة من الشعراء الذين وَهَبُوا مُلْكَه عِزّاً وَمجْداً أَثيلَيْن» (2).

أ ـ دور المعتصم في النشاط الأدبي: ساعد المعتصم على دفع النشاط الأدبي من خلال المجالس الأدبيّة التي كان يعقدها ويرعاها بقصره، حيث لم تكن أيّامه، كما يقول آبن خاقان، تخلو «من مناظرة، ولا عُمِرَتْ إلاَّ بمذاكرة أو محاضرة، إلاَّ ساعات أوقفها على المُدَام، وعَطَّلَها من ذلك النِّظام». (3) والذي حَفَزَهُ على إقامة مثل هذه المجالس مَلَكَتُهُ الأدبيّة المرهفة وشاعريّته الفذّة التي تتجلّى صورتها في أشعاره الحسنة التي آحتفظتْ بها مُتونُ الكتب وَرَدَّدتْها؛ من ذلك ما كتبه إلى ذي الوزارتين أبي بكر محمد بن عمّار الشّلْبي يعاتبه، وقد بلغه عنه ما أوجب ذلك من سوء الاغتياب (الطويل):

وزَهَّدَني في النـاسِ مَعْـرِفَتِي بِهِمْ ... وطُوْلُ آختباري صَاحِباً بَعْدَ صاحِبِ
فـلم تُـرِنـي الأيّامُ خِلاًّ تَسُـرُّنـي ... مَبَـادِيْـهِ إلاَّ سـاءني في العَـوَاقِبِ
ولا قُـلْتُ أرجـوه لِـدَفْـعِ مُلِمَّـةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ كان إحدى المصائبِ (4)

فأجابه آبن عَمَّار على الوزن والقافية نفسيهما:

فَـدَيْتُـكَ لا تَـزْهَـدْ فَـثَمَّ بَقِيَّـةٌ ... سترغَبُ فيها عند وَقْعِ التجارب (5)

---

(1) المطرب ص ٣٤.
(2) Historia de la Literatura arábigoespañola, p 89
(3) قلائد العقيان ص ٤٧، وانظر أيضاً المغرب (ج ٢ ص ١٩٦ ـ ١٩٧).
(4) انظر الذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٤٠٣)، والمطرب ص ١٧٣، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠)، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٧)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤ ـ ٨٥) وفيه «النوائب» بدل «المصائب».
(5) انظر الذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤)، والمطرب ص ١٧٣.

ومن شعر المعتصم في الغزل قوله (المنسرح):

يا مَنْ بِجِسْمي لِبُعْدِهِ سَقَمٌ   ما منه غَيْرُ الدُّنُوِّ يَبْرِيني

بَيْـنَ جفوني والنَّوْمِ مُعْتَرَكٌ   تَصْغُرُ عنه حروب صِفِّينِ

إنْ كان صَرْفُ الزمانِ أَبْعَدَني   عَنْكَ فَطَيْفُ الخيالِ يُدْنيني[1]

وإلى هذا الشعر نظر بهاء الدين[2] زهير بن محمد فقال من جملة قصيدة (مجزوء الرجز):

بَيْنَ جفوني والكَرَى   مُذْ غِبْتَ عنِّي مُعْتَرَكْ[3]

ويورد لنا آبن خاقان نصّاً يدلُّ على شاعريّة المعتصم وقدرته على آرتجال الشعر: وأخبرني الوزير المذكور (أي أبو خالد بَشْتَغَيْر) أنّه حضر مجلسه بالصُّمَادِحِيّة[4] في يومٍ، وفيه أعيان الوزراء ونُبَهَاء الشعراء، فقعد على موضع يتداخل الماء فيه، ويَتَلَوَّى في نواحيه والمعتصم منشرح النفس، مجتمع الأنس، فقال (البسيط):

آنْظُرْ إلى حُسْنِ هذا الماءِ في صَبَبِهْ   كأنَّه أَرقَمٌ[5] قد جَدَّ في هَرَبِهْ

فآستبدعوه، وتَيَّمُوْه به وأَوْلَعُوْهُ، فأسكب عليهم شآبيب نَدَاه، وأغرب بما أظهره من بِشْرِهِ وأَبْداهِ»[6].

كذلك أورد الأزدي نصّاً تجلّت فيه مقدرة المعتصم على قول الشعر على البديهة، فقال: خرج المعتصم يوماً إلى بعض منتزّهاته، فحلَّ بروضةٍ قد سَفَرَتْ عن وجهها

---

(١) وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠ - ٤١).

(٢) هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن عاصم المهلبي العَتَكي، الملقّب بهاء الدين الكاتب؛ من فضلاء عصره، اتّصل بخدمة السلطان الملك الصالح بالديار المصرية وكانت وفاته في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م. وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٨)، وفوات الوفيات (ج ١ ص ٤٤).

(٣) وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤١).

(٤) هي قصور المعتصم ابن صمادح، نفح الطيب (ج ٢ ص ٣٦٦) وفي الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥): «والصمادحية من بلاد الأندلس». وانظر أيضاً Los Palacios del Taifa almeriense, al-Mu'tasim, III. p.15 - 20.

(٥) الأرقم من أسماء الحيَّة، فيه سواد وبياض، والجمع أراقم، يقال للذكر ولا يقال حيّة رقماء ولكن رقشاء. المطرب ص ٣٦، ولسان العرب والقاموس المحيط مادة (رقم).

(٦) قلائد العقيان ص ٤٩ وانظر أيضاً نفح الطيب (ج ١ ص ٦٦٦) و(ج ٣ ص ٣٢٩)، والمطرب ص ٣٦، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٧)، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٦)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٥).

البهيج وتنفَّسَتْ عن مِسْكها الأريج، فتشوّق إلى الوزير أبي طالب بن غانم، أحد كبراء دولته، فكتب إليه بدهاً في وُرَيقةِ كُرْنُبٍ بِعُوْدٍ من شجرة (المخلع البسيط):

أَقْبِلْ أبا طالب إلينا وآسقُطْ سُقُوْط النَّدَى عَلَيْنَا

فنحن عِقْدٌ بغير وُسْطَى ما لم تكن حاضراً لَدَيْنَا[1]

ومِثْلُهُ قول المتوكِّل ابن الأفطس، صاحب بطليوس، يستدعي الوزير أبا طالب آبن غانم، أحد ندمائه ونجوم سمائه (المخلع البسيط):

أَقْبِلْ أبا طالب إلينا وَقَعْ وُقُوعَ النَّدَى عَلَيْنَا

فنحن عِقْدٌ بغير وُسْطَى ما لم تكنْ حاضراً لَدَيْنَا[2]

وقد أقرَّ آبنُ خاقان بشاعريّة المعتصم: «وكان له نَظْمٌ أرج النفحة، بهج الصفحة، يصف به مجالس إيناسه، ويصرفه بين ندمائه وكأسه، ولم يزل كذلك إلى أنْ نَازَلَتْه المحلاّت، وطاولَتْهُ المحلاّت، ففاضتْ نَفْسُهُ في أثناء منازلتهم جزعاً»[3]. ووصفه آبن عِذاري بقوله: «وكان من أهل الأدب والمعارف فاضلاً عاقلاً، كان لأهل الشعر عنده سوق نافقة، فقصده جمع منهم»[4]. ونعته آبن بسّام بالأمير المسالم الذي آبتعد عن الحروب وآقتصر على إقامة مجالس الأدب والأنس. يقول: «ولم يكن أبو يحيى هذا من فحولة ملوك الفتنة، أَخْلَدَ إلى الدَّعَة، وآكتفى بالضِّيق من السَّعَة، وآقتصر على قصر يَبْنِيهِ، وعِلْقٍ يَقْتَنِيه، وميدان من اللذّة يستولي عليه ويُبَرِّز فيه، غير أنّه كان رَحْبَ الفِناء، جَزْلَ العطاء، حليماً عن الدماء والدَّهماء، طافت به الآمال، وآتّسع في مدحه المقال، وأُعْمِلَتْ إلى حَضْرته الرِّحال، ولَزِمَهُ جملةٌ من فحول شعراء الوقت كأبي عبدالله بن الحداد، وأبي الفضل ابن شرف، وآبن عبادة، وآبن الشَّهِيْد، وغيرهم»[5].

(١) بدائع البدائه ص ٣٧٤. وقد ورد هذا النص مع البيت الأول في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٨ - ٣٢٩)

(٢) انظر قلائد العقيان ص ٤٦. وفي نفح الطيب (ج ١ ص ٦٦٦) و(ج ٤ ص ١٥٥) آختلاف يسيرٌ عمّا هنا

(٣) قلائد العقيان ص ٤٧.

(٤) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨).

(٥) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٢ - ٧٣٣). وورد هذا النص مقولاً عن آبن بسام في المغرب (ج ٢ ص ١٩٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠ - ١٩١)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥). وورد في الحلة السيراء (ح ٢ ص ٨٢) منسوباً إلى أبي عامر محمد بن أحمد بن عامر السالمي كما ورد غير كامل في وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠)، والوافي بالوفيات (ح ٥ ص ٤٥) دون أن يشير صاحباهما إلى آبن بسام.

وهكذا كان المعتصم من أهـل الأدب، يرتاح للشعر كثيراً، فهتفتْ بآسمه المُدّاح وصار مَرْمَى جِمَارِ مدائحهم، على حد قول آبن خاقان: مَلِكٌ أقام سوقَ المعارف على ساقها، وأبدع في آنتظام مجالسها وآتّساقها.. وكانت دولته مشرعاً للكرم، ومطلعاً للهمم، فلاحتْ بها شموس، وآرتاحت فيها نفوس، ونفقتْ فيها أقدار الأعلام، وتدفَّقَتْ بحار الكلام»[1] وقول الذهبي: «وقد امتدحه جماعة من فحول الشعراء»[2].

وذهب آبن الأبّار إلى أنّ المعتصم كان قليل العطاء، إلاَّ أنّه كان مقصد أهل العلم والأدب: «رغم آتّصافه بكثرة الجُبْن وقلّة الجُوْد؛ وعلى ذلك قَصَدَهُ العلماء والأدباء»[4]. وتحدّث آبن الأثير عن صِيْتِهِ بين رجالات العلم والأدب فقال: فلمّـا كبر أخذ نفسه بالعلوم ومكارم الأخلاق، فآمتدَّ صِيْتُه، وآشتهر ذكره، وعظم سلطانه، وآلتحق بأكابر الملوك[4]. وقال الحجازي في وصفه: «مَلِكٌ تَمَلَّكَهُ الإحسان، وأَطْلَعَهُ الفضل غُرّةً في وجه الزمان، فكأنَّ أبا تمّام غَنَاهُ بقوله (المنسرح):

تَحْمَلُ أَشْباحَنَا إلى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مالِهِ ومِنْ أَدَبِهِ[5]

فهتفتْ بآسمه المُدّاح، ومن المجد له عطف آرتياح»[6]. وقال فيه أشباخ: «وقد اشتهر في جميع أنحاء الجزيرة بمحبته للعلوم والفنون والآداب، وكان ينافس في هذا المضمار أعظم العلماء والشعراء والأمراء في عصره[7].

ب ـ دور أولاد المعتصم في النشاط الأدبي: إذا كان المعتصم شاعراً مجيداً فقد كان بنوه أيضاً شعراء مطبوعين، نخصُّ بالذكر منهم رفيع الدولة أبا زكريّا يحيى ابن المعتصم ويكنى أيضاً أبا يحيى وهي كنية والده، وعزّ الدولة أبا مروان عبيد الله ابن المعتصم، وأبا جعفر أحمد ابن المعتصم، وأمّ الكرم وقيل: أم الكرام بنت المعتصم. ولقد آفتخر

(١) قلائد العقيان ص ٤٧. وانظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٦) حيث ورد نص آبن خاقان ناقصاً.

(٢) سير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٥٩٤).

(٣) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٣)

(٤) الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩٢).

(٥) البيت من قصيدة قالها أبوتمام يمدح أبا الحسن محمد بن عبدالملك بن صالح الهاشمي ورواية صدره في ديوان أبي تمام ص ٥٠ هكذا: ترمي بأشباحنا إلى مَلِكٍ.

(٦) انظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٦).

(٧) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ص ٩٨).

بهم أهل الأدب، فقال آبن بسام في رفيع الدولة: «وأبو يحيى فَجْرُ ذلك الصباح، وضَوْءُ ذلك المصباح. . وله أدب كالروض إذا زهر، والصبح إذا آشتهر، وَقَفَهُ على النسيب، وصَرَفَهُ إلى المحبوبة والحبيب»(١). وذكر آبن الأبّار محاسنه في الشعر بقوله: «ولم يكن في بني صمادح أشعر منه»(٢). ووصف المقّري نظمه بالرائق(٣).

أمّا عزّ الدولة، فقد وصفه المقّري. نقلاً عن الشَّقُنْدي، بقوله: «إنَّ عِزَّ الدولة أشعر من أبيه»(٤).

كذلك جَرَى أبو جعفر أحمد ابن المعتصم في الشعر مَجْرَى أبيه وإخوته، فأَحْسَنَ في النِّظَام إحساناً أوجب أنْ يُنَبَّه عليه، فمن ذلك قوله (الوافر):

أتى بالبَدْرِ مِنْ فَوْقِ القَضِيْبِ ... فطارتْ نحوه طَيْرُ القلوبِ(٥)

وأمُّ الكرم بنت المعتصم، التي آعتنى والدُها بتأديبها حتى نظمت الشعر والموشّحات.

ولقد أورد المؤلِّفون الأندلسيّون لها شعراً قالتْهُ في فتىً عَشِقَتْهُ وهو من فتيان قصر أبيها ويعرف بالسُّمّسار(٦).

ج ـ شعراء ألمريّة في عهد المعتصم: الشعراء الذين قصدوا المعتصم كُثُر، وعلى رأسهم:

١ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم المعروف بالحداد، القيسي النّمَيْري(٧):

وُلد في وادي آش، إلاَّ أنّه آستوطن ألمريّة منذ طفولته، وقضى فيها أكثر عمره،

---

(١) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٧).

(٢) الحلة السيراء (ج ٢ ص ٩٢).

(٣) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٩).

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المغرب (ج ٢ ص ٢٠٠). وقد ورد آسم أبي جعفر في المطرب ص ٣٧، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٧٠).

(٦) راجع الشعر ص ٨٠ عند الحديث عن «نساء ألمريّة».

(٧) انظر ترجمته في مسالك الأبصار (ج ١١ الورقتان ٤٠٠ ـ ٤٠١)، والأفضليات (ج ١ الورقة ٣٩)، وعقود الجمان (ج ٣ الورقة ٢٦٢)، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩١)، ومطمح الأنفس ص ٣٣٦، ووفيات=

ولازم بَلَاط بني صمادح فاشتهر بمدح رؤسائهم. ثم خرج مُكْرَهاً عن ألمريّة فتوجَّه إلى مرسية وسرقسطة وذلك في سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م. وفي سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م، عاد إلى ألمريّة فبقي فيها قاصراً أمداحه على أميرها، إلى أنْ توفي في حدود الثمانين والأربعمائة. وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ مُبَوَّبٌ على حروف المعجم، تناول فيه مختلف الأغراض الشعريّة. ولقد صدرت معظم مِدَحِهِ في المعتصم آبن صمادح، وكان فيها طويل النَّفَس الشعري بحيث تجاوز كثيرٌ منها المئة، ومنها ما نَيَّفَ على الأربعمائة كهمزيّته[1] التي قالها في المعتصم وآستفتحها بالغزل، وأولها (البسيط):

أَرَبْرَبٌ بالكثيبِ آلفَرْدِ أَمْ نَشَأ؟ ومُعْصِرٌ في اللِّثَمِ الوَرْدِ أَمْ رَشَأُ[2]؟

ومنها:

حَوَى الْمَحَاسِنَ في قَوْلٍ وفي عَمَلٍ فَمِثْلِ مَهْنَئِهِ الأَمْلَاكُ ما هنأُوا[3]
وللثُّغُوْرِ بِذِكْرَى عَدْلِهِ وَلَعٌ وللقلوبِ لِمَثْوَى حُبِّهِ لَطَأُ[4]

= الأعيان (ج ٥ ص ٤١)، وفوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣)، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦)، والتكملة لكتاب الصلة (ج ١ ص ٣٩٨)، والذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٣)، ورايات المبرزين ص ٧٤، وفي النصّ الإسباني ص ٢٣٤، والمقتضب من تحفة القادم ص ١٧٤، والمحمدون من الشعراء ص ٩٩، والإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٣)، والإحاطة التي لا تحمل أسم المحقق (ج ٢ ص ٢٥٠)، ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٢٥١)، وبدائع البدائه ص ٣٦٥، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٨ - ٤٩) و(ج ٧ ص ٢٦)، وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠١ - ٦٠٢)، وكشف الظنون (ج ١ ص ٧٦٥)، وهدية العارفين (ج ٢ ص ٧٥) ودائرة المعارف (ج ٢ ص ٤٣٩)، ومعجم المؤلفين (ج ٨ ص ٢٩١)، والأعلام (ج ٥ ص ٣١٥) ومقدمة ديوان ابن الحداد الأندلسي و Encyclopédie de l'Islam V.III. p 799.

(١) ورد منها ما يزيد على الثمانين بيتاً في الخريدة طبعة الدار التونسية (ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤، ٢٨٣ - ٢٨٧) وفي طبعة دار نهضة مصر ص ١٨١، ١٩٥ - ٢٠٥. وهي في ديوان ابن الحداد الأندلسي ص ١٠٨

(٢) يتساءل الشاعر هنا، جَرْياً على عادة الشعراء الجاهليين فيقول: اصحيح أنني أَلْمَحُ حسناوات يَتَجَمَّعْنَ في ذلك الكثيب وبينهنَّ فتاتي التي هَفَا لها قلبي؟ مِشَبِّهاً فتياتِ الحيّ بالرَّبْرَبِ بجامع آتّساع العيون وحسنها، ومُشَبِّهاً محبوبته، وهي تشدُّ اللِّثَامَ على فمها خفرةً وتناد بخصرها النحيف، بظبي أخذه النشاط واللَّعِب.

(٣) يقول: إنَّ ملوك الطوائف لم يَهْنِئوا كما هَنَأَ المعتصم.

(٤) يقول إنَّ جميع الناس مُوْلَعُوْنَ بالحديث عن عدل المعتصم؛ لأنهم شديدو التعلُّق به.

وله همزّية[1] ثانية أكثر من مائة بيت، قالها في المعتصم وآستفتحها بالغزل، وأولها (الطويل):

لَعَلَّكَ بالوادي المُقَدَّسِ شاطِئُ فكالعَنْبَرِ الهِنَدِيِّ ما أنا واطِئُ

ومنها:

ولولا عُلَى المَلْكِ آبنِ مَعْنٍ مُحَمَّدٍ لَمَا بَرِحَتْ أَصْدافَهُنَّ اللآلِئُ[2]

٢ ـ أبو الفضل جعفر بن أبي عبدالله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي البَرْجي القيرواني[3]:

ولد في القيروان سنة أربع وأربعين وأربعمائة / ١٠٥٢ م، وخرج منها عند آشتداد فتنة العرب عليها سنة سبع وأربعين وأربعمائة / ١٠٥٥ م إلى الأندلس، وآستوطن بَرْجَة من ناحية ألمرِيّة. وقيل: دخل الأندلس مع أبيه وهو آبن سبع سنين، وقيل: ولد في بَرْجَة. اشتهر بمدح المعتصم ابن صمادح، فقصر أمداحه عليه، وكان من جُلَّة الأدباء وكبار الشعراء. ولقد أطنب الحجاري في الثناء عليه، وعَظَّمَه في الشعر. كانت وفاته سنة أربع وثلاثين وخمسمائة. حكى المقّري أنَّ آبن شرف، لَمَّا وَفَدَ من بَرْجَة على المعتصم، أنشده قصيدته الفائقة وأولها (الرمل):

مَطَلَ اللَّيْلُ بِوَعْدِ الفَلَقِ وتَشَكَّى النَّجْمُ طُولَ الأَرَقِ
ضَرَبَتْ رِيحُ الصَّبَا مِسْكَ الدُّجى فَآسْتَفَادَ الروضُ طِيبَ العَبَقِ

---

(١) ورد منها ما يزيد على الثلاثين بيتاً في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٩ ـ ٧١١)، والخريدة طبعة الدار التونسية (ج ٢ ص ٢٧١ ـ ٢٧٣)، وطبعة دار نهضة مصر(ص ١٧٧ـ ١٨٠)، ومسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٢)، ومطمح الأنفس(ص ٣٤٠ـ ٣٤١)، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤١ ـ ٤٢)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٣).

(٢) يريد أن يقول: إنَّ اللآلىء لم تترك أصدافَها إلاَّ لِتُقَدَّمَ إليك، أيُّها الملك، احتراماً لِعُلاك وتقديساً لمجدك. وبمعنى آخر، إنَّ لآلىءَ شعري، أي قصائدي المدحيّة، لم تُقَدَّمْ لغيرك من ملوك العصر.

(٣) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٨٦٧ ـ ٨٨٦)، وبغية الملتمس ص ٢٥٦، وقلائد العقيان ص ٢٥١ ـ ٢٥٨، والصلة (ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٠)، والمطرب ص ٦٦ ـ ٦٧، ٧١، والمغرب (ج ٢ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦)، والأعلام (ج ٢ ص ١٢٨)، و Poemas arábigoandaluces, p.35. et Historia de la literatura arábigoespañola, p.23.

ومنها:

يا بَنِي مَعْنٍ لقدْ ظَلَّتْ بِكُمْ شَجَرٌ لَوْلاَكُمُ لَمْ تُورَقِ

ولَمَّا سمعها المعتصم لعبثَ بآرتياحه، وحَسَدَهُ بعضُ مَنْ حَضَرَ، وعلى رأسهم آبن أخت غانم[1]. وأحسن ما قاله آبن شرف في المعتصم هذا البيت الذي يعبِّر فيه عن قدرة فائقة في النظم، حيث يربط المديح بالغزل (البسيط):

لم يَبْقَ للجَوْرِ في أيامِكُمْ أثَرٌ إلاَّ الذي في عيونِ الغِيْدِ مِنْ حَوَرِ[2]

وعلّق آبن سعيد على هذا البيت بقوله: لَمّا سمع الحجاري هذا البيت أطنب في الثناء على قائله وعظَّمه في الشعر[3].

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشّاح المالقي، المعروف بآبن القزاز[4]:

هو من صدور الأدباء، ومشاهير الشعراء الألِبَّاء، أكثر ما آشتهر آسمه في أوزان الموشحات التي كثر آستعمالها عند أهل الأندلس، وهو أول من برع فيها، وكان له باع فسيح في طريقتها. اختصّ بالمعتصم ابن صمادح وكان شاعره، ومن شعره فيه قوله (الطويل):

ولو لم أكنْ عَبْداً لآلِ صُمَادحٍ وفي أرضهمْ أَصْلي وعَيْشي وَمَوْلدي

لما كان لي إلاَّ إليهمْ تَرَحُّلٌ وفي ظِلِّهِمْ أُمْسي وأُضحي وأَغْتَدِي[5]

---

(١) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٥)، وانظر أيضاً الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٨٦٩ ـ ٨٧٢)، والمغرب (ج ٢ ص ٢٣٠).

(٢) انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٣٢).

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها. وقد ورد البيت في نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٧) منسوباً إلى والد أبي الفضل.

(٤) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٠١ ـ ٨٠٥)، والمغرب (ج ٢ ص ١٣٤)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١١، ٤٩٢) و(ج ٤ ص ١٣، ١٠٣) و(ج ٧ ص ٦)، وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥) وفيه: أبو بكر المعروف بالقزاز، وأخبار وتراجم أندلسية ص ٧٦ وفيه أنه عُبادة بن محمد بن عُبادة القزاز، وعبادة، كما هو معلوم، هو ابن أبي عبدالله محمد المترجم له. وتاريخ ابن خلدون (م ١ ص ١١٣٨) وفيه: عبادة القزاز شاعر المعتصم ابن صمادح.

(٥) نفح الطيب (ج ٣ ص ٤١١).

وقوله أيضاً (المتقارب):

نَفَى الحُبُّ عن مُقْلَتيَّ الكَرَى كما قد نَفَى عن يَدَيَّ العَدَمْ
فقد قَرَّ حُبُّكَ في خاطري كما قَرَّ في راحتَيكَ الكَرَمْ[1]

٤ ـ أبو حفص عمر بن الشَّهيد التجيبي[2]:

شاعر ألمريّة في زمانه، وفارس النظم والنثر في وقته، اقتصر على المعتصم ملك بلده، فكان وزيره وكاتبه، وكانت وفاته بعد الأربعين وأربعمائة / بعد ١٠٤٨ م. ومن مدائحه في المعتصم قوله في قصيدة (الكامل):

تَفْدِيْكَ أَنْفُسُنا التي أَلْبَسْتَها حُلَلاً مِن النُّعْمَى، وكُنَّ عواطِلاَ
لا عَيْشَ إلاَّ حَيْثُ أنتَ وإنَّما تمضي ليالي العُمْرِ بَعْدَكَ باطِلاَ[3]

وقوله فيه وقد أبدع حين جعل مُحَيّاهُ، أكثر جمالاً من الروض وقد تحلّى بِنَورِهِ (الطويل):

وأَحْسَنُ مِنْ رَوْضٍ تَحَلَّى بِنَورِهِ مُحَيَّا آبنِ مَعْنٍ في حُلِيِّ الفضائلِ[4]

٥ ـ أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم بن بِلّيْطَة[5]:

شاعر أندلسي بليغ، وأحد فحول شعراء الأندلس في زمانه. وقد ترجم له آبن بسام فقال فيه: «وتردَّدَ بأقطار الجزيرة شرقاً وغرباً، وكان بها في وقته أحدَ الغرائب، وأعجوبةً في عيون العجائب. وكان بعيدَ الهِمَمِ، بليغاً بالسيف والقلم، تردَّدَ على ملوك

---

(١) نفح الطيب (ج ٤ ص ١٠٣).

(٢) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١م ٢ ص ٦٧٠ ـ ٦٩١)، وجذوة المقتبس ص ٣٠٢، وبغية الملتمس ص ٤٠٧، والمغرب (ج ٢ ص ٢٠٩)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣).

(٣) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٨٦)، والمغرب (ج ٢ ص ٢٠٩)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣).

(٤) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٨٧).

(٥) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٩٠ ـ ٨٠١)، وجذوة المقتبس ص ١٧٦، وبغية الملتمس ص ٢٤٣، ومطمح الأنفس (ص ٣٤١ ـ ٣٤٤)، والمغرب (ج ٢ ص ١٧)، والمطرب ص ١٢٦، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥١ ـ ٥٢)، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٢ ـ ٤٥) وفيه أنّ «بِلّيطة» هو والد أبي القاسم الأسعد الشاعر و .Poemas Arábigoandaluces, p. 35

الطوائف بالأندلس فارسَ جحفل، وشاعرَ محفل»[1]. وعن وفاته قال الحميدي: «كان الأسعد حيّاً قبل الأربعين وأربعمائة»[2]. وقال الضَّبِّي: «توفّي في حدود أربعين وأربعمائة»[3]. ونحن بدورنا نشكُّ في صِحّة هذين القولين؛ لأنَّ آبن بِلّيْطة خصَّ المعتصم بقصائد مديح، والمعتصم، كما نعلم، تسلَّم الإمارة بعد موت أبيه في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة / ١٠٥١ م. وإذا وافقْنا الحُمَيْدي والضَّبِّي رأييهما يكون آبن بليطة قد أقدم على مدح المعتصم قبل تسلّمه إمارة ألمريّة. ومن مدائح آبن بليطة في المعتصم قوله من قصيدة طويلة مقدار تسعين بيتاً (الطويل):

كأنَّ أبا يَحْيى بن مَعْنٍ أَجادَها فَعَلَّمَها مِنْ كَفِّه الوَكْفَ والبَسْطَا
إذا سارَ سارَ المَجْدُ تَحْتَ لوائِهِ فليس يَحُطُّ المَجْدُ إلاّ إذا حَطَّا[4]

٦ ـ أبو محمد بن مالك القرطبي[5]:

أديب بارع في الشعر والنثر، وفرد من أفراد الشعراء والكُتّاب، وبحر من بحور المعارف والآداب. أقام بألمريّة مدّة تحت ضَنْكِ معيشةٍ مع عدّة مدائح رفعها لأميرها المعتصم، فلمّا كان يومُ عيدٍ أنشده شعراً قال فيه (الطويل):

أَمُعْتَصِماً بالله، يا خَيْرَ مَوْئِلٍ وأَكْرَمَ مأمولٍ وأَفْضَلَ واهِبِ
مَضَى الفِطْرُ والأَضْحَى ولا نَيْلَ يُقْتَضَى فَلِمَ أَخْفَقَتْ وَحْدي إليكَ مطالبي[6]؟

٧ ـ **ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمّار الشَّلْبي**[7]: هو شاعر مشهور وهجّاء

---

(١) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٩١).

(٢) جذوة المقتبس ص ١٧٦.

(٣) بغية الملتمس ص ٢٤٣.

(٤) وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٣)، وورد البيت الأول في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٠٠) وفيه: «أجازها» بدل «أجادها». وورد البيت الثاني في نفح الطيب (ج ٤ ص ١٠٠). وفيه «الجود» بدل «المَجْد»

(٥) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٩ ـ ٧٥٣)، وقلائد العقيان ص ١٦٩ ـ ١٧٠، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٧٤ ـ ٦٧٥)، وتاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ص ٣١١.

(٦) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٤٠).

(٧) انظر أخباره في بغية الملتمس ص ١١٣، وقلائد العقيان (ص ٨٣ ـ ٩٨)، والمعرب (ج ١ ص ٣٨٩ ـ ٣٩١)، ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٢٥)، والمطرب ص ١٦٩، والمعجب ص ٦٨ ـ ٨٠، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٥٩ ـ ١٦١)، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٥٢ ـ ٦٥٦)، والأعلام (ج ٦ =

كانت ملوك الطوائف تخاف منه لبذاءة لسانه. ولقد آشتمل عليه المعتمدُ ابن عباد، ملك إشبيلية، وأنهضه جليساً وسميراً، وقدّمه وزيراً ومشيراً، ثم آستنابه على مرسية لضبطها بعد أنْ كاتَبَهُ أهلُها يستدعونه إليها إثْرَ خروج خيران العامري منها وتغلّب أبي عبدالرحمن بن طاهر، أحد أعيانها، عليها، فَسَوَّلَتْ لابن عمّارٍ نَفْسُهُ الانفرادَ بمرسية وتملُّكها، فتلطّف المعتمدُ في الحيلة معه إلى أنْ وقع في يده، فسجنه في بيت في قصره وضَرَبَهُ بِطَبَرزِيْنٍ شقَّ به رأسه، وذلك في سنة سبع وسبعين وأربعمائة / ١٠٨٤ م. ولابن عمّار يعتذر من وداعه للمعتصم ابن صمادح (الطويل):

أَمُعْتَصِماً باللهِ، والحَرْبُ تَرْتَمي بأبطالها والخَيْلُ بالخيلِ تَلْتَقي
دَعَتْني المَطَايَا للرحيلِ وإنّني لأَفْرَقُ مِنْ ذِكْرِ النَّوى والتَّفَرُّقِ
وإنّي إذا غَرَّبْتُ عنكَ فإنّما جَبِيْنُكَ شَمْسي والمريةُ مَشْرِقي[1]

٨ ـ أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري، المعروف بالسُّمَيْسر[2]:

شاعر معروف بهجائه المقذع. كان من شعراء إلبيرة (غرناطة)، ثم غادرها؛ لأنّه لم يُطِقِ العيشَ في ظلّ أمرائها بني زيري، ولجأ إلى بَلَاط المعتصم بألمريّة. كان له تصرّفٌ مستحسن في مقطوعات الأبيات، وخاصة إذا هَجَا وقدح، وكان له مذهب آستفرغ فيه مجهود شعره من القَدْح في أهل عصره، فكان هَجْوُهُ أكثر من مدحه. توفّي في حدود الثمانين وأربعمائة / ١٠٨٧ م.

حكى المقّري أنَّ السميسر مدح بعض رؤساء ألمريّة، فلم يُجِزْهُ على مدحه، فصنع ذلك الرجلُ دعوةً للمعتصم ابن صمادح وآحتفل فيها، فصبر السميسرُ إلى أنْ

= ص ٣١٠ ـ ٣١١)، و Poemas Arábigoandaluces, p 35

وللدكتور صلاح خالص مؤلَّف عنه جمع فيه شعره وهو بعنوان «محمد بن عمار الأندلسي» (بغداد ١٩٥٧).

(١) قلائد العقيان ص ٤٧، والمطرب ص ١٧٣.

(٢) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٨٢)، والمعرب (ج ٢ ص ١٠٠)، والمطرب (ص ٩٣) وأخبار وتراجم أندلسية (ص ٢٨، ٣)، والخريدة (ج ٢ ص ١٦٧) طبعة الدار التوسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٥، ونفح الطيب في صفحات متفرقة، والأعلام (ج ٢ ص ٣١١) و Poemas Arábigoandaluces, p.35 et Historia de la literatura arábigoespañola, p.23.

ركب المعتصمُ متوجِّهاً إلى الدعوة، فوقف في الطريق، فلمّا حاذاه الملك رفع صوته بقوله (البسيط):

يـا أيها الملك الميمـون طـائـرُهُ　　　وَمَنْ لِذي مَأْتَمٍ في وجهه عرسُ؟
لا تُفْـرَسَنَّ طعاماً عنـد غَيْـرِكُمْ　　　إنَّ الأَسْوَدَ على المأكول تَفْتَرِسُ

فقال المعتصم: صدق والله، وَرَجَعَ من الطريق، وفسد على الرجل ما كان عمله[1].

٩ ـ أبو جعفر أحمد بن الجزار البَطَرْني[2]:

ينسب إلى بَطَرْنة من قرى بلنسية، وقد آقتصر على مدائح المعتصم ممّا أغاظ صاحبه الكاتب أبا عامر أحمد بن غرسيّة، أحد أبناء نصارى البشكنس، فآستدعاه آبن غرسيّة من خدمة المعتصم معاتباً له لتركه مدح مجاهد العامري مَلِكِ بلاده وآقتصاره على مدائح المعتصم. وآبن الجزار هو الذي أثار آبن غرسيّة إلى كتابة رسالته في الشعوبيّة، وعارضه آبن الجزار برسالة تنـاظرهـا. وقد فضَّله صـاحب «المُسْهِب»، وأطنب في تقديمه بقوله في مدح المعتصم (الطويل):

وما زِلْتُ أَجْني مِنْكَ، والـدَّهْرُ مُمْحِـلٌ　　　ولا ثَـمَـرٌ يُجْـنَـى ولا زَرْعَ يُـحْـصَـدُ
ثِـمَـارَ أيـادٍ دَانِـيَـاتٍ قُـطُوْفُـهـا　　　لأغْـصَـانِـهـا ظِـلٌّ عـلـيَّ مُـمَـدَّدُ
يُـرَى جـاريـاً مـاءُ المَكَـارِمِ تَحْتَـهُ　　　وأَطْيَـارُ شُكْـرِي فَـوْقَـهُنَّ تُـغَـرِّدُ[3]

وحكى المقّري أنَّ أبا جعفر قال هذه الأبيات في المعتصم بحضور عدد من شعرائه، وعلى رأسهم عمر بن الشَّهِيْد، وأنَّ المعتصم آرتاح لها لمَّا سمعها وأجازَ صاحِبَها بجائزتين[4].

---

(١) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١).

(٢) انظر ترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦، ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، والذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٧٠٤)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣)، وورد آسمه في المصدرين الأخيرين: ابن الخراز.

(٣) انظر المغرب (ج ٢ ص ٣٥٦) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣)

(٤) نفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣).

١٠ ـ ذو الوزارتين الوشّاح أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن سعد بن أحمد بن حسن بن الحاج اللورقي[١]:

عَيْنُ مدينة لُوْرقة، ومن أهل بيت جلالة ووزارة وفضل وكرم. كان مقدّماً في النثر والنظم. أقام زمناً على المُدامة معتكفاً، ثم نسك وعفّ وأمسك عن الشهوات وكفّ. قصد بني عباد بإشبيلية، فأخفق لاشتغالهم عنه، فآرتحل عنهم منشداً (الطويل):

تَعَزَّ عن الدُّنْيا ومَعْرُوْفِ أَهْلِها   إذا عُدِمَ المعروفُ في آل عَبّادِ
أَقَمْتُ بِهِمْ ضَيْفاً ثلاثة أشهرٍ   بغير قِرًى ثمَّ آرتحلْتُ بلا زادِ[٢]

وقصد المعتصم ابن صمادح فأكرمه وجَلّه، وقد أورد له المقّري مخمّسة رَثى فيها المعتصم، ومنها (الرجز):

تَنْتَحِبُ الدُّنْيَا على آبنِ مَعْنِ   كَأَنَّها ثَكْلَى أُصِيْبَتْ بآبنِ
أَكْرَمِ مأمولٍ ولا أَسْتَثْنِي   أُثْنِي بِنُعْمَاهُ ولا أُثَنِّي
والروضُ لا يُنْكِرُ معروفَ المَطَرْ

عَهْدِي به والمُلْكُ في ذِمَارِهِ   والنَّصْرُ فيما شاءَ من أَنْصارِهِ
يَطْلُعُ بَدْرُ التِّمِّ من أَزْرارِهِ   وتَكْمُنُ العِفَّةُ في إزارِهِ
ويَحْضُرُ السُّؤْدُدُ أيّانَ حَضَرْ[٣]

١١ ـ الوزير الكاتب أبو الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن أرقم النُّمَيْري الوادي آشي[٤]:

أقام بدانية مدّة عند إقبال الدولة علي بن مجاهد العامريّ، ثم صار إلى

(١) انظر ترجمته في بغية الملتمس (ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩) والمغرب (ج ٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٨١)، والمطرب (ص ١٧٥ ـ ١٧٧)، وقلائد العقيان (ص ١٣٩ ـ ١٤٣)، ونفح الطيب (ج٢ ص١٠٨) و(ج ٣ ص ٢٥٩) و(ج ٤ ص ٢٢٦)

(٢) انظر قلائد العقيان ص ١٤٣، والمغرب (ج ٢ ص ٢٨٠)، والمطرب ص ١٧٧، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٢٦).

(٣) نفح الطيب (ج ٤ ص ١٠٥)

(٤) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٣ م ١ ص ٣٦٠)، وقلائد العقيان ص ٨، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٩٨)، والتكملة لكتاب الصلة رقم ١٧٣٥، والأعلام (ج ٤ ص ٢٥)

المعتصم ابن صمادح،وكان من وجوه رجاله ونبهاء أصحابه. عُدَّ أحد كُتّاب الجزيرة المَهَرة، وكانت وفاته نحو ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م. وعن وفائه للمعتصم حكى المقري أنَّ المعتصم أرسل وزيره أبا الأصبغ إلى المعتمد ابن عباد رسولاً، فأعجبتِ المعتمدَ محاولَتُهُ، ووقع في قلبه، فأراد إفساده على المعتصم، وأخذ معه في أنْ يقيم عنده، فقال له أبو الأصبغ: ما رأيْتُ من المعتصم ما أكره، ولو رأيْتُ ما أكره لما كان من الوفاء تركي له في حِيْنَ فَوَّضَ إليَّ أمره، ووثق بي، وحَمَّلني أعباء دولته، فآستحسن ذلك آبن عباد وقال له: أُكْتُمْ عليَّ، فلما عاد أبو الأصبغ إلى ألمريّة أَعْلَمَ المعتصمَ بما جرى له مع المعتمد[1].

١٢ ـ الوزير أبو محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني، المعروف بآبن اللبانة[2]:

ينسب إلى أمِّه لاشتغالها ببيع اللبن. وكان أديباً شاعراً، مديد الباع، فريد الانطباع، مرصوص المباني، ممتزج الألفاظ والمعاني. تردَّد على ملوك الطوائف، وكان من كبراء دولة المعتصم ابن صمادح، إلاَّ أنَّه خيَّم أخيراً في ذَرَى المعتمد ابن عباد، وصار أحد شعراء دولته المرتضعين دِرَرَها، المنتجعين دُرَرَها. كانت وفاته بميورقة في سنة سبع وخمسمائة/ ١١١٣ م. ومن شعره قوله في المعتصم (الطويل):

أَلاَ يا آبن مَعْنٍ، ما لِمَجْدِكَ غايةٌ ... ولا لمكانٍ أنتَ فيه مَرَامُ
قد آتَّفَقَتْ فيكَ المذاهبُ كُلُّها ... فلم يَبْقَ في شَرْعِ الكِرامِ خِصَامُ[3]

(١) نفح الطيب (ج ٣ ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، وانظر أيضاً قلائد العقيان ص ٨، ففيه شيء من ذلك.

(٢) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٦٦٦ ـ ٧٠٢)، وبغية الملتمس (ص ١٠٩ ـ ١١٠)، وقلائد العقيان (ص ٢٤٤ ـ ٢٥١)، والمغرب (ج ٢ ص ٤٠٩ ـ ٤١٦)، والتكملة (ج ١ ص ٤١٠ ـ ٤١١)، والمعجب ص ٩٣، والمطرب ص ١٧٨ ـ ١٧٩)، والوافي بالوفيات (ج ٤ ص ٢٩٧)، وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٢٧ ـ ٣١)، وجيش التوشيح (ص ٥٩ ـ ٧٢)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٢٢)،وصفحات أخرى متفرقة، والأعلام (ج ٦ ص ٣٢٢).

(٣) الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٦٩٩).

١٣ ـ ذو الوزارتين الأديب أبو الوليد آبن الحضرمي البَطَلْيَوْسي، المشهور بالنَّحْلي:

باقعة دهرِهِ، ونادرة عصره[1]، ولقد أورد له المقّري شعراً قاله في المعتصم مع حكاية طريفة[2].

١٤ ـ الفقيه الكاتب البليغ والأديب الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله ابن خفاجة[3]:

أوحد الناس في وصف الطبيعة، وعين جزيرة شُقْر Alcira من أعمال بلنسية. ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة / ١٠٥٩ م، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة / ١١٣٨ م. وهو إذا تعرّض لاستماحة أمراء المرابطين ومدَحَهُمْ بغير قصيد فإنّه لم يمدح من ملوك الطوائف إلاّ المعتصم، ورغم ذلك لم يَخُصَّه إلاّ بقصيدة واحدة قالها في أحد مجالس المعتصم. جاء في الديوان أن المعتصم أحضر مَجْلِسَهُ في بعض ليالي أُنْسِهِ صورةً حسنة قد رُكِّبَتْ من رَيْحَانٍ في هيئة جارية، ثم طُيِّبَتْ وقُلِّدَتْ، وأَمَرَ مَنْ حَضَرَ من الشعراء بوصفها، فقال آبن خفاجة في ذلك (الطويل):

أَمَا وآعتزازِ الضَّيْفِ والسَّيْفِ والنَّدَى ... بِخَيْرِ مَلِيْكٍ هَشَّ في صَدْرِ مَجْلِسِ
بَدَا بَيْنَ كَفٍّ للسَّمَاحِ مُغِيْمَةٍ ... تَصُوْبُ، وَوَجْهٍ للطَّلاَقَةِ مُشْمِسِ
لقد زَفَّ بِنْتاً للخميلةِ طِفْلَةً ... يَهُزُّ إليها الدَّسْتُ[1] أَعَطَافَ مُعْرِسِ
تَنُوْبُ عن الحَسْنَاءِ والدارُ غُرْبَةٌ ... فما شِئْت مِنْ لَهْوٍ بها وتَأَنُّسِ[2]

---

(١) الذخيرة (ق ٢ م ٢ ص ٨٠٩)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٣٤، ٣٣١).

(٢) ورد هذا الشعر وتلك الحكاية في «سيرة المعتصم ابن صمادح» ص ٥٨.

(٣) انظر ترجمته في قلائد العقيان (ص ٢٣٠ ـ ٢٤١)، ومطمح الأنفس ص ٣٤٨، والذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٥٤١ ـ ٦٥٢)، والمغرب (ج ٢ ص ٣٦٧ ـ ٣٧١)، والمطرب ص ١١١ ـ ١١٨، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ٥٦ ـ ٥٧)، وبغية الملتمس (ص ٢١٦ ـ ٢١٧)، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٧٧ ـ ٦٨١) و(ج ٣ ص ٤٨٨)، وصفحات أخرى متفرقة، والروض المعطار (ص ٩٧ ـ ٩٨، ٣٤٩)، والأعلام (ج ١ ص ٥٧)، ومقدمة ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور مصطفى غازي، وطبعة دار بيروت.

(٤) الدَّسْت هنا بمعنى المجلس، وهي في الأصل فارسيّة أخذتها العرب وتصرَّفَتْ بها، والجمع دُسُوْت.

(٥) ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور مصطفى غازي ص ١٥٥، والأبيات وردت في ديوان ابن خفاجة طبعة دار بيروت ص ١٤٨ باختلاف يسير عمّا هنا، ودون أن تشير هذه الطبعة إلى المناسبة التي قيلت فيها الأبيات، ولا فيمن قيلت.

د ـ الشعراء يشيدون بألمريّة: لهجت الشعراء بذكر ألمريّة، فقال فيها آبن درّاج[1] القَسْطَلّيّ، مفتخراً بخليجها الشديد الاتّساع، وبقصرها الذي بناه خيران العامري، وعرف ببهو خيران، وذلك من قصيدة قالها في خيران في سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م (الطويل):

متى تَـلْحَظُوا قَصْرَ المريَّةِ تَظْفَـرُوا ... بِبَحْرٍ حَصَى يُمْنَاهُ دُرٌّ ومَرْجَانُ[2]

وَتَسْتَبْدِلُوا مِنْ مَوْجِ بَحْرِ شَجَاكُمُ ... بِبَحْرٍ لَكُمْ منه لُجَيْنٌ وعِقْيَانُ[3]

وأنشد فيها أحد الشعراء (الكامل):

أرضٌ وَطِئْتُ الدُّرَّ رَضْراضاً بها ... والتُّرْبَ مِسْكاً والرياضَ جِنَانا[4]

وغايرهما السُّمَيْسر فوقف منها موقفاً معادياً، فقال (المجتثّ):

بِئْسَ دارُ المريّـة اليومَ داراً ... ليس فيها لساكنٍ ما يُحَبُّ

بَلْدَةٌ لا تُمَارُ إلاّ بِرِيْحٍ ... رُبَّمَا قد تَهُبُّ أَوْ لاَ تَهُبُّ[5]

وقد علّق المقّري على هذين البيتين بقوله: «يشير إلى أنّ مرافقها (أي مرافق

---

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج الأندلسي القَسْطَلّي، كاتب المنصور بن أبي عامر وشاعره، وأحد فحول الشعراء والعلماء المذكورين من البلغاء. كان بصُقْع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام، وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة / ١٠٣٠ م. له ديوان شعر نشره الدكتور محمود مكي (دمشق ١٩٦١). راجع جذوة المقتبس ص ١١٠ ـ ١١٤، وبغية الملتمس ص ١٥٨ ـ ١٦١، ويتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٠٣ ـ ١١٦)، والذخيرة (ق ١ م ١ ص ٥٩ ـ ١٠٢)، والمغرب (ج ١ ص ٦٠ ـ ٦١)، وفضائل الأندلس وأهلها ص ٢٠، والمطرب ص ١٥٦، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٩)، ومقدمة ديوان ابن دراج، ففيها مزيد من المصادر عنه وعن شعره، وتاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ص ٢٣٧ ـ ٢٦٩.

(٢) يريد أن يقول: إنّ قصر خيران يتراءى لكم إذا كنتم في مركب وأقتربتم من حافّة خليج ألمريّة. وقصر خيران هذا غير القصر العظيم الذي بناه المعتصم ابن صمادح وعرف بالصُّمادحيّة

(٣) ديوان ابن دراج القسطلي ص ٩١. وورد البيتان أيضاً في الذخيرة (ق ١ م ١ ص ٩٤)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٤)، ومعجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩) ولكن ببعض الاختلاف عمّا هنا.

(٤) فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠)

(٥) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٨٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٠)

ألمريّة) مجلوبةٌ وأنَّ الميرَةَ تأتيها في البحر من بَرِّ العُدْوَة»[1]. كما روي لنا ما دار بين رجل من أهل ألمريّة افتخر ببلده، وبين آمرأة من إشبيلية فَضَّلَتْ مدينتها على مدينة ألمريّة، فقال: «وركب بعض أهل ألمريّة في وادي إشبيلية، فمرَّ على طاقةٍ من طاقات شنتبوس، وهو يُغَنِّي:

خَلَّيْنِ مِنْ وَاد ومِنْ قَوَارِبْ ... ومِنْ نُزَاهَا في شنتبوسْ
غَرْسُ الحَبَقْ الذي في داري ... أحبّ عندي من العروسْ[2]

فأخرجتْ رَأْسَها جاريةٌ وقالت له: مِنْ أي البلاد أنت يا مَنْ غنّى؟ فقال: من ألمريّة، فقالت: وما أعجبك في بلدك حتى تفضّله على وادي إشبيلية وهو بوجهٍ مالحٍ وقَفاً أحْرَشَ؟ وهذا من أحسن تعييب، وذلك إنَّها أتَتْهُ بالنقيض من إشبيلية، فإنَّ وجهها النهرُ العذْب، وَقَفَاهَا بجبال الرحمة أشجار التين والعنب، لا تقع العين إلاّ على خضرة في أيام الفرج، وأين إشبيلية من ألمريّة[3]؟».

وقال السميسر أيضاً (المجتثّ):

قالوا ألمريّةُ فيها ... نظافةٌ، قُلْتُ إيْهِ
كأنَّها طَسْتُ تبْرٍ ... ويُبْصَقُ الدَّمُ فِيْهِ[4]

وألّف آبن خاتمة[5] في ألمريّة تاريخاً حافلاً سماه «مَزِيَّة ألمريّة على غيرها من

---

(١) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٠)، والعدوة هنا هي المغرب.

(٢) العروس · من متنزهّات إشبيلية.

(٣) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠). والقول: وهذا من أحسن تعييب. «من ألمرية» تعليقٌ من المقّري على ما دار بين الرجل والمرأة، وهو هنا يفضّل إشبيلية على ألمريّة.

(٤) الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٨٥)، ونفح الطيب (ح ٣ ص ٣٩٠) ولقد ورد هذان البيتان في مسالك الأبصار (ج ١١، الورقة ٤١٤) بآختلاف يسير عمّا هنا، ومَنْسُوبَيْن إلى أبي عبدالله بن السراج المالقي كما سبق وورد بيتان للسميسر في باب الزراعة ص ٨٨ يشير فيهما إلى قلّة إنتاج ألمريّة الزراعي، وهما على الوزن نفسه.

(٥) هو الفقيه الشيخ الكاتب الطبيب المؤرّخ، والأديب البليغ أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري الأندلسي تصدّر للإقراء في ألمريّة بالجامع الأعظم. وكتابه المذكور أعلاه ما يزال مفقوداً، وله ديوان شعر حقّقه د. محمد رضوان الداية توفّي في حدود سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ م. راجع مقدمة ديوانه، ونثير فرائد الجمان ص ٣٣١، والكتيبة الكامنة ص ٢٣٩، وهدية=

البلاد الأندلسية»، وهو مجلّد ضخم كان من جملة الكتب التي آقتناها المقَّري في مكتبته بالمغرب[1]. كما ألَّف أبو البركات آبن الحاج[2] كتاباً بعنوان «تاريخ ألمريّة».

ثانياً ـ النشاط اللغوي والنحوي:

أ ـ العوامل التي ساعدت الحركة اللغوية والنحوية في ألمرية: لم يكن حظُّ ألمريّة في عِلْمي اللغة والنحو في عهد المعتصم ابن صمادح بأقلٍّ من حظٍّ غيرها من حواضر الأندلس؛ إذ إنَّ الحركة اللغويّة والنَّحْويّة كانت آنذاك تواكب النشاط الأدبي، وقد ساعدها على ذلك عوامل[3] عدة، أهمها:

١ ـ الخِصْب اللغوي الذي أوجده أبو علي القالي (٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) وتلاميذه، وهو من شأنه أنْ يؤثِّر إيجاباً على لُغَوِيِّي الفترة اللاحقة التي أطلق عليها عصر ملوك الطوائف.

٢ ـ تعدُّد المراكز الثقافيّة بحيث أصبحت كلُّ حاضرة من حواضر الأندلس مركزاً من مراكز الأدب والعلم، وهذا من شأنه أنْ يعمل على تنشيط الحركة اللغويّة في البلاد طولاً وعرضاً.

٣ ـ الاهتمام بإنشاء المكتبات، ولا سيّما الخاصّة منها، حيث نالت ألمريّة

= العارفين (ج ١ ص ١١٣)، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) ومواضع أخرى متفرقة، والأعلام (ج ١ ص ١٧٦).

(١) انظر نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣)، وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٢).

(٢) هو القاضي والمؤرّخ والمحدّث الراوية محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الحاج السُّلَمي البَلْفيقي، نسبة إلى بَلْفيق من أعمال ألمريّة. كان أحد أعلام الأندلس في الأدب، وأحد شيوخ ابن الخطيب ولي القصاء بمالقة سنة ٧٣٥ هـ/ ١٣٣٤ م، ثم ولي القضاء والخطابة بألمريّة سنة ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م، ثم نقل إلى قصاء غرناطة. ثم ولي قضاء ألمريّة ثانية. توفّي دون أنْ يتمّ كتابه المذكور أعلاه، وذلك في سنة ٧٧١ هـ/ ١٧٦٩ م، وقيل: سنة ٧٧٣ هـ/ ١٣٧١ م. وقيل: ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م. انظر الدرر الكامنة (ح ٤ ص ١٥٥ ـ ١٥٧)، والكتيبة الكامنة ص ١٢٧، ونفح الطيب (ح ١ ص ٥١٦) و(ج ٥ ص ٣٥٣، ٤٧١ ـ ٤٨٧) وفيه: توفي سنة ٧٧١ هـ، وهدية العارفين (ح ٢ ص ١٦٥)، والأعلام (ح ٧ ص ٣٩).

(٣) هده العوامل تحدّث عنها بإسهاب الأستاذ ألبير مطلق في كتابه «الحركة اللغوية في الأندلس» ص ٢٥٨ ـ ٢٧٢، فآنظره.

نصيبها؛ يحكى أنّه آجتمع بمكتبة أحمد بن عباس، وزير زهير العامري الذي حَكَمَ ألمريّة من سنة تسع عشرة وأربعمائة / ١٠٢٨ م إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة / ١٠٣٧ م، ما يربو على أربعمائة ألف مجلد، عدا الأوراق والكراسات التي ملأت قصره. وفي هذا الجوّ الثقافي العام آهتمّ الأندلسيّون باللغة وعلومها آهتماماً كبيراً، وأصبح للغة والكتب اللغوية مقامها الذي لا ينكر.

٤ ـ التسامح النِّسْبي الذي ظهر في هذا العصر، حيث كان ملوك الطوائف متسامحين مع الذين آشتغلوا بالعلوم القديمة، ولا سيما الفلسفة والمنطق، وكان أبرز العاملين في حقل اللغة، المشتغلون بهذين العِلْمَيْنْ اللذين منحا الاتجاه اللغويّ دقّة وشمولاً.

٥ ـ قدوم بعض اللغويّين إلى الأندلس من أقطار أخرى ولا سيما القيروان وصقلية، فأَغْنَوْا اللغة وعلومها وأَوَلَوْها آهتماماً ملحوظاً.

٦ ـ رحلة الأندلسيين إلى المشرق وإفادتهم من اللغويين المشهورين ثم عودتهم إلى الأندلس مُحَمَّلِين بالكتب اللغويّة وشروحها.

٧ ـ حلقات التدريس المنتشرة في نواحي الأندلس، حيث كَثُرَ عدد المُدَرِّسين والأساتذة اللغويين، وكان على رأسهم إبراهيم بن محمد، المعروف بآبن الإقليلي، المتوفَّى سنة ٤٤١ هـ/ ١٠٤٩ م، وأبو الحجاج يوسف بن سليمان، الأعلم الشنتمري المتوفَّى سنة ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م، وأبو مروان عبدالملك بن سراج، المتوفَّى سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥ م.

٨ ـ حركة التأليف اللغوي في هذا العصر الذي لا يقلُّ عن العصر السابق غِنًى في المؤلَّفات، ولقد آتّجه أهل اللغة آتّجاهين؛ اتجاه إلى شرح كتب اللغة، وآتّجاه إلى التأليف المعجمي.

ب ـ لغويّو ونحويّو ألمريّة في عهد المعتصم: لزم المعتصمَ جماعةٌ من النَّحْوِيِّين المعروفين أمثال أبي عبيد البكري، وآبن الطَّرَاوَة، وآبن أبي الدَّوْس وآبن محمد الأشْكُرْكيّ، وآبن أخت غانم، وغيرهم.

١ ـ أبو عبيد البكري[1]:

هو عبدالله بن أبي مُصْعب عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البَكْري، نسبةً إلى بكر بن وائل، ينحدر من عائلة مشهورة؛ فكان والده عبد العزيز أميراً على شَلْطِيش Saltes، إلاّ أنَّ المعتضد ابن عبّاد، ملك إشبيلية، تغلَّب عليها، فخرج عبدُ العزيز منها وآنتقل إلى قرطبة بأهله وولده. وقيل: كان أبو عبيد أميراً بساحل كورة ولْبَة أو أونبة Huelva، وتغلَّب عليها المعتضد. وقيل: إنَّ المعتضد آستولى على ولبة وابتاع منهم شلطيش. عاش أبو عبيد في قرطبة في ظلّ بني جَهْوَر، وبوفاة والده عبدالعزيز سنة ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣ م، وقيل: ٤٥٧ هـ/ ١٠٦٤ م، ينتقل أبو عبيد إلى ألمريّة، فيصطفيه المعتصم لصحبته، ويؤاثر مجالسته والأنس به، ويرفع مرتبته، وهذا ما حمل بعض المؤرّخين على نعته بالوزير. لم تطلْ إقامته في ألمريّة فآثر الارتحال إلى إشبيلية في كنف المعتمد ابن عباد، وظلَّ فيها إلى أنْ توفِّي سنة تسع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩٥ م، وقيل: سبع وثمانين وأربعمائة / ١٠٩٤ م، وقد نيَّف على الثمانين. وقيل: رَجَعَ إلى قرطبة بعد غزوة المرابطين فتوفِّي بها. وقيل: كلَّفه المعتصم القيام بمهمّة دبلوماسية إلى المعتمد ابن عباد بإشبيلية، فآستقرَّ هناك في كنفه. وكان فقيهاً جغرافيا شاعراً فذّاً، إماماً لغويّاً، وإخباريّاً متفنّناً، آمتاز على أهل عصره بثقافته اللغويّة العالية حتى عُدَّ من مفخرة الأندلس، وآخر علمائها في عصره، وأنصعهم في المنثور والمنظوم. كان مولعاً بالخمر منهمكاً فيها، وله فيها أشعار تتحدّث عن ميله إلى لذاذات العيش. وله مصنّفات جليلة في اللغة، منها «اللآلي في شرح أمالي القالي» (مطبوع)، و«التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه»

(١) انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٨)، والمغرب (ج ١ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٨٠ ـ ١٨٧)، وقلائد العقيان ص ١٨٩ ـ ١٩١، وبغية الوعاة ص ٢٨٥، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٠٠، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٠)، وبغية الملتمس ص ٣٤٦ وفيه يلقّبه الضّبّي بذي الوزارتين ويجعل وفاته سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ م، ونفح الطيب (ج ! ص ٢٩٢)، والأعلام (ح ٤ ص ٩٨)، والحركة اللغويه في الأندلس (ص ٢٦٢، ٣٢٦ ـ ٣٣٧)، وتاريخ آداب العرب (ج ٣ ص ٢٩٧)، ومجلة عالم الفكر (المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ص ٣٠٦)، ومقدمة معجم ما استعجم، ففيها دراسة قيّمة عنه، و Historia de la Literatura arábigoespanola, 91, 212, 214.

(مطبوع)، و«فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لابن سلام» (مطبوع)، و«شرح أمثال أبي عبيد»، و«اشتقاق الأسماء».

٢ ـ ابن الطَّرَاوَة[1]:

هو أبو الحسين سليمان بن محمد بن عبدالله السبائي أو السبئي؛ من أهل مالقة، وقد برز في علوم اللسان نَحْواً ولغةً وأدباً، فكان له آراءٌ في النَّحْوِ آنفرد بها وخالف فيها جُمْهور النُّحَاة، وكان يقرض الشعر وينشىء الرسائل، فطارتْ شهرته في الآفاق، وعُدَّ إمام العربيّة في عصره. تجوّل كثيراً في بلاد الأندلس مُعَلِّماً بها ما كان عنده، وآلتحق ببلاط المعتصم ابن صمادح، وكان له أمداح في خدمته، وعُدَّ نَحْوِيَّ ألمريّة بحيث لم يكن في صناعة النَّحْو مثله، ولا أحفظ منه لكتاب سيبويه. من مُصَنَّفاته كتاب «الترشيح» في النَّحْو، و«مقالة في الاسم والمسمّى». توفّي في رمضان، وقيل: في شوال سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة / ١١٣٣ م، وقد قارب التسعين.

٣ ـ ابن أبي الدَّوْس[2]:

هو الفقيه أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدَّوْس، من أهل مرسية. كان عالماً بالعربيّة والآداب، كثير التنقّل، عظيم التجوّل، لا يستقرُّ في بلد. أقام مدّة في خدمة المعتصم ابن صمادح بألمريّة، ثم آستقرَّ آخر عمره بأغمات، وبها مات، وقيل: توفي بمراكش سنة إحدى عشرة وخمسائة / ١١١٧ م. ومن شعره في المعتصم قوله (الطويل):

إليكَ أبا يَحْيَى، مَدَدْتُ يَدَ المُنَى   وقِدْماً غَدَتْ عن جُودِ غَيْرِكَ تُقْبَضُ

---

(١) انظر ترجمته في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ٧٩ ـ ٨١)، وبغية الملتمس ص ٣٠٤، وبغية الوعاة ص ٢٦٣، والمقتضب من كتاب تحفة القادم ص ٦٤، وأخبار وتراجم أندلسية ص ١٧، والمغرب (ج ٢ ص ٢٠٨) وفيه يتفرد ابن سعيد بجعل كنية آبن الطراوة أبا الحسن، ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٤٢) و(ج ٣ ص ١٩٢، ٣٨٤)، و(ج ٤ ص ٣٣٢)، والأعلام (ج ٣ ص ١٣٢)، وتاريخ آداب العرب (ج ٣ ص ٣٣٧).

(٢) انظر ترجمته في مطمح الأنفس (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١)، والتكملة (ج ١ ص ٤١٢ ـ ٤١٣)، والمغرب (ج ٢ ص ٧٢)، وبغية الوعاة ص ٤١، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٠ ـ ٣١).

وكـانتْ كَنُـوْرِ العَيْنِ يَلْمَـعُ بـالـدُّجَى   فلمَّـا دَعَـاهُ الصُّبْـحُ لَبَّـاهُ يَنْهَضُ[1]

٤ ـ الأشْكُرِكِيّ:

هو أبو الطاهر يوسف بن محمد. الأشْكُرْكِيّ، نسبةً إلى قرية أشكـركه[2] وقد ترجم له آبن سعيد، نقلاً عن المُسْهِب، فقال: كان إماماً في علم اللغة، وكان له جاهٌ ومكان عند بني هُوْد بسرقسطة وغيرهم من ملوك الطوائف، وأكثر أمداحه في المعتصم آبن صمـادح[3]. وذكره آبن بسـام بـآسم الأديب أبي الـطاهـر محمـد بن يـوسف الأشكوري منسوباً إلى قرية له بعمل سرقسطة، وأنشد له طائفة من أشعاره[4]. ومن شعره هذا قوله مخاطباً رفيع الدولة ابن المعتصم (الطويل):

إليكَ، رفيعَ المُلْـكِ تُهْـدَى المَحَامِـدُ   وبـآسمِكَ تَبْهَى في الـزَّمَانِ المَشَـاهِـدُ

سَـلَكْتَ سـبيـلاً فـي المَـكَـارِمِ أوّلاً   لـكَ الفَضْـلُ هـادٍ تَقْتَفِيْـهِ وراشِـدُ[5]

٥ ـ ابن أخت غانم[6]:

هو العالم اللغوي أبو عبدالله محمد بن معمر، نُسِبَ إلى خاله الإمام العالم غـانم المخزومي، لشهرة ذِكْـرِهِ وعلوّ قَدْرِه. كـان من أعيان مـالقـة ومن علمـائها المشهورين؛ تفنّن في علوم شتّى إلاّ أنّ الغالب عليه هو علم اللغة الذي فيه أكْثَرُ تواليفه. رحل من مالقة إلى ألمريّة فحلّ عند ملكها المعتصم ابن صمادح بالمكانة العَلِيَّة. ذكره آبن اليَسَع في مُغْرَبِهِ قائلاً: إنّه حَدَّثَهُ بداره في مالقة وهو آبن مائة سنة. وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة / ١١٢٩ م، له تآليف جليلة، منها شرح كتاب النبات لأبي حنيفة الدِّيْنَوَرِيّ، ويقع في ستين مجلداً.

---

(١) مطمح الأنفس (ص ٣٠١ ـ ٣٠٢)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٠).

(٢) في المغرب (ج ٢ ص ٤٣٣): قرية أُشْكُرْتَه، بالتاء بدل الكاف.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٤٧.

(٤) الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٩٠٩ ـ ٩١٢).

(٥) المصدر نفسه ص ٩١٠. كذلك ورد البيتان في المغرب (ج ٢ ص ٤٤٨) ولكن بآختلاف في بعض الكلمات عمّا هنا.

(٦) انظر ترجمته في المغرب (ج ١ ص ٤٣٣)، وبغية الوعـاة ص ١٠٦ ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٧)، والأعلام (ج ٧ ص ١٠٦)، والحركة اللغوية في الأندلس ص ٢٦٢.

ثالثاً: النشاط العلمي:

١ ـ علوم الدين:

بلغ علماء ألمريّة الغاية في علوم الدِّيْن، ونبغ منهم كثيرون في علوم الفقه والحديث والتفسير والقراءات. وقد أشار الأمير عبدالله إلى ذلك بقوله: «ولم تزل الأندلس قديماً وحديثاً عامرةً بالعلماء والفقهاء وأهل الدِّيْن، وإليهم كانت الأمور مصروفة»[1].

ففي علم الفقه ظهر أبو عبدالله محمد بن خلف بن سعيد بن وهب، المعروف بآبن المرابط. وهو من ألمريّة، وكان قاضيها ومفتيها وعالمها. ألَّف كتاباً كبيراً في شرح البخاري، وتوفِّي بألمريّة سنة خمس وثمانين وأربعمائة[2] / ١٠٩٢ م. وأبو عمر أحمد بن محمد بن أسود الغسّاني، وهو من أهل ألمريّة. كان معتنياً بالعلم، وكانت وفاته في سنة تسع وستين وأربعمائة[3] / ١٠٧٦ م. وأبو عبدالله محمد بن يَبْقَى اللخمي، وهو من أهل ألمريّة، وكان عالماً واقفاً على علم الأثر، وكانت وفاته في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة / ١٠٨٨ م[4]. وأبو الفضل جعفر آبن شرف القيرواني، وكان فقيهاً مشهوراً[5].

وفي علم الحديث برز القاضي الشهير أبو علي حسين بن محمد بن فِيْرُّه بن حَيُّوْن الصدفي، المعروف بآبن سُكَّرَه. وهو من أهل سرقسطة، وسمع بألمريّة من أبي عبدالله بن سعدون القروي، وأبي عبدالله آبن المرابط، وغيرهما. ثم رحل إلى المشرق أول المحرّم من سنة إحدى وثمانين وأربعمائة / ١٠٨٨ م، وعاد إلى الأندلس في صفر من سنة تسعين وأربعمائة / ١٠٩٦ م، وقصد مرسية فآستوطنها وقعد يحدِّث الناس بجامعها. كان عالماً بالحديث وطرقه، عارفاً بعلله وأسماء رجاله وَنَقَلَتِهِ، حافظاً لمصنَّفات الحديث قائماً عليها، ذاكراً لِمُتُوْنها وأسانيدها ورواتها.

---

(١) مذكرات الأمير عبد الله ص ١٧.

(٢) انظر معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩ ـ ١٢٠، مادة ألمرية) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٩٠) والأعلام (ج ٦ ص ١١٥).

(٣) الصلة (ج ١ ص ٦٧).

(٤) الصلة (ج ٢ ص ٥٢٥).

(٥) بغية الملتمس ص ٢٥٦. وقد تقدم الحديث عنه بإسهاب ص ١١١ من هذا البحث.

استقضي بمرسية ثم آستعفى فأُعْفِي، وفرَّ إلى ألمريّة فأقام بها سنة خمس وبعض سنة ست وخمسمائة / ١١١١ ـ ١١١٢ م. وبطول مقامه بألمريّة أخذ الناسُ عنه بها، فلمّا كانت وقعة كُتُنْدَة من ثغور سرقسطة بين المرابطين والإفرنج كان مِمَّنْ حَضَرَها فَفُقِدَ فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة عن ستين سنة[1] / ١١٢٠ م. ونبغ أيضاً أبو عبدالله محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري، وهو من ألمريّة. وله في هذا العلم تأليف حسن جمع فيه بين صحيْحَي البخاري ومسلم، وأخذه الناسُ عنه. ولد سنة ست وخمسين وأربعمائة / ١٠٦٣ م، ومات في محرّم سنة آثنتين وثمانين وخمسمائة[2] / ١١٨٦ م. وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن موسى بن وضاح القيسي المرسي؛ قدم المشرق حاجاً وطالباً للعلم، وعاد إلى الأندلس فسكن ألمريّة مدّة، وبها مات سنة أربعين وخمسمائة للهجرة / ١١٤٥ م، وقيل: في التي قبلها. وكان فقيهاً فاضلاً، ذا فرائد جمّة[3]. وأبو عبدالله بن سعدون القروي[4].

وفي علمي التفسير والقراءات برز أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله الجذامي، وهو من أهل ألمريّة، ويعرف بالبَرْجي، نسبةً إلى بَرْجَة من عمل ألمريّة. أقرأ القرآن وأسمع الحديث، وشُوْوِرَ في الأحكام. وهو الذي أَوْجَبَ في كتب أبي حامد الغزالي، حين أحرقها أبو عبدالله بن حمدين بأمر تاشفين المرابطي، تأديْبَ مُحْرِقِها وتضمينه قيمتها؛ لأنّها مال مسلم. توفي بألمريّة سنة ست وخمسمائة / ١١١٢ م، وهو آبن خمسين أو نحوها[5].

٢ ـ علم الجغرافيا: نبغ في هذا العلم أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دِلْهات الزُّغبي العذري، وهو من ألمريّة، ويعرف بآبن الدَّلاَئي، نسبة إلى دَلاَيَة Dalias من أعمال ألمريّة. ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة / ١٠٠٢ م، ورحل مع والديه إلى المشرق سنة سبع وأربعمائة / ١٠١٦ م، فوصل إلى مكة في رمضان سنة ثمانٍ وأربعمائة / ١٠١٧ م، فأقام فيها ثماني سنوات، وسمع الكثير من شيوخها،

---

(١) انظر نفح الطيب (ج ٢ ص ٩٠ ـ ٩٢)، ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٣١٠، مادة قُتُنْدَة)

(٢) انظر معجم البلدان (ج ٥ ص ١٢٠، مادة ألمرية).

(٣) انظر أخبار وتراجم أندلسية ص ١١٥ ـ ١١٦، ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢١٩).

(٤) نفح الطيب (ج ٢ ص ٩٠).

(٥) انظر المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤)، ومعجم البلدان (ج ١ ص ٣٧٤، مادة برجة).

وعاد إلى الأندلس. كان شيخاً ثقة، واسع الرواية. ومن تلاميذه الحميدي صاحب كتاب «جذوة المقتبس»، وأبو عبيد البَكْري. ومن مصنّفاته في الجغرافيا كتاب «نظام المرجان في المسالك والممالك»، وقد طبع منه جزء بعنوان «نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع المالك»، بتحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني، وفي هذا الكتاب يُقْدِمُ العُذْري على تفسير أسماء العديد من المدن الأندلسيّة باللغة اللاتينيّة. توفّي سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة[1] / ١٠٨٥ م). وبرز أيضاً أبو عبيد[2] البكري، وهو أكبر جغرافيّي الأندلس، وأعظمهم على الإطلاق. وقد سار على سَنَنِ أستاذه العـذري في تفسير اسماء المدن الأندلسيّة باللغة اللاتينية، وكان مفخرة أهل الأندلس على حد قول المقري: «وأمّا علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والمالك لأبي عبيد البكري الأونبي[3]، وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والأماكن»[4]. وقد طبع من الكتاب الأول جزء بآسم «المُغْرِب في ذكر إفريقية والمَغْرب» . وطبع الكتاب الثانـي بعنوان «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع».

٣ ـ علوم الطب:

لمع في هذه العلوم نجم أبي عبيد البكري، وقد ذكره آبن أبي أصيبعة بقوله: «هـو أبو عبيـدالله بن عبدالعـزيز البكـري، من مرسيـة، من أعيـان أهـل الأنـدلس وأكابرهم. فاضل في معرفة الأدوية المفردة، وقواها، ومنافعها، وأسمائها، ونعوتها، وما يتعلّق بها، وله من الكتب كتاب أعيان النبات والشجريّات الأندلسيّة»[5].

٤ ـ علم العروض:

سطع نجم آبن الحداد في علم العروض، فصنّف فيه كتباً لا نظير لها نبـلاً وإفادة منها: «المُسْتَنْبَط في علم الأعاريض المهملة عند العرب مما تقتضيه الدوائر

---

(١) انظر جذوة المقتبس ص ١٣٦، وبغية الملتمس ص ١٩٥، ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٤٦٠، مادة دلاية) و(ج ٥ ص ١١٩، مادة المرية)، والأعلام (ج ١ ص ١٨٥).

(٢) تقدم الحديث عنه ص ١٢٤ من هذا البحث.

(٣) نسبة إلى أونبة Huelva.

(٤) نفح الطيب (ج ٣ ص ١٨٤ ـ ١٨٥).

(٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٠٠.

الأربع من الدوائر الخمس التي تنفكّ منها أشعار العرب». و«قيد الأوابد وصَيْد الشوارد في إيراد الشواذّ والردّ على الشذّاذ». «والامتعاض للخليل» وهو كتاب مزج فيه الأنحاء الموسيقيّة بصناعة العروض، يردُّ فيه على سعيد آبن فتحون السرقسطي المنبوز بالحمار في ما تعقّبه على الخليل وآنفرد به من أحكام العروض[1]. ولأبي الفضل آبن شرف كتاب في العروض كشف فيه عن دقائق لم يسبق إليها العروضيّون[2].

٥ ـ علم الفلسفة:

نَجَمَ في هذا العلم آبنُ الحداد السابق الذكر، وكان فيه متقدماً[3]. كذلك ظهر فيه أبو الفضل آبن شرف، فعرف بالحكيم الفيلسوف[4].

٦ ـ علوم العدد والهندسة والكلام:

لم يُقْسم أهل ألمريّة ولغيرهم من المدن الأخرى في هذه العلوم نفاذ، وقلَّ تصرّفهم فيها[5].

---

(١) انظر الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠). وقد تقدم الحديث عن ابن الحداد ص ١٠٩ من هذا البحث.

(٢) انظر المطرب ص ٦٧. وقد تقدّم الحديث عن آبن شرف ص ١١١ من هذا البحث.

(٣) الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠).

(٤) نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٥).

(٥) المصدر نفسه ص ١٧٦.

منشآت ألمريّة المعمارية
في عهد المعتصم ابن صمادح

كان بودّنا الحديث عن المنشآت الحربيّة والمدنيّـة والدينيّـة التي أُقيمت في مملكة ألمريّة ومدنها وقراها، كالكتاتيب[1]، والزوايا[2]، والأربطة[3]، ومدارس[4] التعليم، والمستشفيات، ومنازل الناس، والمساجد ومأوى الأيتام والمُشَرَّدِين وأبناء السبيل، وغيرها من معاهد العلم والأبنية التي كانت تُقَدِّمُ فيها خدمات للسكان، ولكنَّ المصادر التي تحدَّثتْ عن ألمريَّة ومليكها المعتصـم ابن صمادح لم تُشِرْ إلى ذلك من بعيد أو قريب، وجُلَّ ما ذكرتْهُ إنّما ينحصر في الحديث عن قصبة ألمريّة، وقصرها

(١) الكتاتيب: جمع كُتّاب وهو مدرسة للدراسة الابتدائيّة، وقد يستعمل لتعليم البنات التطريز والتشبيك، والخياطة، والطبخ، وترتيب البيت، وشيئاً من أدب السلوك، ويكون ملحقاً بمسجد، أو جزءاً منه، أو مستقلاً عنه، والمستقلّ يكون في الغالب فوق ساباط (سقيفة بين دارين تحتها طريق) الشارع. دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص ٦٤، ٧١، ٧٢.

(٢) الزوايا: جمع زاوية وهي مدرسة للدراسة المتوسّطة، أي هي أعلى درجة من تعليم الكُتّاب وأقلّ درجة من تعليم المدارس. وقد تكون مدرسة بين نهاية الابتدائي ونهاية الثانوي. وهي عبارة عن مجموعة من مبانٍ يتوسّطها ضريح الشيخ المؤسس. المرجع نفسه ص ٦٩، ٨٠.

(٣) الأربطة: جمع رباط ويتألّف من صحن، ومن عشرات الغرف المنفردة حوله، ومن الطبقات التي تعلو جوانبه، وينتهي بجامع كبير وصومعة مستديرة للأذان، وبمعنى آخر، هو عبارة عن مدرسة يُعَلَّمُ فيها تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب اللغة وشعر المواعظ، ومكان يقيم فيه المرابطون احتساباً للمرضى، ودار استنساخ للمصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه، ومستشفى للمرضى، ودار للمسافرين، وثكنة لحراسة الثغور وحمايتها. ويكون فيه مكتبة جدارية بها النسخ الأمّهات التي يُرْجَعُ إلى نصوصها الصحيحة وتُقَابَلُ عليها النصوص المنتسخة. المرجع نفسه ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٤) المدرسة أرفع درجة من تعليم الزاوية، وتختصّ بالتعليم الثانوي؛ لأنّ الجامع يختصّ بالتعليم العالي وتتنوّع فيه حلقات الدروس. المرجع نفسه ص ٧٩.

المعروف بالصُّمَادِحِيّة، ومسجدها الجامع، ومقابرها وأضرحتها، وقَيْسارِيَّتها، وحُمَّتِها العجيبة، وأسواقها وفنادقها ومتاجرها وحمّاماتها.

١ - قصبتها:

أجرى المعتصم تعديلات وزيادات في القلعة القديمة المسمّاة القصبة، ممّا زاد في تحصينها ومنعتها. وقد أشار العذري إلى ذلك بقوله: «وله في بناء قصبة ألمريّة آثار عظيمة جميلة في منعتها وسموّ سُوْرها»(١). كما حدَّد موقع هذه القصبة قائلاً: «وقد أشرفت على المدينة قصبتها، وهي في جبل(٢) منفرد عليه سُوْرٌ مُتْقَنٌ، لا يُصْعَدُ إلى قصبتها إلاّ بِكُلْفَة، ولا يُرْقَى إليها إلاّ بِمَشَقّة، مُحْكَمَةٌ في رَتَبِهَا، غايةٌ في آمتناعها»(٣). ويضيف آبن فضل الله العمري والحِميْري معلومات قيّمة إلى ما جاء به العذري، فيقول الأول: «والقلعةُ تحوزُ القديمَ (أي مدينة ألمريّة القديمة) من جهة الشمال وتسمّى القصبة بألسنتهم. وهما قصبتان في غاية الحسن والمَنَعَة»(٤). ويقول الثاني: «وقصبتها بِجَوْفِيِّها(٥)، وهو حِصْنٌ منيع لا يُرام، مديد من المشرق إلى المغرب، ولها باب قِبْلِيٌّ يُفْضي إلى المدينة مسافةً، ما بين أول المصعد في الجبل وبينه مائتا ذراع وثمانون ذراعاً(٦)، ولها باب شرقيٌّ خارجٌ عن أسوار المدينة، والربض متصل بجبالها، وهي أسهل(٧) مرتقى من الباب القِبْلِيّ، وعرض مَمْشَى السُّوْر الدائر بالقصبة خمسة أشبار»(٨).

---

(١) نصوص عن الأندلس ص ٨٤.

(٢) هو جبل لَيْهَمْ او لاهم الذي يُعَدُّ آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador على مقربة من مصب نهر أندرش. انظر الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٧، والآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ص ١٩٢.

(٣) نصوص عن الأندلس ص ٤٦. والرُّتَبُ: ما أشرف من الأرض، والصخور المتقاربة بعضها أرفع من بعض.

(٤) وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦.

(٥) الجَوْفُ بمفهوم أهل الأندلس يعني الشمال، وتقابله القِبْلَة. ابن الخطيب: اللمحة البدرية (ص ٢٢، حاشية ٣).

(٦) أي إنَّ باب القصبة الجنوبي يصل القصبة بالمدينة القديمة عن طريق ممرّ ينحدرُ من جبل القصبة بآتّجاه المدينة بطول ٢٨٠ ذراعاً، أي ما بين ١٣٠ و١٤٠ متراً.
انظر تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٢٢.

(٧) ينفتح باب القصبة الشرقي في بروز بسور القصبة الجنوبي، والدخول إلى القصبة من هذا الباب أسهل بكثير من الدخول إليها من الباب الجنوبي. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) الروض المعطار ص ٥٣٨.

وذكر أبو الفداء هذه القلعة ووصفها بالمنَعَة والشموخ[1]، ووصفها ابن الخطيب بقوله: «وقصبتها سلوة الحزين، ومودع الخزين، وفلك المنتزين»[2]. وأشار إليها أيضاً: «مدينة ألمريّة معقل الإسلام، ذات القصبة الشهيرة، والجباية الغزيرة، والبساتين النضيرة»[3]. وذكرها كذلك حين تحدَّث عن وصيّة المعتصم ابن صمادح لولده وليِّ عهده معزِّ الدولة؛ إذ تشير الوصيّة إلى أنْ يتمسَّك معزُّ الدولة بهذه القصبة ما دام المرابطون لم يتغلّبوا بَعْدُ على المعتمد ابن عباد بإشبيلية[4]. وكان ابن الأبّار قد أشار إلى هذه القصبة عند ترجمته لأبي العباس أحمد بن عبدالرحمن بن عاصم الثقفي، المعروف بالقصبي نسبةً إلى قصبة ألمريّة[5].

ويمدُّنا الدكتور سالم بمعلومات قيّمة عن هذه القصبة، فيقول: ترتفع القصبة نحو خمسة وستين متراً فوق مستوى سطح البحر، وتُشْرِفُ على مدينة ألمريّة والبحر من الجهة الجنوبيّة، وعلى ربض المُصَلَّى وخندق باب موسى من الجهة الشمالية الشرقيّة، وتمتدُّ طولاً من الشرق إلى الغرب مسافةً تصل إلى خمسمائة وثلاثين متراً[6]، وكان يتخلّل هذه المسافة، يقول المستشرق الإسباني مورينو، بروزات وأبراج كثيرة في غير نظام[7].

وكان مسطح القصبة يتوزّع على ثلاثة مرتفعات غير متساوية يفصل بين كل منها سور؛ فالمرتفع الأعلى نحو الغرب، ويتّصل رأسه المتطرِّف بِسُوْرِ المدينة الغربي. والمرتفع الثاني يكاد يكون منبسطاً، وكان مربَّعَ الشكل، وكانت تشغله قصور القصبة وملحقاتها. والمرتفع الثالث طويلٌ جدّاً، ومنه كانوا يدخلون من المدينة إلى القصبة، وكانت تشغله فيما يبدو الحدائق، وكانت مساحته تتساوى ومجموع مساحة أرض القلعة والمرتفع الثاني، وكان يقوم في الطرف الشمالي الشرقي منه ناعورة بلغ عمقها

---

(١) تقويم البلدان ص ١٧٧.

(٢) مشاهدات لسان الدين ص ٨٣ والخزين هنا بمعنى الثائر، يقال خَزِنَ اللحمُ وخَزَنَ فهو خزين إذا تغيَّر وأَنْتَن. لسان العرب (خزن).

(٣) اللمحة البدرية ص ١٩.

(٤) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١).

(٥) التكملة (ج ١ ص ٥٠)

(٦) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٥، ١٣٧.

(٧) الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٧

نحو سبعين قامة، ولعلّها الناعورة التي أنشأها المعتصم ابن صمادح لسحب المياه من المدينة إلى حدائق القصر[1].

وكانت هذه القصبة خليطاً من المِلاط[2]، وكانت أبراجها الأسطوانيّة والمربّعة مبنيّة بكتل الحجارة الضخمة، وكان بعضها يتجاوز السُّوْرَ في آرتفاعه[3].

وهذه القصبة بناها عبدالرحمن الناصر، إلاّ أنّها نسبت فيما بَعْـدُ إلى خيران العامري عندما ولاّه عليها الحاجب المنصور العامري[4]. وأغلب الظنّ أنّها نسبت لى خيران لإقدامه آنذاك على تحصينها بالأسوار المنيعة التي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا[5]. وقد أشار آبن الخطيب والمقّري إلى ذلك، فقال الأول: «وعَوَّلَ (أي خيران) على ألمريّة فأَحْسَن ضَبْطَها وحَصَّنَ قصبتها»[6]. وقال الثاني: «ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران، بناها عبدالرحمن الناصر، وعظمت في دولة المنصور بن أبي عـامر، وولّى عليهـا خيرانَ فنسبت القلعـةُ إليه»[7]. وقـول آبن سعيـد، نقـلاً عن المُسْهِب: «وبنى فيها خيرانُ العامريُّ قلعته العظيمة المنسوبة إليه»[8]، فيه نظر؛ لأنَّ خيرانَ عندما دخل ألمريّة كانت قصبتها قائمة البنيان، بدليل أنّه آنتزعها من أفلح الذي كان قد تحصَّن فيها[9]. كذلك لا يمكننا أنْ نطمئنَّ إلى قول الأستاذ محمد عبدالله عنان: وترجع هذه القصبة إلى بداية عِهد الطوائف، وينسب إنشاؤها إلى خيران الفتى العامريّ، ولهذا كانت تسمّى قلعة خيران[10]؛ لأنَّ في هذا القول غموضاً وعدمَ دقّة في الرأي وآبتعاداً عن تعيين بانِيْها الحقيقي.

وكانت القصبة تضمُّ ثلاثة قصور ومسجداً وسجناً، فأحد هذه القصور بناه خيران

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها. وانظر أيضاً تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) المِلاط مزيج من الجِيْر والرمل وقطع الحجارة الصغيرة، وقد ورد آسمه في بعض كتب التاريخ الأندلسي بآسم طابية. الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٤٩٠.

(٣) المرجع نفسه ص ٣١٧. وانظر أيضاً تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٤) انظر تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ٣٢، ٦٠.

(٥) المرجع نفسه ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٦) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١١).

(٧) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢).

(٨) المغرب (ج ٢ ص ١٩٣).

(٩) راجع نصوص عن الأندلس ص ٨٢ ـ ٨٣، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١١).

(١٠) الآثار الأندلسية ص ١٩٢.

العامري، ولذلك كان يعرف ببهو خيران[1]. والثاني بناه المعتصم ابن صمادح إلى جانب بهو خيران، وكان يُعْرَفُ بقصر الصُّمَادِحِيَّة، وسنتحدث عنه لاحقاً. والثالث هو قصر أبي الحسن المنصور عبدالعزيز العامري أمير بلنسية، وقد بناه أثناء سيطرته على ألمريّة (٤٢٩ ـ ٤٣٣ هـ / ١٠٣٧ ـ ١٠٤١ م). وحدّد الأستاذ عنان موقعه بقوله: وراء برج القصبة الرئيسي مساحة كبيرة بها بقايا أسسٍ لبناء أو بقايا قصر كبير، وتضمُّ غرفاً وأبهاءً عديدة هي أطلال قصر عبدالعزيز المنصور أمير بلنسية. ولهذا يسمّى الشارع الـذي تشرف عليـه القصبة بشـارع المنصور Calle de Almanzor، وقـد غـرست الأشجار في فِناء القصبة الكبير، وهو الفِناء الأول السُّفْلي[2].

أمّا مسجد القصبة، فأغلب الظنِّ أنَّه أقيم في عهد خيران العامري، ثم طرأ عليه بعض الترميمات في فتـرة الموّحدين بعد آسترجاع ألمريّة من القشتاليين في سنة آثنتين وخمسين وخمسمـائة / ١١٥٧ م. وكـان يتألف من خمسـة بلاطـات، سعة الأوسط منها. ٧٠ و٢ م، وآثاره اليوم بالقرب من أطلال سجن القصبة[3].

أمّا سجن القصبة، فإنّه أقيم في داخل القصبة لمناعتها وعزلتها عن المدينة من جهة، ولصعوبة الفرار منه في حال قيام ثورة بداخل المدينة من جهة ثانية[4]. وقد أشار آبن خلدون إلى هذا السجن وأسماه المطبق[5]. كما أشار إليه آبن الخطيب عند ترجمته لإسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري بقوله: «تخلَّف عن الولد أربعة، أكبرهم محمد، ولي الأمرَ من بعده، وفَرَج شقيقه التالي له بالسنّ... الهالك أخيراً في سجن قصبة ألمريّة عام أحد وخمسين وسبعمائة»[6] / ١٣٥٠ م. وحدَّد الدكتور سالم موقعه فقال: في الطرف الشرقي من مرتفع القصبة الأوسط أطلال السجن الإسلامي المعروف بالمطبق[7].

والقصبة اليوم، يقول الأستاذ عنان، عبارة عن طَلَلٍ عظيم فسيح الأرجاء، بقي

(١) انظر قلائد العقيان ص ٤٧، ومشاهدات لسان الدين ص ٤٥، وتاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٢٢.

(٢) الآثار الأندلسية ص ١٩٢.

(٣) راجع تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٢٢، ١٣٩.

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٣.

(٥) تاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٧٧).

(٦) الإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٣٨٠).

(٧) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٣٩. وانظر أيضاً الفن الإسلامي ص ٣١٩.

منها أجزاء كبيرة من الأسوار والبرج الرئيسي، وعدد آخر من الأبراج الصغيرة، وعدة أفنية متدرّجة في الارتفاع. وأسوارها في حالة جيّدة من الحفظ، وتبدو مشارفها جميعاً متّصلة منسّقة، وليس في الأسوار والأبراج أيّة زخرفة أو أيُّ نقوش عربيّة، والظاهر أنّها محيت بمضي الزمن ومن جرّاء أعمال التجديد والإصلاح التي قامت بها السلطات الإسبانية(١). وذكر المستشرق الإسباني مورينو أنّ باب القصبة الحالي بعقوده المدبّبة المتجاوزة القامة من الاجرّ(٢). وأضاف: «وجدير بالذكر ذلك القاع الناقص للحوض الذي رأيته في قصبة ألمريّة سنة ١٨٩٥، وقد بقيتْ فيه أقدامٌ بشرّيةٌ تَلْبَسُ أَخْفَافاً»(٣). وذهب الدكتور سالم إلى أنّ أسوار القصبة كانت من الطابية(٤)، وأنّ أبراجها أصيبت على أثر زلزال سنة ١٥٢٢ م(٥).

٢ ـ سورها:

كي تدافع ألمريّة عن نفسها من أي هجوم طارىء كان لا بُدَّ من تحويط رَبَضَيْها الشرقي والغربي بأسوار، لذا أقدم خيران العامري على تسوير الربض الشرقي المعروف بالمُصَلَّى(٦)، استناداً إلى قول العذري: «وبنى خيرانُ الفتى السُّوْرَ الهابطَ من جبل لَيْهَمْ إلى البحر، وجعل له أربعة أبواب.. ومدينة ألمريّة اليوم متقنة البناء، مصريّة الشكل، والمدينة القديمة منها مسوّرة بسور عجيب؛ وقد سُوِّرَ ربضُها الشرقي، واتّصل سورُ الربض بالمدينة، وكان الذي سوَّرَ الربضَ الفتى خيران. وكذلك الربض الغربي مُسَرَّرٌ أيضاً، قد اتَّصَلَ سُوْرُهُ بالمدينة»(٧)، وقول الحميري:

---

(١) الآثار الأندلسية ص ١٩٢، ١٩٤.

(٢) الفن الإسلامي ص ٣١٧.

(٣) المرجع نفسه ص ٣٢٤.

(٤) الطابية هي ما بُنِيَ بالتراب مختلطاً بالكلس، والطَّوّاب هو صانع الطابية. تاريخ ابن خلدون (م ١ ص ٧٢٦ ـ ٧٢٧)، وتاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٣٨ حاشية ٣.

(٥) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٦) سُمِّي كذلك بسبب وجود المُصَلَّى القديم خارج نطاق المدينة القديمة التي أَسَّسَها عبد الرحمن الناصر، وعندما سَوَّرَها خيرانُ أصبح المُصَلَّى داخلها. والمُصَلَّى في المدن الإسلامية فضاء فسيح، يقع عادة خارجَ أسوار المدينة، وكانت تقام فيه صلوات العِيْدَيْنِ والاستسقاء أيام الجفاف. تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١١١، ١١٧.

(٧) نصوص عن الأندلس ص ٨٣، ٨٦.

«على ربضها المعروف بالمُصلّى سُوْرُ تراب بناهُ خيران العامري، وكان قد أوصل إلى هذا الربض ماء العين التي هناك، وأَجْرَاهُ في سقاية»[١]. وفي ترجمته لخيران العامري أشار ابن الخطيب إلى الماء الذي أوصله خيران إلى ألمريّة، فقال: «وله بألمريّة الآثار الخالدة، والحسنات الشهيرة، فهو الذي أوصل إليها الماء، وبَنى الحَمَّة العجيبة»[٢] وحدَّدَ المقّري موقع رَبَضَي ألمريّة بقوله: «وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، وعلى الآخر ربضها (أي الربض الشرقي)، والسور محيط بالمدينة والربض، وغَرْبِيَّها رَبَضٌ لها آخر يسمّى ربض الحوض، ذو فنادق وحمّامات وخنادق وصناعات»[٣]. ولم يتطرّق المَرَّاكُشي وياقوت إلى الحديث عن هذين الربضين، فاكتفيا بذكر السُّوْر؛ يقول المراكشي: «تضرب أمواج البحر في سورها»[٤]. ويقول ياقوت: «يضرب ماء البحر سورها»[٥]. ويمدُّنا ابنُ فضل الله العمري بمعلومات قيّمة عن هذين الربضين، ومفادها أنَّ الربض الغربي أصبح بلا عمارة، ليس فيه سوى سُمّار وحُرّاس يقومون بحراسة أسواره، وأنَّ الربض الشرقي كان كثير الاتّساع، بحيث كان أكبر الاثنين؛ مدينة ألمريّة القديمة، والربض الغربي. يقول: «وألمريّة ثلاث مدن؛ الأولى من جهة الغرب تعرف بالحوض الداخلي، لها سُوْرٌ محفوظ من العدوّ بالسّمّار والحُرّاس، ولا عمارة بها. ويليها إلى الشرق المدينة القديمة[٦]، وتليها المدينة الثالثة المعروفة بُمَصلّى ألمريّة، وهي أكبر الثلاث»[٧] وأيّدَهُ في ذلك معاصره ابن خاتمة الأنصاري فذكر أنَّ ربض المُصَلّى كان يزيد في اتّساعه عن المدينة وربض الحوض معاً، وأنَّ الربض الغربي أصبح مجرّد سهل خرب لا تقوم فيه أبنية سوى أبراج أسوار الربض نفسها»[٨]. وذكر توريس بلباس من أنّه لم

---

(١) الروض المعطار ص ٥٣٨. وماء العين هذه تجاور مدينة ألمريّة، وقد تكون عين النطية التي ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب (ج ٢ ص ١٩٤.) ويُرَجّح الأستاذ هنري بيريس أنَّ الآبار التي عرفت بها ألمريّة والتي ما تزال أطلالها حتى اليوم ترجع إلى أيام خيران العامري .La poésie andalouse, p 142.

(٢) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٢). وانظر أيضاً La poésie andalouse, p. 142.

(٣) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣).

(٤) المعجب ص ٢٤٧.

(٥) معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩).

(٦) هي المدينة التي أسّسها وسوّرها عبد الرحمن الناصر، وعرفت فيما بعد بالمدينة الداخلية.

(٧) وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦. وأغلب الظن أنَّ الوصف ينطبق على ألمريّة في عصر العمري، أي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

(٨) انظر Almeria Islámica, P. 437-438 وتاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١١٣، ١١٥.

يَتَبَقَّ من الربض الغربي سوى أبراج سُوْرَيهِ الشمالي والغربي؛ ففي السور الشمالي بُرْجانِ كبيرانِ مربعا القاعدة، مهشّمان، لكلٍ منهما غرفة عليا، ويبعد الواحد عن الآخر مسافة قدرها عشرون متراً. وفي السور الغربي بعض أبراج مربّعة الشَّكْل، أصغر حجماً من أبراج السُّوْر الشمالي. وكل هذه الأبراج من الطابية، ويسكنها اليوم جماعة من فقراء ألمريّة[1].

وقد رجَّح الدكتور سالم أنَّ خيران العامري هو الذي سَوَّر الربض الغربي، بدليل أنَّ المدينة آتّسعت من الجانبين الشرقي والغربي في آن واحد، وأنّه كان لا بُدَّ أنْ يحاط الربضان بالأسوار في وقت واحد[2]. وذهب توريس بلباس إلى أنَّ ربض المُصَلَّى ظلَّ مهجوراً منذ غزا النصارى مدينة ألمريّة في سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة / ١١٤٧ م، وأنّه ظلَّ كذلك إلى وقتنا هذا، حيث لم يتبقَّ من آثار شوارعه ما يذكّرنا بما كانت عليه هذه الشوارع، كما أنّه لم يتبقَّ من أسواره سوى ستارتين؛ واحدة تمتدُّ من السور الشمالي للقصبة إلى مرتفع العرقوب أو جبل لاهم المسمَّى بمرتفع سان كريستوبال، وأخرى تشمل السور القائم على جبل لاهم كلّه والممتدّ إلى باب بجّانة، وأنَّ طول الستارتين حوالي أربعمائة وأربعين متراً، وأنَّ السور الشمالي القائم بأعلى جبل لاهم كان يتقدّمه سُوْرٌ أمامي[3].

٣ - أبوابها:

أصبحت ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح عبارة عن مدينة وسطى أو داخلية، لها قصبتها المنيعة، وَرَبَضاها الشرقي والغربي المحيطان بالأسوار[4]. وصار لها، على حدِّ قول الحِمْيري، أبواب عدّة[5]. وذكر العُذْري أربعة من هذه الأبواب: «وبنى خيرانُ الفتى السُّوْرَ الهابطَ من جبل لَيْهَمْ إلى البحر، وجعل له أربعة أبواب، باب في الجبل المُسَمَّى (أي باب لَيْهَمْ)، وباب يُخْرَجُ منه إلى بجّانة، وباب يسمَّى

---

(١) Almeria Islamica, P. 430. وانظر أيضاً تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٤٢.

(٢) تاريخ ألمريّة الإسلامية ص ١١٣.

(٣) Almeria Islamica, p. 434-439 وانظر أيضاً تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١١٣ - ١١٥، ١١٩، ١٢١، ١٤٢ - ١٤٤.

(٤) انظر تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١١٣.

(٥) الروض المعطار ص ٥٣٨. وانظر أيضاً الحلل السندسية (ج ١ ص ١١٩).

بباب المربى، وباب قرب ضفّة البحر يعرف بباب السودان، وهو الآن يعرف بباب الأسد»[1].

ولقد أغفل المؤرّخون ذكر هذه الأبواب بآستثناء باب بجّانة؛ فقد ذكره آبن الأبار عند ترجمته لأبي الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله بن إبراهيم التميمي السرقسطي، بقوله: «توفّي بألمريّة عشي يوم السبت الثاني من ذي الحجّة سنة أربعين وخمسمائة (١١٤٥ م)، ودفن عصر يوم الأحد بمقبرة باب بجّانة»[2]. كما ذكره في ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد بن عبدالله بن أحمد الأنصاري، البلنسي الأصل، والمريي المسكن، فقال: «توفي بألمريّة في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة / ١١٨٥م).. وقبره بمقبرة باب بجّانة من ظاهرها»[3]. كذلك ذكر آبن بَشْكَوال عند ترجمته، لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن عمر الأنصاري، المعروف بآبن اللوان المريّي، بقوله: ولد أبو الحسن سنة أربع وسبعين وأربعمائة / ١٠٨١ م، وتوفي في رجب سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة / ١١٣٨ م، ودفن خارج باب بجّانة[4]. وأعاد آبن بشكوال ذكره في ترجمة القاضي أبي عبدالله محمد بن خلف بن سعيد بن وَهْب، المعروف بآبن المرابط، فقال: هو من أهل ألمريّة، وقبره على قارعة الطريق عند باب بجّانة[5]. وفي ترجمة أحمد بن عبدالنور المالقي ذكره آبن الخطيب بآسم باب بجاية: «توفي بألمريّة يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام آثنين وسبعمائة، ودفن بخارج باب بجانة»[6]. وأغلب الظنّ أنّ الناسخ هو الذي وقع في خطإ النّقْل، وكان على محقّق الإحاطة، الأستاذ محمد عبدالله عنان، ألّا يشارك في تحريف الاسم، أو على الأقل كان عليه أن يشير إلى ذلك في تعليقاته؛ لأنّ بجاية[7] ليست مدينة أندلسيّة، بل هي مدينة جزائريّة من

---

(١) نصوص عن الأندلس ص ٨٣.

(٢) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصوفي ص ١٤٧.

(٣) التكملة لكتاب الصلة (ج ١ ص٨٣ - ٨٤).

(٤) الصلة (ج ٢ ص ٤٠٥ - ٤٠٦).

(٥) المصدر نفسه ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٦) الإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٢٠٢).

(٧) بِجّاية بكسر الياء وتخفيف الجيم، مدينة بالجزائر من عمل قسنطينة، تقع على ساحل البحر المتوسط بين إفريقية والمغرب، وهي آخر أعمال إفريقية. كانت قديماً ميناء فقط، ثم بنيت المدينة، فأسّسها الفينيقيون ودعوها صلده، ثم أصبحت رومانية بآسم صلداي، ثم خربت على أيدي الواندال Los =

عمل قسنطينة. وكان باب بجّانة، حسبما يذكر الدكتور عبد العزيز سالم، ينفتح في السور الشرقي لمدينة ألمريّة القديمة، وكان يؤدّي إلى مرسية وغرناطة، وكان الضغط على آجتيازه شديداً لكثرة الوافدين على المدينة والخارجين منها عن طريقه[1]. ويرى الدكتور أبو الفضل أنّ هذا الباب سمّي كذلك لانفتاحه على الطريق المؤدّية إلى بجّانة، وأنّ باب لَيْهَمْ يقع في أول السُّوْر الهابط من جبل لَيْهَمْ، وأنّ باب المربى سمّي كذلك لإشرافه على فحص ألمريّة الذي آشتهر آنذاك بتربية الأغنام والمواشي، وأنّ باب السودان يلي باب المربى جنوباً»[2]، وذكر توريس بلباس أنّ القشتاليين، عند دخولهم ألمريّة في سنة خمس وتسعين وثمانمائة / ١٤٨٩ م، أطلقوا على باب بجّانة آسم باب بُرْشانة[3]، بدلاً من بجّانة؛ لتشابه الاسمين في النُّطْق، وأنّ هذا الباب جُدِّد في سنة ١٨٢٧ م، ثم تهدّم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[4]. وانفرد ابن خلكان بذكر باب الخوخة الواقع بقرب التربة التي دفن فيها المعتصم ابن صمادح[5].

أمّا الربض الغربي، فإنّ المصادر العربيّة لم تَمُدَّنا بشيء عن أبوابه، ولا أعمال

= vandalos والبربر، وبقيت على هذه الحال إلى أنْ أعاد بناءها الناصر بن عَلَنّاس بن حمّاد في حدود سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م، وسمّاها الناصريّة، وبنى بها قصر اللؤلؤة. ثم سمّيت بجاية على آسم القبيلة البربرية التي خيمت حولها. وفي عهد المنصور ابن الناصر عَلَنّاس أصبحت عاصمة لدولة بني حمّاد بدلاً من قلعة حماد، فكثر عمرانها، وهاجر إليها عدد كبير من أهل الأندلس. وكانت باب الشرق، ودار الأساطيل، مرفأ السفن ومحط الركاب. راجع معجم البلدان (ج ١ ص ٣٣٩)، ووفيات الأعيان (ج ٦ ص ٢١٧)، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٧٦، ٩٦)، ونفاضة الجراب ص ٢١٩، وكناسة الدكان ص ٩٠ - ٩١.

(١) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٣٤.

(٢) تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) بُرْشانة Purchena حِصْنٌ من حصون الأندلس، يقع على مجتمع نهرين، وهو من أمنع الحصون مكاناً، وأوثقها بنياناً، وأكثرها عمارة. الروض المعطار ص ٨٨. وجعله آبن سعيد من حصون بَسْطة، على نهر المنصورة المشهور بالحسن. المغرب (ج ٢ ص ٨١). وفي معجم البلدان (ج ١ ص ٣٨٤): بُرْشَانة من قرى إشبيلية.

(٤) Almeria ıslámica, p. 434, 449.

(٥) وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤).

التنقيب الأثري أسفرتْ عن آثار تشير إلى وجود أبواب في هذا الربض[1]. ويعتقد الدكتور سالم أنَّ السور القبلي لربض الحوض كان ينفتح فيه باب قبلي يُؤدِّي إلى مقبرة الحوض والرابطة، ويعرف بأحد هذين الاسمين أو بآسم آخر[2].

أمَّا مدينة ألمريّة القديمة، فقد أُحْصِي لها ثلاثة أبواب؛ هي باب الزيّاتين، وباب المرسى، وباب الخروج. فيما يتعلّق بباب الزيّاتين، فقد ذكره آبن الأبّار في ترجمة أبي عبدالله محمد بن خُلَيْد بن محمد التميمي المريّي، بقوله: سمع أبو عبدالله من أبي القاسم عيسى بن جَهْوَر بقرطبة مقامات الحريري، وسمعها من أبي الحجاج القضاعي بألمريّة، وسمع منها في حانوته بباب الزياتين، وحدَّث بها عنها[3]، ويرجّح الدكتور سالم أنَّ الباب كان ينفتح في السور الجنوبي من المدينة الداخليّة، وأنّه كان قريباً من البحر ليتيسَّر نقل الزيوت بسهولة إلى الميناء لتصديرها[4]. ويعتقد الدكتور ابو الفضل أنَّ الباب نُسِبَ إلى حَيِّ الصُّنَّاع المختصِّيْن بعصر الزيت[5].

أمّا باب المرسى، فإنَّ المؤرِّخين القُدَامَى أغفلوا ذكره، وآنفرد بذكره الدكتور سالم فقال: كان هذا الباب ينفتح في منتصف السور القبلي للمدينة الداخليّة، وكان لا يبعد كثيراً عن المسجد الجامع بألمريّة، ولا عن دار صناعتها[6]. وباب الخروج، لم يُحْظَ بدوره بآهتمام المؤرّخين، وآنفرد بذكره بلباس وسالم، فقال الأول: سمّاه كويو صاحب خريطة ١٨٥٥ م بباب النجدة[7] El Socorro وقال الثاني: كان ينفتح في السور الغربي من المدينة الداخليّة قرب البحر، وكان يستخدم غالباً في أوقات الحصار[8].

وذكر آبن الخطيب باباً واحداً من أبواب مدينة ألمريّة، هو باب موسى، (مكتفياً بالقول: باب موسى هو الباب الذي خرج منه معزّ الدولة آبن المعتصم ابن صمادح إلى دار الصنعة حيث أبحر إلى بجّانة حين وافاه اليقين بتغلّب المرابطين على المعتمد ابن عباد بإشبيلية[9]. وكان هذا الباب، حسبما يذكر سالم، ينفتح في سور

(١) انظر تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٨٣.
(٢) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٨.
(٣) التكملة (ج ٢ ص ٤٩٥).
(٤) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٦.
(٥) تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٨٢.
(٦) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٧.
(٧) Almeria Islamica, p. 450
(٨) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٨.
(٩) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢).

الخندق[١] الواقع بين جبل القصبة وجبل لَيْهُمْ[٢]. ويذكر توريس بلباس أنّ آثار هذا الباب ما تزال ماثلة للعيان حتى يومنا هذا، حيث سُدَّ بالطابية وآكتنفه بُرْجانِ مربّعا الشكل[٣].

كذلك ذكر المقّري باباً آخر، هو باب العُقاب، وآكتفي بالقول: «ومن أبوابها باب العُقاب، عليه صورة عُقاب من حجرٍ قديم عجيب المنظر»[٤]. ويرجّح الدكتور سالم أنّ هذا الباب كان ينفتح في منتصف السُّوْر الشرقي لربض المصلًى، وأنّه كان يؤدِّي إلى فحص ألمريّة[٥]. ويعتقد الدكتور أبو الفضل أنّ هذا الباب آستحدث في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وأنّه كان باباً ثانوياً[٦].

ويضيف الدكتور سالم إلى أبواب ألمريّة باباً آخر هو باب البحر، فيقول: «هذا الباب يظهر على خريطة ألمريّة المؤرّخة في سنة ١٦٠٣، وما زال يعرف حتى اليوم بآسم La puerta del mar أو باب البحر، وقد سمّي بهذا الاسم لقربه من البحر، وأعتقد أنّ تسميته كذلك منذ القرن السابع عشر هي آستمرار لاسمه القديم[٧]. وذكر توريس بلباس ثلاثة أبواب ثانويّة، مستنداً في ذلك على خريطة سنة ١٦٠٣ م، فقال: تنفتح هذه الأبواب في السُّوْر الفاصل بين مدينة ألمريّة القديمة وربض المُصلًّى، وهي على الترتيب من الشمال إلى الجنوب: باب كارميا Carmia وباب الصورة Imagen، وباب العجلات[٨] Las ruedas de las carretas.

وبدوره يضيف الدكتور أبو الفضل باباً آخر هو باب دار صناعة ألمريّة، ويقول: «ويقع في الطرف الجنوبي الشرقي من السُّوْرِ المطلّ على البحر، وهو آخر أبواب هذا السور، وسُمّي كذلك نسبة إلى دار الصناعة، ولعلّه كان ينفتح بالقرب منها»[٩]. وقد

---

(١) لذا سُمّي هذا الخندق بخندق باب موسى. انظر ما فاتنا ص ١١ حاشية ٣.
(٢) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٦.
(٣) Almeria Islamica, p. 449 وانظر أيضاً تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٦.
(٤) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣).
(٥) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٥.
(٦) تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٨٢.
(٧) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٧
(٨) Almeria Islamica, p. 449.
(٩) تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٨١.

آعتمد الدكتور أبو الفضل في معلوماته هذه على العُذْري، وهو خطأ؛ لأنَّ العذري لم يُشِرْ إلى هذا الباب ولم يُسَمِّه. وقد يكون أبو الفضل أراد باب المرسى القريب من دار الصناعة، فسمّاه دار صناعة ألمريّة.

ولقد لعبت هذه الأبواب جميعاً دوراً هاماً في إحكام غلق حلقة الدفاع عن المدينة بحيث كانت المنافذ الوحيدة للدخول إليها أو الخروج منها[1]، وذكر الدكتور سالم أنَّ أبواب مدينة ألمريّة آختفت من الوجود، ولم يَبْقَ منها سوى بُوَيْب أو خوخة (بُوَيْب) مفتوحة في القطاع الشمالي بجبل لَيْهَمْ[2].

٤ ـ قصرها المعروف بالصمادحية:

شَيَّدَ المعتصمُ القصرَ الكبيرَ المعروف بالصُّمَادِحِيَّة[3]. وكون العُذْري الجغرافيَّ الوحيدَ الذي عاصر المعتصمَ بألمريّة، فقد زَوَّدَنا بمشاهداته بتفاصيل هامّة عن هذا القصر، فقال في وصفه إيّاه: «وله في بناء قصبة ألمريّة آثار عظيمة جميلة في مَنَعَتِها وسموّ سُوْرِها، وإتقان بناء قصورها، فمنها القصر الكبير المتطلّع من جَوْفِيِّه إلى جبل لَيْهَمْ، وفي قِبْلِيِّه بستان عظيم جداً فيه من جميع الثمار وغريبها ما لا يَقْدِرُ واصفٌ على أنْ يصفه مع طول مساحته قرب عرض القصبة، ويليه في قِبْلَتِهِ مجلس عظيم أيضاً على أبوابٍ مُفَتَّحَةٍ ودففٍ[4] على حكاية دِفَفِ المشرق بل أغرب في النَّقْشِ والإتقان، مفروشٌ ذلك المجلسُ بالرخام الأبيض سَطْحُهُ وأزره. ويليه في القِبْلَةِ منه دار كبيرة قد أُتْقِنَتْ بأنواع التذهيب وغرائبه، تَحَارُ فيه الأبصارُ، ويليه في قِبْلَتِهِ مجلس عظيم مُقَرْنَسٌ[5] بالرفوف المُزَوَّقَةِ المنقوشة المنزول فيها الذهب الطيب، مفروش بالرخام الأبيض، وقد أُزِّرَ بالرخام المنقوش.. المنزل فيه بغرائب الإنزال. وفي ذلك

---

(١) المرجع نفسه ص ١٧٩.

(٢) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٤.

(٣) عن الصمادحية انظر نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٦) و Los palacios del taifa almeriense al-Mutasim, en Cuadernos de la Alhambra, Vol. III. p. 15-20.

(٤) الدِّفَفُ: جمع دَفَّة وهي المِصْراع الخارجي للباب؛ يقال: دَفَّفَ إذا خَشَّبَ أي صَفَّحَ بألواح الخشب. تكملة المعاجم العربية (ج ٤ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

(٥) المُقَرْنَسَات أو المقرنصات Almecarabes زخرفة تشبه عشَّ النَّحل، بين جوافاتها الصغيرة دلايات منشوريّة الشكل. الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٤٨٨.

النَّقْش تاريخ بناه[1] والذي أَمَرَ به. ويليه صَحْنٌ قِبْلِيَّةٌ أبوابٌ عليها شراجب[2] يطلع منها إنْ أَحَبَّ إلى جميع مدينة ألمريّة وإلى بَحْرِها وإقبال السفن إلى مَرْساها وخروجها منه إلى العُدْوَة[3] وسائر البلاد.. وبنى بخارج مدينة ألمريّة بستاناً وقصوراً متقنة البنيان غريبة الصناعة، وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها؛ ففيها من كلِّ شيء غريب مثل الموز الكثير وقصب السكر وأنواع سائر الثمرات ممّا لا يقْدرُ على صفته، وفي وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الأبيض. ويسمّى ذلك البستان بالصُّمَّادِحِيّة، وهو قريب من المدينة جداً، وقد آتَّصَل[4] به بساتين كثيرة تقرب من صفتها، فيها متنزهات لا يعلم مثلها في جميع المتنزهات»[5].

ويفهم من هذا النصّ أنَّ قصر المعتصم كان يضمُّ قصوراً ومجالسَ داخليّة على غرار القصر[6] الخلافي بقرطبة. ولقد أشار آبن خاقان فقط إلى آثنين من هذه المجالس، واصفاً جدرانهما بأنَّها كانت مَكْسُوَّةً بلوحات من المرمر. يقول: «فكثيراً ما كان (أي المعتصم) يعمر أندية اللَّهْو ويداولها من مجلس الحافة إلى البَهْو، كلاهما سَرِيُّ المنظر، قُمْرِيُّ المَرْمَر»[7]. وينسب آبن الخطيب مجلس البَهْو إلى خيران العامري فيقول: بألمريّة بَهْوُ خيرانَ وقصر آبن صمادح[8]. وكأنِّي به يُقِرُّ بأنَّ هذا البهو لا صلة له بقصر المعتصم. وهذان المجلسان؛ الحافة والبهو، قد يكونان هما اللذين ذكرهما العذري في نصِّه السابق الذكر.

---

(١) هكذا وردت هذه الكلمة في النص، والصواب «بنائه»، أي تاريخ بناء القصر. والمراد بعبارة «والذي أمَرَ به» أي نُقِشَ آسمُ المعتصم كونه أَمَرَ ببناء القصر المذكور.

(٢) الشراجب: قوائم أو أعواد مثل السياج الخشبي الذي تتقاطع فيه الأعواد على شكل رقعة الشطرنج، مفردها شَرْجب. تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٣٣ حاشية ٤. وفي تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ٧٧: الشراجب هي النوافذ.

(٣) المراد هنا العُدْوَة المغربية.

(٤) الصواب: «اتصلت» لأنَّ الفاعل هو كلمة «بساتين» وهي مؤنثة ولا يفصل بين الفعل والفاعل سوى حرف جر.

(٥) نصوص عن الأندلس ص ٨٤ - ٨٥.

(٦) كان القصر الخلافي بقرطبة يضم مجالس عدّة تحدّث عنها الدكتور سالم في كتابه «قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس» (ج ١ ص ١٨٧ - ١٩١).

(٧) قلائد العقيان ص ٤٧.

(٨) مشاهدات لسان الدين ص ٤٧.

ولقد أشاد آبن سعيد بقصور الصُّمَادِحِيَّة فقال: «وأعظم مبانيها (أي مباني ألمريّة) الصُّمَادِحِيّة التي بناها المعتصم ابن صمادح[1]. «وفي رواية للمقّري، يتحدّث فيها عن عدل المعتصم وتورعه، يلقي علينا بعض الضوء عن هذا القصر الكبير وبستانه العظيم الاتّساع[2].

وكانت الجداول تخترق هذا البستان منسابةً على حَدّ قول آبن خاقان: «وأخبرني الوزير المذكور (أي أبو خالد بن بَشْتَغْيَر) أنّه حَضَرَ مجلسه (أي مجلس المعتصم) بالصُّمَادِحِيّة في يوم، وفيه أعيان الوزراء، ونبهاء الشعراء، فقعد على موضع يتداخل الماء فيه، ويتلوّى في نواحيه، والمعتصم منشرح النفس، مجتمع الأنس. . .»[3] نشير هنا إلى أنَّ ألمريّة لم تكن تقتصر على هذا البستان العظيم، بل كان لها مُتَفَرَّجَاتٌ عدّة كان يقصدها أهل ألمريّة للتمتّع بمناظرها والتلطّف بنسيم هوائها العليل، كُمنىٰ عبدوس، ومَنَى غسّان، والنِّجَاد، وبِرْكة الصُّفْر، وعين النُّطِيَّة[4].

وبرغم المعلومات القيّمة التي يُمِدُّنا بها مورينو فقد آكتفى بذكر قصر واحد في هذه القصبة، دون أنْ يسمِّيَه أو يسمِّي بانِيَهُ، فيصفه بقوله: ويبدو قصر هذه القصبة، القائمُ في المرتفع الثاني، على شكل شبكة من جدرانٍ سميكة مشيّدة بِملاط شديد الصلابة، قد آكتُشِفَ جُزْءٌ منه، ويغطّي بعضَ أجزائها السفلى طِلاَءٌ من اللون الأحمر المائل إلى الصفرة. . وطائفة أخرى من الجدران مشيّدةٌ بالآجُرِّ والأحجار، تتألّف بينها دروب تمتدُّ بين غرف مربّعة مع بعض الدرج. ولكنْ كلُّ ذلك يحيط به الغموض ما دام لم يُسْتَكْمَلْ كشف القصبة كلّها؛ إذ آقتصر الكشف الدقيق على الطرف الشمالي للنطاق كلِّه، حيث يظهر جسم بناءٍ أَشْبَهُ ما يكون بشرفة تطلُّ على طريق لاهويا (La Hoya)، ويتألف من طابقين وعقود ضخمة في الواجهة، احتفظ أحدها بصورته التي على شكل حذوة الفرس، وتتعلّق هذه العقود بقاعات طولها ٦٥، ٩ م، وعرضها ٣٢، ٢ م، ربّما كان يغطيها سوق في كل من الطابقين. وقد بقيت في الجزء الأمامي قاعة أخرى حُفِظَ منها طابقُها الأسفل وهو أشبه بسرداب دون باب ظاهر،

---

(١) المغرب (ج ٢ ص ١٩٤).

(٢) وردت هذه الرواية مفصّلة في الصحيفة ٥٧، فأنظرها

(٣) قلائد العقيان ص ٤٩، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٦٦).

(٤) انظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٤). والصُفر: معدن يكاد يشبه الذهب، نفح الطيب (ج ١ ص ٢٠٠).

ويتقدّمها ما يشبه الرِّواق. . . وعلى يمين ذلك آكتشِفَ حَمّامٌ مؤلّف من خمس غرف في صف واحد، بآثنتين منهما حواجزُ جانبيّةٌ من البناء، وبالغرفة الأخيرة أنابيب التسخين والمداخن المعروفة الممتدّة في الجدران، ويحتفظ الحَمّام ببقايا قبوات أسطوانية وعقود من الآجرُ. وقد عُثِرَ بين أطلال القصر على أجزاءَ من أحواض من الرخام وهي مزيّنة بزخارف بارزة. . أو على شكل جَفْنَةٍ كبيرة يحيط بها نَقْشٌ كوفيّ، أو يشتمل على نقوش تاريخيّة لم تدرس بَعْدُ، أو ذوات زخارفَ جِصيّة يشبه بعضها زخارف عصر بني نصر»[١].

وذكر الدكتور سالم أنّ المرتفع الثاني من القصبة كانت تشغله قصور القصبة وملحقاتها، دون أنْ يُسَمِّيَها أو يُسَمِّي بُنَاتَها[٢]. وآنتهى إلى القول: في نهاية الطرف الشمالي من هذا المرتفع بناء أشبه ما يكون بشرفة تطلّ على خندق باب موسى، وكان مؤلّفاً من طابقين، وفي قاعاته عقود ضخمة أحدها متجاوز من الطراز الخلافي. ولقد آكتشِفَ بين أطلال القصر على حَمّام يتألّف من خمس غرف تمتدُّ طولاً في محور واحد. وفي الجزء الجنوبي من هذا المرتفع حوضٌ جَوْفيٌّ أو خَزّانٌ مشيَّدٌ في جوف الأرض. وما تزال آثار هذه القصور إلى اليوم؛ منها أجزاء من جدران مشيّدة من الطابية، وبعضها من الآجُرّ وقطع الحجارة، وهذه الجدران تحصر فيما بينها غرفاً مربّعة[٣].

ويقدّم لنا آبن الحداد الأندلسي، شاعر المعتصم آبن صمادح، وصفاً رائعاً لهذا القصر ومَجْلِسَيْهِ فيقول[٤] من قصيدة مديح في المعتصم (الكامل):

فالحُسْنُ أَجمَعُ ما يُرِيكَ عِيانُهُ ... لا ما أَرَتْهُ سَوالِفٌ وعُيُونُ[٥]

---

(١) الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٢) تاريخ مدينة ألمريّة ص ١٣٨.

(٣) المرجع نفسه ص ١٣٩.

(٤) وردت هذه الأبيات في الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٩ - ٢٨١) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٩ - ١٩٢)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٠١) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٤)، والأفضليات (ج ١١ الورقة ٤٦)، ومسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠١).

(٥) السوالف: جمع السالفة وهي الماضية أمام الغابرة. ويريد الشاعر أن يقول: إنّ رؤيتك حُسْنَ هذا القصر بعينك المجرّدة غَيْرُ ما يحكي لك عنه الآخرون نقلاً عن مشاهدات غيرهم؛ لأنّ النَّقل شَكٌّ والعِيَانُ يقين.

والرَّوْضُ ما آشتملَتْ عليه شَمُولُهُ — لا ما حَوَتْهُ أَبَاطِحٌ وحُزُونُ(١)

قـد عَلَّلَ الأَزْهَـارَ زاهِـرُ حُسْنِـهِ — لا الـوَرْدُ مُلْتَفِتٌ ولا النِّسْرِينُ(٢)

والمَجْلِسـانِ النَّيِّـرَانِ تـآلَفَـا — هـذا لهـذا في البهـاءِ قَـرِينُ(٣)

كـالمُقْلَتَيْنِ أو اليَـدَيْنِ تَـأَيَّـدَا — والحُسْنُ يَعْضِدُ أَمْرَهُ التَّحْسِينُ(٤)

وكـأنَّ راسِـمَ خَـطِّهِ إقْلِيْـدِسٌ — فَمَوَاثِلُ الأَشكـالِ فيـه فُنُونُ(٥)

مِـنْ دائـرٍ ومُـكَـعَّـبٍ ومُـعَـيَّنٍ — ومُحَجَّنٍ تَقْـوِيسُـهُ التَّحْجِينُ(٦)

شَمَخَتْ فلا تُحْنَى سَوَارِيْهـا لها — كـلَّا، ولا تُـرْمَى بهـا فَتَبِينُ(٧)

فهنالك التَّضْعِيفُ والتَّثْلِيْثُ والتـ — ـربيـعُ والتَّسْدِيسُ والتَّثْمِينُ(٨)

لـو أَبْصَرَتْـهُ الفُرْسُ قَدَّسَ نُـوْرَهُ — كِسْـرَى وأَخْبَتْ نارَهـا شِيرِينُ(٩)

---

(١) الشَّمُوْل: الخمر، والأباطح: جمع البطيحة والبطحاء وهي مَسِيْلٌ واسع فيه دُقَاقُ الحَصَى. والحُزُوْنُ: جمع حَزْن وهو ما غلُظ من الأرض في آرتفاع. يقول: إنَّ قصر المعتصم روض بحدٍّ ذاته يُرِيحُ النَّفْسَ ويَسُرُّها.

(٢) النِّسْرِينُ: ورد أبيضُ قويُّ الرائحة، فارسيّ معرَّب. يقول: إنَّ قصر المعتصم خالٍ من الأزهار، وإنَّ حُسْنَهُ يُعَوِّضُ ذلك فيسدُّ مَسَدَّها.

(٣) يقول: إنَّ مَجْلِسَي القصر متشابهان في البهاء مُتَمِّمان لبعضهما البعض.

(٤) يقول: يتآلف هذان المجلسان كما تتآلف عَيْنَا الإنسان أو كما تتعاضد يداه.

(٥) إقليدس أو قليدس هو آبن نوقراطس أو نوقطرس بن برنيقس، الرياضي اليوناني المشهور في الهندسة. ولد في الإسكندرية، وقيل: في صور، وهو من الفلاسفة الرياضيِّين، ومن حكمه: «الخَطُّ هندسة روحانيّة ظهرت بآلة جسمانيّة». له كتاب «أصول الهندسة». راجع الفهرست ص ٣٢٥، والملل والنحل ص ١١٤، ودائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (ج ٤ ص ٩١ - ٩٣).

(٦) المُعَيَّنُ: المثقوب أو الذي فيه ترابيعُ صغارٌ كعيون الوحش، والمُحَجَّنُ: المُعْوَجّ.

(٧) يقول: إنَّ البناء شامخ وطيدٌ تحمله الأعمدة الضخمة فلا تنحني تحت ثقله ولا تتهدم.

(٨) يعدِّد الشاعرُ هنا أشكال القصر الهندسية.

(٩) كِسْرَى: هو كِسْرَى أَبْرَوِيْز بن هُرْمُز بن كسرى أنوشِرْوَان بن قُبَاذ بن فيروز بَهْـرَامَ بـن هُرْمُزَ بن سابور بن أَرْدَشير بن بَابَك. جمهرة أنساب العرب ص ٥١١.

وشِيْرِيْنُ: هي حَظِيَّةُ كِسْرَى أَبْرَوِيْز، وكانت من أجمل خلق الله، وتعني بالفارسية «الحلو». والفرس يقولون: كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لِمَلِكٍ قبله ولا بعده مثلها؛ فرسه شبديز، وجاريته شيرين، ومُغَنِّيه وعَوَّاده بلهبذ. وقصر شيرين من عجائب الدنيا، فيه أبنية عظيمة شاهقة، وهي إيوانات كثيرة متَّصلة، وقصور، ومتنزّهات، وأروقة، وحُجُرات تدلُّ على طَوْلٍ وقـوة. معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٥٨). والشاعر يريد أن يقول: إن قصر المعتصم أكثر عظمة من قصر شيرين، وإنّه لو كان على أيام كِسْرَى وزوجته شيرين لَقَدَّسَ كِسْرَى نُوْرَهُ ولأَخْبَتْ شيرينُ نُورَ قَصْرِها.

أو لـو بَدَا للرُّوْمِ مُعْجِزُ صُنْعِهِ ۞ أَبْدَى السُّجُوْدَ إليه قُسْطَنْطِينُ[١]
رأسٌ بِـظَهْـرِ الـنُّـوْنِ إلاّ أنَّـه ۞ سامٍ، فَقُبَّتُهُ بِحَيْثُ النُّـونُ[٢]
في رأسِـهِ سَبَقَ النَّعَامَ سمـاؤه ۞ مِنْ دوْنِـهِ دَمْعُ الغَمَـامِ هَتُونُ[٣]
قَصْـرٌ تَبَيَّنَتِ القُصُـوْرُ قُصُـوْرَهـا ۞ عنـه، وفَضْـلُ الأفضلَيْنَ يَبِينُ[٤]
هـو جَنَّـةُ الـدنيـا تَبَـوَّأَ نُـزْلَهـا ۞ مَلِكٌ تَمَلَّكَـهُ التُقَى والـدِّينُ[٥]
فكـأنَّما الـرحمنُ عَجَّـلَهَـا لـه ۞ لِيَرَى بما قـد كان ما سيكونُ[٦]
وكـأَنَّ بـانِيَـهُ سِنِمَّـارٌ فمـا ۞ يَعْـدُوْهُ تحسيْنٌ ولا تَحْصِيـنُ[٧]

٥ ـ مسجدها الجامع:

بُنِيَ المسجد[٨] الجامع بالمريّة في عهد عبد الرحمن الناصر، وقد أمر بتأسيسه

---

(١) قُسْطَنْطِينُ: هو ملك الروم الذي بنى مدينة قُسْطَنْطِيْنَةَ فسمِّيَتْ بآسمه، ومنارتها من المنائر العجيبة، والحكايات عن عِظَمِها كثيرة. معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨)، ومعجم ما استعجم (ج ٣ ص ١٠٧٤).

(٢) يقول: إنَّ رأس القصر سامٍ تعلوه قُبَّةٌ على شكل حرف النون، أي إنَّها مستديرة منخفضة.

(٣) النَّعَامُ: ثمانية كواكب من منازل القمر، أربعة في المَجَرّة وتسمَّى الواردة، وأربعة خارجة تسمَّى الصادرة. والغَمَامُ: السَّحاب، والواحدة غَمَامَة. وهَتُوْنٌ: يقول: إنَّ رأس القصر يناطحُ السَّحابَ، بل هو أكثر عُلُوّاً من منازل القمر.

(٤) يقول: إنَّ قصر المعتصم أفضل قصور الدنيا، لا يوازيه أيُّ قصر في العظمة والجمال.

(٥) الملك هو المعتصم ابن صمادح.

(٦) هاء الضمير في عجلها تعود إلى جنة الدنيا في البيت السابق.

(٧) سِنِمَّار: هو بنَّاءٌ روميٌّ بنى بظهر الكوفة قَصْرَ الخَوَرْنَق للنُّعْمان الأكبر ابن آمرىء القيس، ولمَّا فرغ من بنائه عجبوا مِنْ حُسْنِهِ وإتقان عمله فقال: لو عَلِمْتُ أنكم تُوَفوني أُجْرتي وتصنعون بي ما أَسْتحقّه لَبَنَيْتُه بناء يدور مع الشمس حيثما دارتْ، فقالوا: وإنَّك لَتَبْني ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه؟ ثم أمر النعمانُ بِهِ فَطُرِحَ من رأس القصر فتقطَّع، فضرب ذلك مثلاً لكلِّ مَنْ فَعَلَ خيراً فَجُوزِيَ بضدِّه، فقيل: (جزاء سِنِمارٍ). وقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة راجع خزانة الأدب (ج ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، والأفضليات (ج ١ الورقة ٤٦)، والعمدة (ج ٢ ص ٢٢٩)، ومجمع الأمثال (ج ١ ص ١٥٩)، ولسان العرب، ومحيط المحيط، مادة (سنمر). ويريد آبن الحداد أنْ يقول: إنَّ قصر المعتصم يضاهي قصر الخَوَرْنَق حُسْناً وإتقان عمل، بحيث أجاد بانيه في صناعته إجادة سِنِمَّار في صناعة قصر النعمان.

(٨) كانت المريّة تضمُّ داخل أسوارها عدداً كبيراً من المساجد، شأنها في ذلك شأن غيرها من مدن الأندلس. وللأسف لم يصلْنا من أسماء هذه المساجد سوى ثلاثة هي: مسجد اللبيسي الواقع في=

بعد سنة ست وأربعين وثلاثمائة / ٩٥٧ م، وهو العام الذي بَنَى فيه واجهةَ بيت الصلاة بجامع قرطبة[1]. ويعتقد توريس بلباس أنَّ المسجد بُنِي بعد سنوات قليلة من توسيع الحكم المستنصر للمسجد الجامع بقرطبة، وأنَّه كان يتألف في البداية من خمسة أروقة ومحراب مربّع الشكل على نمط محراب المسجد الجامع بقرطبة[2]. وذكر كريستيان إوِرث أنَّ المسجد كان مؤلَّفاً في البداية من ثلاثة أروقة، ثم أصبح له خمسة أروقة بعد الزيادة الأولى، وسبعة أروقة بعد الزيادة الثانية[3]. وجدير بالذكر أنَّ الزيادتين المذكورتين تَمَّتا على أيدي خيران وزهير العامريَّيْن. وقد تحدَّث العُذْري عن هاتين الزيادتين، ولكن دون أنْ يحدِّد عدد بلاطاتهما، فقال: «وزاد (أي خيران) في قبلة جامع ألمريّة سنة عشر وأربعمائة / ١٠١٩ م، زيادة جميلة اتّسع بها جامع ألمريّة.. وبنى (أي زهير) وزادَ في جامع ألمريّة عن غَرْبيّه وشَرْقِيّه وجوْفيّه (أي لجهة الشمال) بلاطاً من كل ناحية، وعظم المسجد، وحَبَسَ عليه الفنادق والحوانيت التي في قبليِّ الجامع وفي شرقه وفي كثير من جَوْفِيِّه»[4]. وأغفل ابن الخطيب الزيادة التي قام بها خيران العامري، مشيراً فقط إلى الزيادة التي أجراها زهير العامري: «وله بألمريّة آثار جميلة؛ هو الذي بنى المسجد الجامع بها، وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث ما سوى القِبْلَة[5]. وردَّد هذا القول في مكان آخر: «بَنَى المسجدَ في ألمريّة، وزاد فيه من جهاته الثلاث؛ المشرق والمغرب والجوف»[6].

ولم يُشِرْ توريس بلباس إلى الزيادة التي أجراها زهير العامريّ، واكتفى بالحديث عن زيادة خيران العامري، وحصرها بِرِواقين، رِواق من كلٍّ جانب، وذكر

= ربض ألمريّة الغربي وكان صاحبه عبد الرحمن البلوي، ومسجد حونة، ومسجد طرفة. وهذه المساجد ومساجد مدن وقرى مملكة ألمريّة لم تتحدَّث عنها المصادر التي بين أيدينا. تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٤٤ - ١٤٥.

(١) تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٤٦ وما بعدها.

(٢) La mezquita mayor de Almeria, en Al-Andalus, Vol XVIII, p. 425-426.

وانظر أيضاً: Ampliación y tamaño de varias mezquitas , en Al-Andalus, Vol. XXI. p. 345.

(٣) El mihrab de la mezquita mayor de Almeria, en Al-Andalus, Vol. XXXVI. p. 456

(٤) نصوص عن الأندلس ص ٨٣.

(٥) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦).

(٦) الإحاطة بتحقيق عنان (ج ١ ص ٥١٨).

أنَّ الرِّوَاقَيْنِ كانا أكثر آتّساعاً من الأروقة الأخرى(۱). وأضاف: أقدم خيران على توسيع المسجد بعد أن كثر في عهده، عدد الوافدين إلى ألمريّة، وأنَّ الحفريات التي أجريت في داخل المسجد أسفرتْ عن وجود ثلاثة أساسات من الجدران؛ اثنان منها يختصّان بالرِّواق الأوسط، والثالث يختصُّ بالرِّواق الواقع شرقي الرِّواق الأوسط، كما أسفرتْ عن وجود خمسة أروقة، وأنَّ الرِّواق الذي زِيْدَ من جهة الغرب أكثر آتّساعاً من الرواق الأوسط ومن الأروقة الجانبيّة(۲).

وذهب جوميث مورينو إلى أنَّ خيران العامري أعاد بناء الجامع وزاد فيه ولكن دون أنْ يمسَّ القبلة أو جدارها(۳). ورأى الدكتور سالم أنّه بالإمكان أنْ تُنْسَبَ إلى زهير العامري زخارف المحراب القديمة المختفية تحت طبقة الزخرفة الموحدّية التي تُشَاهَدُ اليوم، وأنَّ الزخارف القديمة وُجِدَتْ أيضاً في العقود المدبّبة التي كانت تزيِّن اللوحات الوسطى، وفي المساند الملفوفة التي عُثِرَ عليها في أرض الجامع(٤). وذهب إلى أنَّ مئذنة الجامع، التي لم تكشف الأبحاث الأثريّة بعدُ عن أساسها، كانت تقوم في جَوْفِيِّ الجامع، وبالتحديد في منتصف المجنّبة الشماليّة التي أقامها زهير عندما زاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث، وذلك على نحو مئذنة جامع قرطبة وغيرها من المساجد التي أُقِيْمَتْ في فترة الخلافة(٥). وذهب أيضاً إلى أنَّ هناك تشابهاً بين المساند الملفوفة التي عُثِرَ عليها في أرضيّة مسجد ألمريّة وبين مساند واجهة صحن مسجد قرطبة، التي أقامها الناصر في سنة ست وأربعين وثلاثمائة / ٩٥٧ م، وأنَّ أفاريز مسجد ألمريّة الزخرفيّة الصغيرة ذات التشابكات القائمة على الخطوط المستقيمة وعلى الدوائر، والتي تشبه أفاريز قصبة مالقة وقصر الجعفريّة بسرقسطة، ترجع إلى عصر المعتصم آبن صمادح؛ إذ ليس من المستبعد أن يكون هذا الملك، وهو الذي زَوَّدَ هذا المسجد بالمياه، قد أضاف إلى عناصره بعض الزخارف(٦).

ولقد جَلَبَ المعتصمُ الساقيةَ، وبلغها إلى جامع ألمريّة بحيث كان الماء يصبُّ

---

(۱) La mezquita mayor de Almeria, P. 426 .

(۲) الإحاطة بتحقيق عنان (ج ۱ ص ٤١٣، ٤١٦).

(۳) الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٩.

(٤) تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٥) المرجع نفسه ص ٤٩.

(٦) المرجع نفسه ص ١٤٨.

في حوضٍ أُقِيْمَ غربيَّ الجامع. كما أجرى من هذه الساقية قناة تصل إلى ما وراء القصبة بحيث كان ماؤها يجري تحت الأرض حتى يبلغ إلى بئر أُقِيْمَتْ في جَوْفِيِّ القصبة. وصنع على هذه البئر سواني[1]، يصل ماؤها إلى الرياض التي تحف قصره الكبير. وقد أَطْلَعَنَا العُذْري على هذه التفاصيل في قوله: «وَجَلَبَ المعتصمُ بالله الساقيةَ وبلغها إلى جامع ألمريّة، وكان وُصُوْلُها وجَرْيُ الماء فيها إلى السقاية (أي الحوض) التي بني[2] في غربي جامع ألمريّة أول يوم من شهر رمضان سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة وجلب منها أيضاً غُصْناً (أي قناة) إلى وراء قصبة ألمريّة، وسرَّبَ تلك الساقية تحت الأرض حتى بلغت البئرَ الذي أُحْدِثَ في جَوْفي القصبة، وصنع عليه سواني يُسْنَى فيها، ويصل ماؤها إلى الرياض، الذي ذكرنا في الدار الموصوفة»[3]. كما أشار الحميري إلى شيء من ذلك فقال: «وعلى ربضها المعروف بالمُصَلَّى سُوْرُ ترابٍ بَنَاهُ خيرانُ العامريُّ، وكان قد أوصل إلى هذا الرَّبَضِ ماءَ العَيْنِ التي هناك، وأجراه في سقاية. ثم أوصله محمد بن صمادح إلى سقاية عند جامعها داخل المدينة، وآستطرد منه جدولاً يصبُّ في أسفل القصبة، ويُرْفَعُ بالدواليب إلى أعلاه»[4].

ويفهم من هذين النَّصَّيْن أنَّ المعتصم أقام ناعورة ترفع الماء إلى أعلى القصبة، ثم يجري الماءُ من هناك في ساقية إلى القصر ويتفرّع في جداوِلَ مستراحات القصر ومجالسه[5].

وأغلبُ الظنِّ أنَّ مسجد ألمريّة أُصِيْبَ بأضرار فادحة أثناء آحتلال الروم[6]

---

(١) السَّوَاني: مما يُسْقَى عليه الزرع والحيوان وغيرهما، مفردها سانية، والمساني: المُسْتَقي، وأرضٌ مَسْنُوَّةٌ ومَسْنِيَّةٌ أي مَسْقِيَّة. لسان العرب (سنا).

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: «التي بنيت».

(٣) نصوص عن الأندلس ص ٨٥. وانظر أيضاً La mezquita mayor de Almeria, P 427.

(٤) الروض المعطار ص ٥٣٨..

(٥) راجع تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ص ١٤١.

(٦) استولى زعيم الروم المعروف بالسُّلَيْطِيْن على ألمريّة ودخلها عَنْوَةً يوم الجمعة السابع عشر من جُمادى الأولى من سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٧م، ثم آسترجعها الموحدون في سنة ٥٥٢ / ١١٥٧ م . راجع نفح الطيب (ج ٤ ص ٤٦١ - ٤٦٣)، ومعجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩)، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٤، والإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٢٧١). والسُّلَيْطِيْنُ هو ألفونسو السابع ابن دونيا أوراكا=

للمدينة في سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة / ١١٤٧ م، وذلك بالاستناد إلى نصّ الحِمْيري: «وكان الروم مَلَكُوْها فغيّروا محاسنها وسَبَوْا أهلها وخرّبوا ديارها»[١]، ونصّ المقري: «ودخل الموحّدون المدينة، وقد خربت وضعفت، إلى أنْ أَحْيَا رَمَقَها الرئيسُ أبو العباس أحمد بن كمال»[٢]. ويفهم من هذين النَّصَّيْن أنَّ الموحّدين أصلحوا ما كان خرَّبه الفرنجُ في المدينة، إذ ليس من الطبيعي ألاَّ يكونَ مسجدُها الجامع بين المباني التي أقدم الموحّدون على ترميمها بعدما آستعادوا المدينة من المُحْتَلِّين. ويعتقد بلباس أنَّ محراب مسجد ألمريّة الجامع قد أصابه تَلَفٌ أثناء آحتلال القشتاليّين للمريّة، وأنَّ الموحّدين بعدما آستعادوا هذه المدينة بادروا إلى تجديد هذا المحراب وتزيينه[٣]. وهذا المحراب، يضيف بلباس، هو الجُزْءُ الوحيد الذي ظلَّ مسجد ألمريّة محتفظاً به، وهو مربّع الشكل على غرار محراب المسجد الجامع بقرطبة، طول ضلعه ٩٠، ١ م، وتعلوه قبّةٌ صغيرة من الحجر مثمنة المقاطع[٤]. ويرى إورث أنَّ آخر فترة تمّ فيها تزيين المحراب كانت أيام الموحّدين، وبالتحديد في السنوات الأولى من آسترجاع ألمريّة من أيدي القشتاليين[٥]. ولم يستبعد الدكتور سالم أنْ تكون أعمال الترميم التي أجراها الموحّدون في ألمريّة قد شملت أيضاً القصبة والأسوار والربض الغربي[٦].

وفي الواحد والعشرين من أيار من سنة ١٤٩٢ م تحوّل مسجد ألمريّة إلى كاتدرائيّة، وفي الثاني والعشرين من أيلول من سنة ١٥٢٢م حدث زلزالٌ عملَ على تهديم جانب كبير منه. ومنذ ذلك التاريخ آتّخذَ المسجدُ كنيسةً هي كنيسة سان خوان San juan الواقعة قريباً من دار الصناعة. وفي سنة ١٨٤٥ م حُوِّلَتْ هذه الكنيسة إلى

= Dona Uñraca التي خلفت ألفونسو السادس في حكم قشتالة وليون وجليقية. وقد تقدم ذلك ص ٥١ حاشية ٤

(١) الروض المعطار ص ٥٣٨

(٢) نفح الطيب (ج ٤ ص ٤٦٣).

(٣) La mezquita mayor de Ameria, p 428

(٤) Ibidem (p. 418)

(٥) El mihrab de la mezquite mayor de Almeria, p 401.
ويضيف كريستيان إورث: هُدِمَتْ قُبَّة المحراب في سنة ١٩٤٨، ثم أعيد بناؤها من الجِصّ في أوائل الخمسينات. المرجع نفسه ص ٤١٥.

(٦) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ٩٨.

سجن ومستودع للمدافع ومخزن للمؤن وفي سنة ١٨٧٨ م أُعيدَ البناء إلى كنيسة سُلِّمَتْ إلى جماعة الآباء الفرنسيسكان الذي حفظوا بقايا الجامع والكنيسة إلى أيامنا هذه. وفي سنة ١٩٣٨ م، ضربت الكنيسة بالقنابل، ومنذ ذلك الحين فَقَدَ المَبْنى صلاحياتِهِ الدينيّة(١).

ويمكننا أنْ نشاهد اليوم بوضوح جزءاً من الجدار الخارجي الشرقي لبيت الصلاة(٢). وعن حديثه عن كنيسة سان خوان يقول مورينو: «دَلَّتْ كنيسةُ سان خوان المُهَدَّمة على أنَّها مركز زاخر بالاكتشافات، ويقال إنَّها كانت مسجداً جامعاً للمدينة، وقد بقي منه محرابه وهو من طراز فنِّ الموحِّدين.. ومن المحتمل أنْ يكون المسيحيّون قد حَوَّلوا المسجد إلى كنيسة،وأنَّهم قد دمَّروه عندما جَلُوا عن المدينة سنة ١١٥٧ م ممّا أدّى بعد ذلك إلى تعمير الموحِّدين له فيما بعد»(٣).

ويرجِّح الأستاذ عنان أنَّ كاتدرائيَة ألمريّة الواقعة في وسط المدينة بُنِيَتْ فوق مسجد ألمريّة الجامع، جَرْياً على القاعدة التقليديّة التي اتَّبَعَتها إسبانيا في سائر مدن الأندلس(٤). ويضيف: وقيل إنَّ كنيسة سان خوان، إحدى كنائس ألمريّة القديمة، هي التي بُنِيَتْ فوق أنقاض المسجد الجامع بألمرية(٥).

ولقد زار الرّحالة الألماني منتزر هذا المسجد وقد تحوَلَ إلى كنيسة بُعَيْدَ سقوط ألمريّة في أيدي القشتاليّين في سنة ١٤٩٤ م فرأى فيه خمسين قِسِّيساً يُعْنَوْنَ بشؤون الدِّين المسيحي، فأبهره المسجد وروعته وإتقانه فقال واصفاً إيّاه: كان من أجمل مساجد مملكة غرناطة(٦) وأعظمها على الإطلاق؛ إذا كانت فيه مئات الثُّرَيّات

---

(١) انظر La Mezquite mayor de Almeria, p. 414-415, El Mihrab de la mezquita mayor de Almeria, p . 402-403

وتاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٤٥، ١٥٠.

(٢) راجع تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٩٦.

(٣) الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٢١٩.

(٤) الآثار الأندلسيّة الباقية في إسبانيا والبرتغال ص ١٩٤.

(٥) المرجع نفسه ص ١٩٥.

(٦) تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ ألمريّة كانت في عصر بني الأحمر تابعة لمملكة غرناطة، وأنَّها سقطت في أيدي القشتاليين في سنة خمس وتسعين وثمانمائة / ١٤٨٩ م، أي قبل سقوط الحاضرة، غرناطة بسنتين. راجع نفح الطيب (ج ٤ ص ٥٢٢)، وتاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٠٥، وتاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٨١.

والقناديل تضيء مُصَلَّاه أثناء الصلاة، وكان زيت الوقود المُخَصَّص للإضاءة يُحْفَظُ في خزائن خاصّة، وكان فيه غرفة خاصّة بقاضي المدينة، وكان صحنه مُبَلَّطاً بالمرمر ومغروساً بأشجار الليمون وغيرها من الأشجار، وكان يتوسّطه حوض ماء للوضوء[١].

٦ ـ دارها المخصّصة للحكم:

بنى المعتصم إلى جانب قصر الصمادحيّة في الجانب الشرقي من مدينة ألمريّة داراً للحكم فيها. وقد انفرد العُذْري بالإشارة إليها في قوله: «وبنى في شرقها (أي شرق ألمريّة) داراً للحكم فيه، متقن جداً»[٢].

٧ ـ مقابرها وأضرحتها:

اكتفتِ المصادرُ بذكر أربع[٣] مقابرَ لمدينة ألمريّة، أُقِيْمَتْ بظاهرها، وهي: مقبرة الشريعة القديمة أو مقبرة المُصَلَّى، ومقبرة الشريعة الجديدة، ومقبرة باب بجّانة أو مقبرة الربض الشرقي، ومقبرة الحوض أو مقبرة الربض الغربي، ولقد أقيمتْ مقبرة الشريعة القديمة خارج مدينة ألمريّة القديمة، وعُرِفَتْ بمقبرة المُصَلَّى، وأشار إليها ابن بَشْكُوَال عند ترجمته لأبي محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الجَذْلي، المعروف بابن الزفت، صاحب الصلاة والخطبة بجامع المريّة، المتوفَّى سنة أربع وأربعين وأربعمائة / ١٠٥٢ م[٤]. وذكرها الدكتور سالم وقال: كانت هذه المقبرة خارج مدينة ألمريّة القديمة، وبعد اتّساع هذه المدينة أصبحت المقبرة في داخلها مما حَدَّ من وظيفتها التي ظلّت تقوم بها حتى منتصف القرن الخامس الهجري[٥] منتصف القرن الحادي عشر الميلادي. كما ذكرها توريس بَلْباس وجعلها أقدم من مَقْبَرَتَيْ باب

---

(١) Viaje por España y Portugal, p. 30-31.

وانظر أيضاً La mezquita mayor de Almería, p. 423-425.

وتاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) نصوص عن الأندلس ص ٨٥.

(٣) تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ المقابر كانت منتشرة في مدن مملكة ألمريّة وقراها، ولكن المصادر أغفلتْ ذكرها.

(٤) الصلة (ج ١ رقم ٦٠٣).

(٥) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٢٩

بجّانة والحوض[1]. أمّا مقبرة الشريعة الجديدة، فقد أوجدها خيران العامري خارج مدينة ألمرية[2]. والمقبرتان الأخريان كبيرتان، وقد أُقِيمَتَا خارج أسوار رَبَضَي ألمريّة الشرقي والغربي، وأشار إليهما ابن بَشْكُوال، فذكر مقبرة الحوض عند ترجمته لأبي العباس أحمد بن عمر بن أنس بن قطبة العذري المريّي، المعروف بابن الدلائي، المتوفّى سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة / ١٠٨٥ م[3]، وفي ترجمة أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الرحمن الحُجْري، والمعروف بالشُمُنْتاني، نسبةٍ إلى شُمُنْتان من ناحية جيّان، المتوفّى سنة ست وثمانين وأربعمائة / ١٠٩٣ م[4]. وحدّد الدكتور سالم هذه المقبرة في السهل الممتدّ بين السُوْر القِبَليّ لربض الحوض وساحل البحر، بحيث كانت تمتدُّ حتى الرابطة التي تقوم مقامها اليوم كنيسة سان روكي[5] San Roque أمّا مقبرة باب بجّانة فقد ذكرها ابن بشكوال عند ترجمته لاثنين من أهل ألمريّة؛ هما أبو الحسن علي بن إبراهيم الأنصاري، المعروف بابن اللوان، والمتوفّى سنة ٥٣٣ هـ/١١٣٨م، والقاضي أبو عبدالله محمد بن خلف، المعروف بابن المرابط، والمتوفّى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م[6]. وذكرها ابن الأبّار في ترجمة أبي الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله بن إبراهيم التميمي السرقسطي، بقوله: «توفّي بألمريّة عشي يوم السبت، الثاني من ذي الحجة سنة أربعين وخمسمائة. ودفن عصر يوم الأحد بمقبرة باب بجّانة»[7]. وأعاد ذكرها في ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد ابن عبدالله بن أحمد الأنصاري، البلنسي الأصل، والمريّي المسكن، بقوله: «توفّي بألمريّة في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.. وقبره بمقبرة باب بجّانة من ظاهرها»[8] كما أعاد ذكرها في ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، البلنسي الأصل. والمريي المسكن بقوله: «توفي في الثامن والعشرين

---

(١) Cementerios hispanomusulmanes, en Al-Andalus, Vol. XXII, p. 178-179.

(٢) Ibidem. p. 179.

(٣) الصلة (ج ١ ص ٦٩ - ٧٠). وانظر أيضاً Cementerios, p. 179.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٢٩.

(٥) تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية ص ١٣٠ - ١٣١.

(٦) الصلة (ج ٢ ص ٤٠٥ - ٤٠٦، ٥٢٧ - ٥٢٨).

(٧) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ص ١٤٧.

(٨) التكملة لكتاب الصلة (ج ١ ص ٨٣ - ٨٤).

لشهر ربيع الأول سنة ٦٢١. . ودفن بحذاء أبيه بمقبرة باب بجّانة من ظاهر ألمرية»[١] وأشار إليها ابن الخطيب عند حديثه عن وفاة اللغوي أحمد عبد النور المالقي، فقال: «توفّي بألمريّة. . . ودفن خارج باب بجاية[٢] بمقبرةٍ من تُرْبَةِ الشيخ الزاهد أبي العباس بن مَكْنُوْن»[٣]. وحدَّد الدكتور سالم موقع هذه المقبرة في ربض ألمريّة الشرقي خارج باب بجّانة في بسيط من الأرض تجاه الطريق الذي كان يسلكه الداخلون إلى ألمرّية من الباب المذكور، وقال إنها أُنْشِئَت بعد قيام ربض المُصَلّى في أوائل القرن الخامس الهجري / أوائل القرن الحادي عشر الميلادي في عهد خيران العامري، وإنها كانت المقبرة الرئيسيّة في ألمريّة[٤]. وذكرها توريس بلباس وجعلها أكثر مقابر ألمريّة شهرة[٥]. وأضاف: عند مدخل ألمريّة، وبالتحديد قبيل الوصول إلى باب بجّانة بقليل، يلفت نظرك على حافّتي الطريق كثرة شواهد القبور، التي عليها كتابات منقوشة على مرمر ناصع البياض، والتي تميَّزت بها المريّة عن غيرها من مدن الأندلس[٦]. وذكر الدكتور أبو الفضل أنَّ المتحف الأهلي للآثار في مدريد يحتفظ اليوم بأحد هذه الشواهد وقد نقشت عليه كتابات بالخطِّ الكوفي[٧].

قَيْسَارِيَّتُها:

بُنِيَتْ قَيْسَارِيَّة ألمريّة على شاطئها قرب دار الصناعة، وكان التُّجّار يقصدونها ليؤمّنوا فيها على أموالهم. وقد انفرد العُذْري بالإشارة إلى ذلك فقال: «ودار صناعتها القديمة المذكورة (أي دار صناعة ألمريّة) قبل هذا قد قُسِّمَتْ على قسمين؛ فالقسم الواحد فيه المراكب الحربيّة والآلة والعدّة، والقسم الثاني فيه القَيْسَارية. قد رتب كلّ

---

(١) المصدر نفسه (ص ٦١٦).

(٢) الصواب: «بجانة» بالنون؛ لأنَّ بجاية مدينة بالجزائر، وقد نَبَّهْنا إلى ذلك من قَبْلُ في هذا البحث.

(٣) الإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٢٠٢).

(٤) تاريخ مدينة المريّة الإسلامية ص ١٢٩ - ١٣٠. وانظر أيضاً تاريخ مدينة المريّة الأندلسية ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٥) Cementerios hispanomusulmanes, p. 177.

(٦) Ibidem, p. 181.

(٧) تاريخ مدينة المريّة الأندلسية ص ١٩٩.

صناعة فيها حسب ما يشكّل لها. قد أمن فيها التجار بأموالهم، وقصد إليها الناس من أقطارهم»[1].

وحدّد الدكتور أبو الفضل موقعها في جنوب ألمريّة[2]. وميّز بين وظيفتها في المشرق ووظيفتها في الأندلس؛ ففي المشرق كانت مخزناً للمتاجر وإيواء للنزلاء من التجار، وفي الأندلس كانت سوقاً تجاريّة لخزن المتاجر وبيع السلع[3].

والقيسارية عبارة عن مجموعة أبنية عامّة تتَّخِذُ شكل رِواقِ دَيرٍ مُسَقَّف، ويتفرّع منها أَزِقَّةٌ على جوانبها حوانيْتُ ومشاغِلُ عمّالٍ ومخازنُ وحتى منازل[4].

ويجدر بنا أنْ نشير إلى وصف آبن جبير لقيسارية مدينة الموصل، ففيه إفادة: «وبُنِيَ أيضاً داخل البلد (أي الموصل) وفي سُوْقِهِ قَيْسارِيَّةٌ للتجار، كأنَّها الخان العظيم، تُغْلَقُ عليها أبوابُ حديدٍ، وتطيف بها دكاكينُ وبيوتٌ، بعضها على بعض»[5].

حُمَّتُها العجيبة:

بنى خيرانُ العامريّ حُمَّة ألمريّة العجيبة، وأكّد ذلك آبن الخطيب بقوله: «وبنى فيها (أي في ألمريّة) الحمَّة العجيبة، وفي أيامه بلغت المدينة من العمارة والقوة ما هو مشهور»[6]. ووصفها الحِمْيري وأسهب في وصفها، قائلاً: كانت هذه الحمَّة العجيبة الشأن في رأس جبل شامخ يقع شرقي بجّانة على بعد ثلاثة أميال منها، ولم يكن لها نظير في معمور الأرض إتقانَ بناء وسخانةَ ماء، وكان أهل الأسقام والعاهات يقصدونها من جميع النواحي، ويقيمون عليها حتى يشفوا من أمراضهم. وكان أهل ألمريّة يرحلون إليها في فصل الربيع بنسائهم وأولادهم بآحتفال في المطاعم والمشارب والتوسّع في الإنفاق، وربّما بلغ المسكن في الشهر بها ثلاثة

---

(١) نصوص عن الأندلس ص ٨٦.

(٢) تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٦٩.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٢٤.

(٤) انظر (I.V -p 873). Encyclopédie de l'Islam.

(٥) رحلة ابن جبير ص ٢١٠.

(٦) أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٢). وانظر أيضاً La poésie andalouse, p. 142.

دنانير مرابطية وأقلّ وأكثر[1]. وأضاف: وبِجَوْفِيِّ مدينة بجّانة، أي في شمالها، حَمَّةٌ أخرى أغزر من الحَمَّة الأولى، إلّا أنَّ الأولى أنجع في الأسقام وأصلح للأبدان.[2] وأشار توريس بلباس إلى الحَمَّة العجيبة بقوله: تعرف هذه الحَمَّة اليوم بآسم Sierra Alhamilla[3]. وعرَّف آبنُ منظور الحَمَّةَ بأنَّها عَيْنُ ماء فيها ماء حارّ يستشفي به الأعِلّاء والمَرْضَى[4].

١٠ ـ الأسواق والفنادق والمتاجر والحمّامات:

ضاق الحديث عن هذه المرافق في المصادر التي بين أيدينا، ممّا لم يفسح لنا المجال لنكوِّن فكرة عن تنظيمها وسير العمل فيها في عهد المعتصم ابن صمادح، والخدمات التي كان أصحابها يؤدّوها للسكان، والعائدات الماليّة التي كانوا يجبونها، والضريبة التي كانوا يقدّمونها لبيت مال الدولة، وما إلى هنالك من أمور. وكان أملنا كبيراً في العثور على معلومات قيّمة من العذري، كونه الجغرافيَّ الوحيد المعاصر للمعتصم، لتصبَّ في خانة البحث، ولكنَّ العذري آكتفى بالإشارة إلى فنادق وحوانيت كان حَبَّسَها زهير العامري على جامع ألمريّة من جهاته الثلاث؛ القبلة والشرق والجَوْف (الشمال)[5] دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى دورة الحياة في هذه المرافق الهامّة في عهد مليكه المعتصم.

وكان آبن حوقل من قبله بقرن من الزمن قد أشار إلى آشتهار ألمريّة بالأسواق والحمّامات والخانات[6]، وأغلب الظنّ أنّه يشير إلى ألمريّة في عهد عبد الرحمن الناصر وآبنه الحكم المستنصر. أمّا المقريّ الذي كان بعد العذري بخمسة قرون، فقد ذهب إلى أنَّ ألمريّة آمتازت على غيرها من مدن الأندلس بعظمة متاجرها، وأنَّه كان بها من الحمّامات والفنادق نحو الألف[7]، دون أن يحدِّد الفترة الزمنيّة التي

---

(١) الروض المعطار ص ٧٩ـ ٨٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) Almeria Islamica, p. 414.

(٤) لسان العرب (حمم).

(٥) نصوص عن الأندلس ص ٨٣.

(٦) صورة الأرض ص ١١١.

(٧) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣). نشير هنا إلى أنَّ المقري أخذ معلوماته عن كتاب «الروض المعطار» =

يتحدّث عنها. ويضيف: توزّعت فنادق وحمّامات في الربض الغربي المسّى بربض الحوض[1]. وذهب سالم وتوريس بلباس إلى القول بأنّ أسواقاً وفنادقَ وحمّاماتٍ توزّعَتْ حول ساحة المسجد الجامع بألمريّة»[2].

= للحميري ص ٥٣٨، وأنّ الحِمْيري لم يحدِّدْ بدوره الفترة الزمنيّة التي يتحدّث فيها عن مرافق المريّة

(١) نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣)

(٢) تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة ص ١٦٩، و .Almeria Islamica, p. 430-436



الخاتمة

هدفي من هذه الرسالة هو إبراز الصورة الحيّة التي كانت عليها مملكة ألمريّة في الميدانين التاريخي والحضاري. وقد تَوَصَّلْتُ إلى أنّ ألمريَّة عبارة عن مرتفعات وحصون بآستثناء الجهة الجنوبيّة الشرقيّة المحاذية للبحر المتوسط، وأنّها مدينة عربيّة مستطيلة الشكل آستَحْدَثَها الخليفةُ عبدُالرحمن الناصر في سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م، وأنَّ آسمها مُشْتَقٌّ من كلمة «رَأى»، أو من كلمتين هما «مرآة البحـر»، أو من فعل «مَرَى».

وآستَنْتَجْتُ أنَّ العرب المسلمين كانوا يقومون بدور جهادي كبير في المـوقع القديم لمدينـة ألمريّـة، وأنَّهم ظلّوا يحتفظون بهـذا الدور حتى عهد المعتصم ابن صُمَادح حيث آحتلَّت ألمريّةُ المركز الأولَ بين القواعد البحريّة في الأندلس.

وتوَّصلْتُ إلى أنَّ خيران العامريَّ هو أول من آستقلَّ بها (٤٠٥ ـ ٤١٩ هـ/ ١٠١٤ ـ ١٠٢٨ م)، وأنَّ الأمـر بعده صـار إلى زهير العـامـريّ (٤١٩ ـ ٤٢٩ هـ/ ١٠٢٨ / ١٠٣٧ م)، ثم إلى المنصور عبد العـزيز العـامري (٤٢٩ ـ ٤٣٣ / هـ/ ١٠٣٧ ـ ١٠٤١ م)، ثـم إلـى مَـعْـن بـن صُـمَـادح (٤٣٣ ـ ٤٤٣ هـ/ ١٠٤١ ـ ١٠٥١ م) ، ثـم إلى المعتصم ابن مَعْن بـن صُمَـادح (٤٤٣ ـ ٤٨٤ هـ / ١٠٥١ ـ ١٠٩١ م) ثم إلى معزِّ الدولة ابن المعتصم ، الذي حكم ستة أشهر حيث تسقط ألمريّة في أيدي المرابطين، ثم تخضع من بعدهم للموحّدين، ثم تصبح في عهد بني نصر ولاية من ولايات مملكة غرناطة، ثم تسقط في أيدي القشتاليين الإسبان يوم الجمعة العاشر من محرّم سنة (٨٩٥هـ / ١٤٨٩ م).

وكون المعتصم ابن صمادح الشخصيّة التي يَتَمَحْوَرُ حولها موضوع الرسالة،

توجَّبَ عليَّ أنْ أقدِّم نبذة عن حياته، فرأيْتُ أنَّه كان حسن السِّيْرَة في رعيَّته وجنده، ورعاً عادلاً متسامحاً بين الناس، شاعراً فذّاً بين شعراء عصره.

ورأيْتُ أنَّ صفاتِ وعاداتِ وتقاليد شعب مملكة ألمريّة تنحصر بكثرة التَّدَيّن، والبُعْد عن التعصّب الديني، وكثرة النظافة، والبعد عن الإسراف والتبذير مع كرم النَّفسِ والجُوْد، وحبِّ الموسيقى والغناء واللَّهْوِ والجِدِّ والهَزْلِ معاً. ووجدْتُ مجتمع ألمريّة يعاني من تناقض رهيب بين طبقة أرستقراطيّة تعيش حياة ترف ونعيم وأخرى فقيرة مُعْدمَة تعيش في بؤس دائم، ورأيته خليطاً من عناصرَ عديدةٍ وهُويّاتٍ عُرْقِيَّةٍ لم تُفْقِدْه آلاندماج والعيش المشترك، بحيث كان كلُّ عنصر يتأثّر بالآخر، ولكن كفّة ميزان العرب في التأثير كانت، هي الراجحة.

وفي المجال آلاقتصادي آستَنْتَجْتُ أنَّ إنتاج ألمريّة الزراعي في عهد المعتصم ابن صمادح كان كبيراً رغم الجفاف الذي كان يسودها ورغم قلّة أمطارها في فصل الشتاء، وأنَّ خيرات ما أُحِيْطَ بها من أراضٍ خصبة امتدَّتْ مع آمتداد مدنها وقراها كان أكبر، وأنَّ أهمَّ الحاصلات الزراعيّة هي الزيتون والأعناب والكَتّان. وآستَنْتَجْتُ أنَّ ألمريّة شهدتْ في عهد المعتصم تقدّماً في مجال الصناعة آمتازت به على غيرها من مدن الأندلس، وأهمّ الصناعات التي شَهِدَتْها كانت صناعة النسيّج ولا سيما الحرير منه، وصناعة الرخام، وصناعة المعادن، وصناعة الزجاج، وصناعة السفن، وصناعة الفخار وصناعة الزيوت. وَتَوصَّلْتُ إلى أنَّ ألمريّة شهدتْ نشاطاً تجاريّاً على المستويين الداخلي والخارجي، ساعدها على القيام بهذا الدور أهمِّيَّة موقعها على البحر المتوسط ووجود قَيْسَارِيَّة في دار الصنعة وكثرة خيراتها، وأنَّها كانت تصدِّرُ عبر مينائها الشهير الكثير من محاصيلها الزراعيّة ومُنْتَجَاتها الصناعيّة، وتستورد بالمقابل جميع البضائع التي كانت تحتاجها.

وفي الميدان الثقافي رأيْتُ أنَّ ألمريّة حَظِيَتْ في عهد المعتصم ابن صمادح بقسط كبير من النشاط الأدبي واللغوي بحيث بلغتْ أَوْجَها في تلك الفترة وذلك من خلال المجالس الأدبيّة واللغويّة والعلميّة التي كان يَعْقِدُها المعتصمُ ويَرْعَاهَا بقصره.

وفي ميدان العمران كان بودِّي الحديث عن المنشآت الحربيّة والمدنيّة والدينيّة التي أُقِيمَتْ في ألمريّة ومدنها وقراها، كالكتاتيب، والزوايا، والأربطة، ومدارس التعليم، والمستشفيات، والمساجد، ومآوي الأيتام والمشرّدين وأبناء السبيل، وغيرها

من معاهد العلم والأبينة التي كانت تُقَدَّمُ فيها خدماتٌ للسكان، ومنازل الناس، ولكنَّ المصادر التي تَحَدَّثَتْ عن ألمريّة ومليكها المعتصم ابن صمادح لم تَشِرْ إلى ذلك، وجلُّ ما ذَكَرَتْهُ ينحصر في الحديث عن قَصَبَةِ ألمريّة، وقَصْرِها المعروف بالصُّمَادِحِيَّة، ومَسْجِدِها الجامع، وَمَقَابِرِها وأَضْرِحَتِها، وقَيْسارِيَّتِها، وحُمَّيتِها العجيبة، وأسواقها وفنادقها ومتاجرها وحمّاماتها.

وهكذا حاولْتُ في صفحات هذه الرسالة أن أرسم الصورة التي كانت عليها مملكة ألمريّة في عهد المعتصم ابن صمادح، علَّني بذلك أكون قد وُفِّقْت.

والله هو الموفِّق والمُعِيْن



ثبت بأسماء المصادر والمراجع العربيّة والأجنبيّة

أولاً: المصادر والمراجع العربيّة:

١ ـ الآثار الأندلسيّة الباقية في إسبانيا والبرتغال للأستاذ محمد عبدالله عِنان القاهرة، ١٩٥٦.

٢ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (١ ـ ٤). تحقيق الأستاذ محمد عبدالله عِنان. مكتبة الخَانْجِي بالقاهرة، الشركة المصريّة للطباعة والنشر، ٧٣ ـ ١٩٧٧.

٣ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخَطِيْب. جزءان في مجلد واحد.

٤ ـ أخبار الغناء والمُغَنِّين في الأندلس (١١٣٨ ـ ٥٣٩ هـ) للدكتور إحسان عبّاس، مجلة الأبحاث، السنة ١٦، الجزء الأول، سنة ١٩٦٣.

٥ ـ أخبار وتراجم أندلسيّة مستخرجة من مُعْجَمِ السَّفْر للسِّلَفي. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت، ١٩٦٣.

٦ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض للمَقَّري التِّلْمسَاني (١ ـ ٣). تحقيق الأساتذة مصطفى السَّقَّا وإبراهيم الأَبْيَاري وعبد الحفيظ شَلَبي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، ١٩٤٠.

٧ ـ الأعلام للزِّرِكْلِي (١ ـ ٨). دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

٨ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحْتِلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخَطِيْب. القسم الثاني، تحقيق الأستاذ أ. ليفي بروفنسال. دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

٩ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط لابن الخطيب القسم الثالث، تحقيق الدكتور أحمد مختار العَبَّادي والأستاذ محمد إبراهيم الكَتَّاني. دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤.

١٠ ـ الأفضليّات لابن الصَّيْرَفي (١ ـ ٢). نسخة مصورة عن مخطوطة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تحت رقم MS 8927 s 27 a A.

١١ ـ أَنْدَلُسِيَّات للدكتور عبد الرحمن الحَجِّي. دار الإرشاد. بيروت، ١٩٦٩.

١٢ ـ بَدَائِعُ البَدَائِه لعلي بن ظافر الأَزْدي. تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة الأنجلو المصريّة. القاهرة، ١٩٧٠.

١٣ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضَّبِّي. دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧.

١٤ ـ بغية الوُعَاة في طبقات اللغويين والنُّحاة للسيوطي. دار المعرفة، بيروت.

١٥ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عِذَاري المَرّاكشي (١ ـ ٤). تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال والدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت.

١٦ ـ تاج العروس للزَّبَيْدي. المطبعة الخيريّة بمصر، ١٣٠٦ هـ.

١٧ ـ تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعي. الجزء الثالث. الطبعة الأولى، مصر، ١٩٤٠.

١٨ ـ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

١٩ ـ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) للدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤.

٢٠ ـ تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطيّة. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٢١ ـ تاريخ الأندلس لابن الكردبوس. تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي. معهد

الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧١.

٢٢ ـ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين للمؤرّخ الألماني يوسف اشباخ (١ ـ ٣). ترجمة الأستاذ محمد عبدالله عنان. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٤٠ ـ ١٩٥٨.

٢٣ ـ تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس للدكتور السيد عبد العزيز سالم والدكتور أحمد مختار العبادي. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩.

٢٤ ـ تاريخ التمدّن الإسلامي جرجي زيدان (١ ـ ٢). دار مكتبة الحياة. بيروت.

٢٥ ـ تاريخ العرب بقلم الدكتور فيليب حِتّي والدكتور إدوارد جرجي والدكتور جبرائيل جَبّور. الطبعة الخامسة، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ١٩٧٤.

٢٦ ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري للدكتور عبد العزيز الدوري. الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤.

٢٧ ـ تاريخ مدينة ألمريّة الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس للدكتور السيد عبد العزيز سالم. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩.

٢٨ ـ تاريخ مدينة ألمريّة الأندلسيّة في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها للدكتور محمد أحمد أبو الفضل. تصدير الدكتور السيد عبد العزيز سالم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الإسكندرية، ١٩٨١.

٢٩ ـ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين لأشباخ. تعريب الأستاذ محمد عبدالله عنان. مؤسسة الخانجي، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨.

٣٠ ـ تاريخ الموسيقى العربية للأستاذ هنري جورج فارمر. ترجمة الدكتور حسين نصار. القاهرة ١٩٥٦.

٣١ ـ تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) لابن الوردي (١ ـ ٢). دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠.

٣٢ ـ تقويم البلدان لأبي الفداء. تحقيق رينود وماك كوكين دي سلان، باريس، ١٨٥٠. (يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر).

٣٣ ـ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١ ـ ٢). عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني. مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦.

٣٤ ـ تكملة المعاجم العربية لرينهارت دوزي نقله إلى العربية الدكتور محمد سليم النعيمي. وزارة الثقافة والفنون بالعراق.

٣٥ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي. الدار المصريّة للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

٣٦ ـ جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري. تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجّي. دار الإرشاد، الطبعة الأولى بيروت، ١٩٦٨.

٣٧ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم. تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر، ١٩٦٢.

٣٨ ـ جيش التوشيح لابن الخطيب. تحقيق الأستاذ هلال ناجي. مطبعة المنار بتونس.

٣٩ ـ الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف للأستاذ ألبير مطلق. المكتبة العصريّة، صيدا ـ بيروت، ١٩٦٧.

٤٠ ـ حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون. ترجمة الأستاذ عادل زعيتر. دار إحياء التراث العربي. بيروت، ١٩٧٩.

٤١ ـ حضارة العرب في الأندلس للأستاذ ليفي بروفنسال. ترجمة ذوقان قرقوط. منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت.

٤٢ ـ الحُلَّة السِّيَرَاء لابن الأبار (١ ـ ٢). تحقيق الدكتور حسين مؤنس. الشركة العربيّة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

٤٣ ـ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية للأمير شكيب أرسلان (١ ـ ٣). دار مكتبة الحياة، بيروت.

٤٤ ـ الحُلَل المَوْشِيَّة في ذكر الأخبار المراكشية للسان الدين بن الخطيب. مطبعة التقدم الإسلامية بتونس، ١٣٢٩ هـ. وهناك طبعة الرباط (١٩٣٦) بتحقيق

الأستاذ علوش، مصدَّرة بعبارة: «مجهول المؤلِّف»، وهي عبارة صحيحة لأنه لا يصحُّ أنْ يُنْسَبَ هذا الكتاب إلى آبن الخطيب لأسباب عدة، منها الصياغة والمضمون. ونحن آعتمدنا في رسالتنا طبعة تونس، لعدم توفر الطبعة الثانية.

٤٥ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (قسم شعراء المغرب والأندلس الجزء الثاني)، تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٩.

٤٦ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (قسم شعراء المغرب والأندلس الجزء الثاني) حقّقه آذرنوش ونقّحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١.

٤٧ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (القسم الرابع، الجزء الثاني). تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٩.

٤٨ ـ خزانة الأدب ولبّ لسان العرب لعبد القادر البغدادي(١ ـ ٤) . القاهرة، ١٣٤٧ هجرية.

٤٩ ـ دائرة المعارف (١ ـ ١٤) بإدارة الدكتور فؤاد أفرام البستاني. بيروت، ١٩٥٦ ـ ١٩٨٣.

٥٠ ـ دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (١ ـ ١١) مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٦ ـ ١٩٠٠.

٥١ ـ دراسات اجتماعيّة في العصور الإسلامية للأستاذ عمر رضا كحالة. المطبعة التعاونية بدمشق، ٩٧٣.

٥٢ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (١ ـ ٤). حيدر آباد.

٥٣ ـ دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (وهو العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس) للأستاذ محمد عبدالله عنان. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٠.

٥٤ ـ ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه الدكتور يوسف طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٥٥ ـ ديوان ابن حمديس. صحّحه وقدّم له الدكتور إحسان عباس. دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠.

٥٦ ـ ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي. تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية. دمشق ٩٧٢.

٥٧ ـ ديوان ابن خفاجة. تحقيق الدكتور مصطفى غازي. دار المعارف بمصر ١٩٦٠.

٥٨ ـ ديوان ابن خفاجة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠.

٥٩ ـ ديوان ابن درّاج القَسْطَليّ. تحقيق الدكتور محمود علي مكي. منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ١٩٦١.

٦٠ ـ ديوان أبي تمام. شرح الدكتور شاهين عطية. دار صعب. بيروت.

٦١ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (أربعة أقسام في ثمانية مجلدات). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩.

٦٢ ـ الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (١ ـ ٦) تحقيق الأستاذين محمد بن شريفة وإحسان عباس دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

٦٣ ـ رايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي. تحقيق الدكتور إميليو غرسيه غومس مدريد، ١٩٤٢.

٦٤ ـ رحلة ابن جبير. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت، ١٩٧٩.

٦٥ ـ رسائل ابن حزم الأندلسي (١ ـ ٤) تحقيق الدكتور إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، ١٩٨٠ ـ ١٩٨٣.

٦٦ ـ الروض المعطار في حبر الأقطار (معجم جغرافي مع سرد عام) للحِمْيري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة. بيروت، ١٩٨٠.

٦٧ ـ الزجل في الأندلس للدكتور عبد العزيز الأهواني، القاهرة، ١٩٥٧.

٦٨ ـ الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٢.

٦٩ ـ زرياب أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس للدكتور محمود أحمد

الحفني. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة.

٧٠ ـ السفن الإسلامية على حروف المعجم لدرويش النخيلي. الإسكندرية، ١٩٧٤.

٧١ ـ سِيَرُ أعلام النبلاء للذهبي (١ ـ ٢٣). تحقيق مجموعة من الأساتذة.
مؤسسة الرسالة. بيروت، ١١٩٨١ ـ ١٩٨٥.

٧٢ ـ شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة زيغريد هونكه. ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي. دار الآفاق الجديدة. الطبعة السادسة، بيروت ١٩٨١.

٧٣ ـ صُبْحُ الأعشى في صناعة الإنشا للْقَلْقَشَنْدِي (١ ـ ١٤). نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية. المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٧٤ ـ الصقالبة في إسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركته الشعوبية للدكتور أحمد مختار العبادي. المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٥٣.

٧٥ ـ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (١ ـ ٢). نشر وتحقيق السيد عزت العطار. القاهرة، ١٩٥٥.

٧٦ ـ صورة الأرض لابن حوقل. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.

٧٧ ـ صور من الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١.

٧٨ ـ طوق الحمامة في الألفة والألّاف لابن حزم تحقيق الأستاذ فاروق سعد. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٢.

٧٩ ـ ظهر الإسلام للأستاذ أحمد أمين (١ ـ ٤). الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٦٩.

٨٠ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ثمانية مجلدات في أربعة عشر جزءاً) دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

٨١ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه (١ ـ ٧). شرح الأساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ١٩٤٩ ـ ١٩٦٥.

٨٢ ـ عقود الجمان لوفيات الأعيان للزَّرْكَشي (الجزء الثالث). نسخة مصورة عن مخطوطة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تحت رقم MS. 920. 02 Z 37 a A.

٨٣ ـ علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر للدكتور عبد القادر أحمد اليوسف. منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٩٦٩.

٨٤ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق (جزءان في مجلد). تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢.

٨٥ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة. تحقيق الدكتور نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت، ١٩٦٥.

٨٦ ـ فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الأسلامي إلى قيام الدولة الأموية) للدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٩.

٨٧ ـ فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة للدكتور حكمة علي الأوسي. مكتبة النهضة. بغداد، ١٩٧١.

٨٨ ـ فضائل الأندلس وأهلها (ثلاث رسائل لابن حزم وابن سعيد والشقندي). نشر الدكتور صلاح الدين المنجد. بيروت، ١٩٦٨.

٨٩ ـ الفن الإسلامي في إسبانيا لمانويل جوميث مورينو. ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محرز. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٠ ـ الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق. دار الثقافة، بيروت.

٩١ ـ الفهرست لابن النديم. تحقيق الأستاذ رضا تجدد. طهران، ١٩٧١.

٩٢ ـ فوات الْوَفِيات لابن شاكر الكتبي (١ ـ ٥). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.

٩٣ ـ في التاريخ العباسي والأندلسي للدكتور أحمد مختار العبادي. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١.

٩٤ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦.

٩٥ ـ قرآن كريم. دار الفكر. بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٩٦ ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس للدكتور السيد عبد العزيز سالم (١ ـ ٢). دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١ ـ ١٩٧٢.

٩٧ ـ قصة الأدب في الأندلس للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة (١ ـ ٢) بيروت، ١٩٦٢.

٩٨ ـ قضاة قرطبة للخُشَني. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني. بيروت، ١٩٨٢.

٩٩ ـ قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب (عن كُوَر الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة) نشرها الدكتور لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الأول، الجزء الثاني. مطبعة مصر، ١٩٥٥.

١٠٠ ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان لابن خاقان. القاهرة، ١٢٨٤ هـ.

١٠١ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير (١ ـ ١٣). دار صادر، بيروت، ١٩٨٢.

١٠٢ ـ كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي. تحقيق الأستاذ إسماعيل العربي. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠.

١٠٣ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لابن الخطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.

١٠٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١ ـ ٢). إستانبول، ١٩٤١ ـ ١٩٤٣.

١٠٥ ـ كُناسه الدكان بعد انتقال السكان لابن الخطيب (حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري). تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٦.

١٠٦ ـ لسان العرب لابن منظور (١ ـ ١٥). دار صادر، بيروت.

١٠٧ ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية لابن الخطيب. نشره الأستاذ محب الدين

الخطيب. المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٤٧ هـ.

١٠٨ ـ مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، ١٩٧٧.

١٠٩ ـ مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، ١٩٧٩.

١١٠ ـ مجلة عالم الفكـر، المجلد الثاني عشر، أيار، حزيران، ١٩٨١.

١١١ ـ مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ١٩٨٢.

١١٢ ـ مجمع الأمثال للميداني (١ ـ ٢). تحقيق الأستاذ محمـد محيي الدين عبـد الحميد. مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥.

١١٣ ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم لعلي بن يوسف القفطي. تحقيق الأستاذ حسن معمري. جامعة باريس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٧٠.

١١٤ ـ محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧.

١١٥ ـ مختار الصحاح للرازي. مؤسسة الرسالة، دار البصائر، بيروت، ١٩٨٥.

١١٦ ـ المختصـر في أخبار البشـر لأبي الفداء (١ ـ ٤). الـطبعة الأولى المـطبعة الحسينية المصرية.

١١٧ ـ مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة. نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال. دار المعارف بمصر، ١٩٥٥.

١١٨ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لشهـاب الدين ابن فضـل الله العمري (الجزء الحادي عشر). مخطوطة مصورة بـالميكروفيلم في مكتبـة الجامعـة الأميركية في بيروت تحت رقم .Mic. - A - 80.

١١٩ ـ المسالك والممالك للإصْطَخْري المعروف بالكَرْخي. تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠.

١٢٠ ـ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس (مجموعة من رسـائله). نشر وتحقيق الـدكتور أحمـد مختـار العبـادي. مـطبعـة جـامعـة الإسكندرية، ١٩٥٨.

١٢ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحِية. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري

والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي. دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥.

١٢٢ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في مِلَح أهل الأندلس لابن خاقان. «دراسة وتحقيق الأستاذ محمد علي شوابكة. دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.

١٢٣ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي. مطبعة السعادة بمصر.

١٢٤ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (١ ـ ٥). دار صادر، دار بيروت، ١٩٨٤.

١٢٥ ـ معجم ما استُعْجِم للبكري (١ ـ ٤) تحقيق الأستاذ مصطفى السقّا. دار عالم الكتب. بيروت ١٩٨٣.

١٢٦ ـ معجم المؤلّفين لعمر رضا كحالة (١ ـ ٥). مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٩.

١٢٧ ـ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. القاهرة، ١٩٦٧.

١٢٨ ـ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي (١ ـ ٢) تحقيق الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.

١٢٩ ـ المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي(تتمة السفر الثاني ويؤرخ من سنة ٢٣٢ ـ حتى ٢٦٧ هـ) تحقيق الدكتور محمود علي مكي. دار الكتاب العربي. بيروت، ١٩٧٣.

١٣٠ ـ المقتبس في أخبار بلد الأندلس لابن حيان القرطبي (ويؤرخ من سنة ٣٦٠ حتى ٣٦٤ هـ). تحقيق الأستاذ عبد الرحمن الحجي. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.

١٣١ ـ المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبّار. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.

١٣٢ ـ الملل والنحل للشهرستاني (١ ـ ٢). تحقيق الأستاذ محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت.

١٣٣ ـ ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام لدوزي. ترجمة الأستاذ كامل كيلاني. مطبعة الحلبي بمصر، ١٩٣٣.

١٣٤ ـ موسوعة المعرفة (موسوعة علمية) المجلد الأول. مطبعة داغر، لبنان،

١٣٥ ـ نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر. دراسة وتحقيق الأستاذ محمد رضوان الداية. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

١٣٦ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لأبي عبدالله محمد الأنصاري الدمشقي، المعروف بشيخ الربوة. مطبعة الأكاديمية الأمبرطورية بطربورغ. ١٨٦٥.

١٣٧ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (١ ـ ٢). دار عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٩.

١٣٨ ـ نصوص الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي. تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني.. مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥.

١٣٩ ـ نُفَاضة الجراب في عُلالة الاغتراب لابن الخطيب. تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي، ومراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

١٤٠ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (١ ـ ٨). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

١٤١ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١ ـ ٢١). مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٣ ـ ١٩٧٦.

١٤٢ ـ نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين. مطبعة مصر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٨.

١٤٣ ـ هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي (١ ـ ٢). إستانبول، ١٩٥١ ـ ١٩٥٥.

١٤٤ ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (١ ـ ٢٢)، إستانبول وفيسبادن، ١٩٣١ ـ ١٩٨٣

١٤٥ ـ وصف إفريقية والمغرب والأندلس. جزء من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري. نشره الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب. مطبعة النهضة بتونس، ١٣٣٩ هـ.

١٣٦ ـ وَفَيَات الأعيان لابن خلّكان (١ ـ ٨). تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.

١٤٧ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (١ ـ ٤). دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1 - Almeria Islámica: Leopoldo Torres Balbás. Al - Andalus, Vol. XXII. fasc. 2. Madrid-Granada, 1957.

2 - Ampliación y tamano de varias mezquitas: Leopoldo Torres Balbás. Al-Andalus, Vol XXI, fasc. 2. Madrid-Granada, 1956.

3 - Cementerios hispanomusulmanes: Leopoldo Torres Balbas. Al-Andalus, Vol. XXII, fasc. 1. Madrid-Granada, 1957.

4 - El mihrab de la mezquita mayor de Almeria: Christian Ewert. Al-Andalus, Vol. XXXVI, fasc. 2. Madrid-Granada, 1971.

5 - Encyclopédie de L'Islam (1-5). Nouvelle édition. Leiden, 1960-1986.

6 - Garñata al-Yahud: David Gonzalo Maeso. Universidad de Granada, 1963.

7 - Histoire de L'Espagne Musulmane (1-3): É. Lévi-Provençal. Paris-Leiden, 1950-1953.

8 - Historia de la Literatura arábigoespanola: Angle Conzales Palencia. 2ª Ed. Madrid. 1945.

9 - La mezquita mayor de Almeria: Leopoldo Torres Balbás. Al-Andalus, Vol. XVIII. fas. 2. Madrid-Granada, 1953.

10 - La poésie anadalouse en arabe classique au XI eme siècle:Henri Pérès. Paris. 1953.

11 - Los palacios del taifa almeriense al-Mu'tasim, en Cuadernos de la Alhambra (Vol. III): Luis Seco de Lucena. Madrid, 1967.

12 - Poemas Arábigoandaluces : Emilio Garcia Gómez. 4ª éd . Madrid. 1959.

13 - Viaje por España y Portugal (1494 - 1495): Jerónimo Munzer. Traduccion José Lopez Toro. Madrid. 1951.



فهرس المحتويات

الفصل الثاني:

الفصل الثالث:





الهدف من هذه الدراسة هو إبراز الصورة الحيّة التي كانت عليها مملكة ألمرية في الميدانين التاريخي والحضاري. وقد توصّلت المؤلفة في هذه الدراسة إلى عدة استنتاجات تتعلق بمملكة ألمرية في ظلّ مليكها المعتصم بن صمادح. بعض هذه الاستنتاجات يتعلّق بوضع المملكة الجغرافي، وبعضها يتعلق بوضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني.

كما قدّمت المؤلفة صورة وافية عن الشخصية التي يتمحور حولها موضوع الدراسة، وهي شخصية المعتصم بن صمادح. فقدمت نبذة وافية عن حياته وسيرته العادلة في رعيته وجنده ومواهبه المتعددة في المجالات السياسية والعسكرية والأدبية.

يطلب من : مكتبة الوحدة العربية
الأحباس - الدار البيضاء